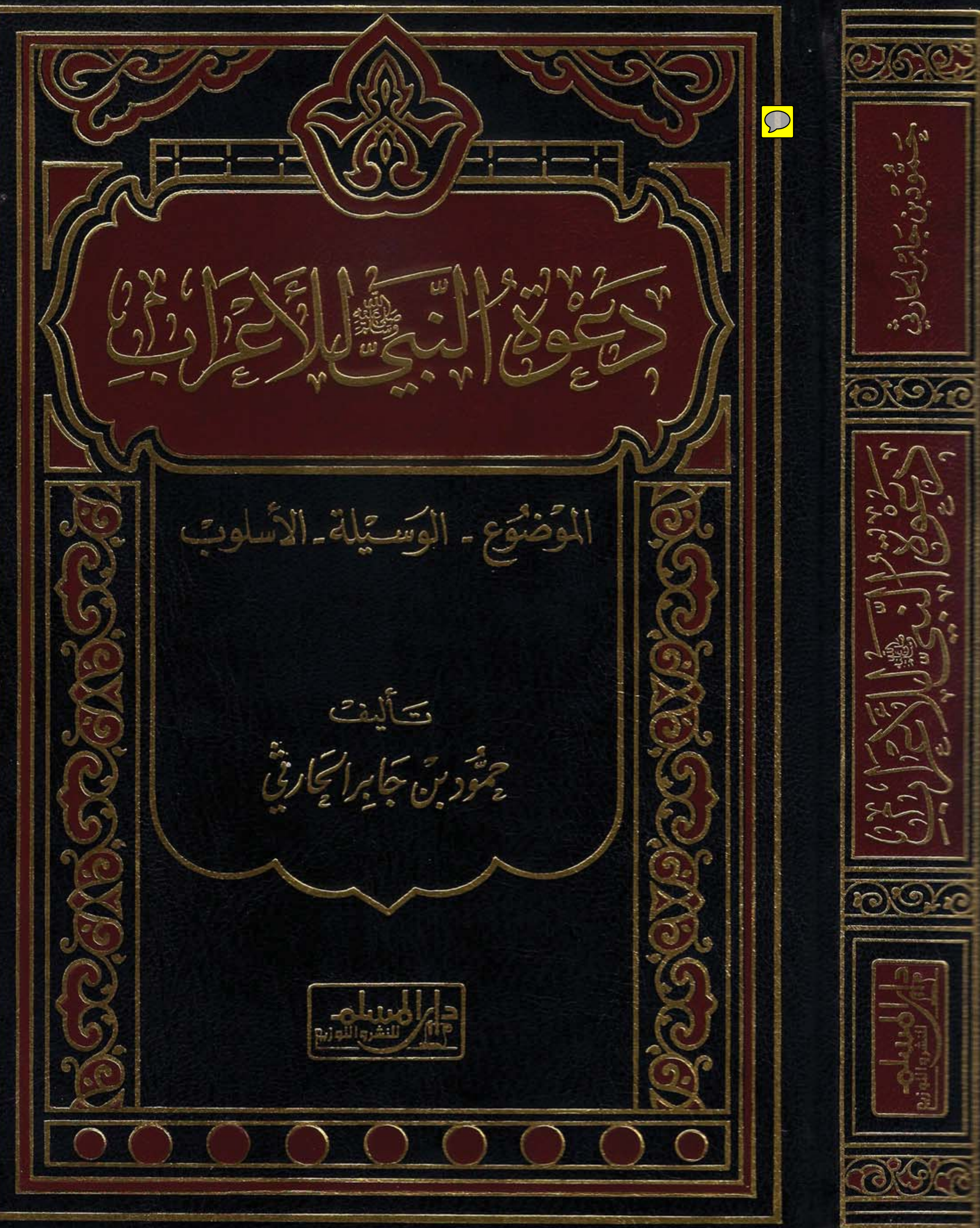

دعوة النبي ﷺ للأعراب
الموضوع - الوسيلة - الأسلوب
تأليف
حمود بن جابر الحارثي
دار المسلم للنشر والتوزيع
دعوة النبي ﷺ للأعراب
حمود بن جابر الحارثي
دار المسلم للنشر والتوزيع

دعوة النبي ﷺ للأعراب

الموضوع - الوسيلة - الأسلوب

تأليف

حمود بن جابر الحارثي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحارثي ، حمود بن جابر

دعوة النبي ﷺ للأعراب : الموضوع ، الوسيلة ، الأسلوب – الرياض .

٤٩٦ ص ، ١٧X٢٤ سم

ردمك ٩-٦٧-٦٣٢-٩٩٦٠

١- الدعوة الإسلامية ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان.

ديوي ٢١٣ ١٩/٠٣٢٠

رقم الإيداع : ١٩/٠٣٢٠

ردمك : ٩-٦٧-٦٣٢-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

الصف والإخراج

مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني



الرياض ١١٤٨٤ ـ ص.ب ١٧٣٥٦ ـ هاتف وفاكس : ٤٩٣١١٤٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

توطئة :.

الحمد لله الذي لا رافع لما وضع ، ولا واضع لما رفع ، ولا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع . رفع الوضيع بالعلم حتى بلغ الذرى ، وجعل ميزان الفضلِ والمكانةِ عنده التقوى . فسبحان مَن له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى . الذي قدر فهدى ، له الحمدُ في الآخرة والأولى ، حمدَ معترفٍ بالذنب والتقصير ويرجو رحمة ربٍ يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . أحمدك بكل ما حمِدكَ به خيرُ الورى . فلك الحمدُ حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت ، ولك الحمدُ بعد الرضا . وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك ، خير من اتقى ، وأفضل من مشى ، أكمل البشر خُلُقاً وخَلْقا ، لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحيٌ يوحى ، علمه شديد القوى ، من سار على نهجه نجا ، ومن حاد عن سنته غوى ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد من طاف بالبيت وسعى .

أما بعد :

فإن دراسة سيرةِ المصطفى ﷺ ودعوته أشرف وأجل علمٍ بعد كتاب الله تعالى . فائدتها عظيمة لكل مسلم ، ولكل من يريد الدعوة إلى الله على وجه الخصوص . فسيرتُه العطرة ، وسنته المطهرة ، وطريقته في دعوة الأقارب والأباعد ، معالم في طريق الدعوة إلى الله ، يهتدي بها الدعاة ، ويستنيرُ بها المصلحون على مرِّ السنين .

وقد منّ الله علي بالدراسة في هذه الجامعة المباركة ـ جامعة الإمام محمدِ بنِ سعودِ الإسلامية ـ وأثناء الدراسة أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلةً في المعهد العلمي بالطائف مركزاً صيفياً في قرية تُسمى قيا من قُرى البادية ، وكنتُ أحدَ العاملين في هذا المركز وفي نفس الوقت أحد أبناء هذه القرية .

وازدحم المركز بالمشاركين من جميع الأعمار مع تفاوت أسباب مشاركتهم :

فمنهم من أتى رغبة في الحصول على الجوائز والهدايا المُعلَنَة .

ومنهم من أتى للإطلاع وتقصي الأخبار فيمكث أو ينصرف .

ومنهم من أتى رغبة في الخير والتعلُّم .

وجُلَّ هؤلاء تلمح فيهم الجلافة والغلظة والجفاء وقلة التأثُّر عند الرقائق مع ما تجد من جُرأة وصراحةٍ بارزتين ، وأنفةٍ وخشونةٍ وإيثار ، وتلمح الفِطَر السليمةَ التي لم تتمكن منها لوثة الحضارة بعد .

وكثيراً ما تطرأ التساؤلات في ذهني ، يا لله ! كيف يجمع هؤلاء بين هذه الصفات ؟! وما الطريقة المُثلى لجعل صفاتهم الحميدة مقوداً يُقادون به إلى الخير ؟ وما الطريقة المُثلى التي يُعامل بها هؤلاء وهم أهل جفاء وغلظة ؟ أما كان الرسول ﷺ يتعامل مع الأعراب ؟ وذكرهم الله في القرآن الكريم على سبيل الذم والمدح ! إذن لا بُدَّ لهذه التساؤلات من إجابة . ومن هنا بدأت فكرة البحث في هذا الموضوع . وتبلورت وتمكنت في العقل بعد نهاية السنة المنهجية ، مع أنني كنت أجد شيئاً من التثبيط من بعض الطيبين بحجة أن الموضوع ليس له مراجع سابقة ومادته العلمية نادرة . فوفقني الله لقراءة الصحيحين فوجدت الضالة حيث زخرت بأحاديث كثيرة تتعلق بالموضوع ، فازددت رغبة وتصميماً واستقر العزم بعد توفيق الله على خوض غمار هذا الموضوع ، فشمرت عن ذراعي ، رغم قصر باعي ، وقلة إطلاعي ، مستمداً العون من الله تعالى وسميته « دعوة النبي ﷺ للأعراب الموضوع ، الوسيلة ، الأسلوب » .

تعريفٌ بمفرداتِ عنوانِ البحثِ :.

١ ـ تعريفُ الدعوةِ :ـ

التعريفُ اللغوي :ـ

لكلمة (دعا) في اللغة عدةُ معانٍ منها : ـ

دعاه : ناداه وطلبه ، ودعاه إلى الشيء وللشيء : حثّه عليه ، ودعاه إلى الله : أي إلى عبادته . والدعاة : قومٌ يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع [١] .

ووردت في القرآن الكريم بما يدل على المعاني السابقة منها قول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [٢] . أي حث على عبادة الله [٣] ، وقول الله تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً** ﴾ [٤] . أي دعوتهم إلى عبادة الله وحثثتهم عليها [٥] .

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور ١٤/٢٥٨ ـ ٢٦١ مادة (دعا) دار الفكر بيروت ط١ ١٤١٠ هـ ، تهذيب اللغة الأزهري ٣/١٢١ ـ ١٢٥ مادة (دعا) الدار المصرية للتأليف بدون تاريخ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٣ .

(٣) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن رسالة ماجستير مطبوعة أحمد البراء الأميري ص ٢١ دار المنارة جدة ط١ ١٤٠٦ هـ .

(٤) سورة نوح الآية ٥ .

(٥) إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن رسالة ماجستير مطبوعة أحمد البراء الأميري ص ٢١ مرجع سابق .

التعريفُ الاصطلاحي : ـ

عُرِّفتِ الدعوة بعدة تعريفاتٍ لكنها تدور حول معنيين : ـ

١ ـ الإسلام .

٢ ـ فن نشر الإسلام بين الناس [١] .

وقد عرفها على المعنى الأول علماء ودعاة منهم : ـ

أ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قال : (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ...) [٢] .

ب ـ الدكتور / توفيق الواعي ، قال : (الدعوة إلى توحيد الله . والإقرار بالشهادتين وتنفيذ منهج الله في الأرض ، قولاً وعملاً ، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ليكونَ الدينُ كله لله) [٣] .

---

(١) التدرج في دعوة النبي ﷺ إبراهيم بن عبدالله المطلق ص ٣٤ رسالة ماجستير غير مطبوعة .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٥٧ ـ ١٥٨ . جمع عبدالرحمن بن قاسم توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

(٣) الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ، الهدف د / توفيق الواعي ص ١٩ .

وعرفها على المعنى الثاني كثيرٌ من العلماء والدعاة منهم : ـ

أ ـ الأستاذ أبو المجد نوفل فقال : (إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة) [1] .

ب ـ الشيخ / محمد سيدي الحبيب ، قال : (إن الدعوة إلى الله هي : قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر رسول الله ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً) [2] .

وبعد النظر في كثيرٍ من التعريفات فإن بحثي هذا يشمل المعنيين السابقين للدعوة . فموضوع دعوة الرسول ﷺ للأعراب : هو الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق .

وأيضاً : دراسة الطريقة التي سلكها النبي ﷺ في دعوته للأعراب .

٢ ـ تعريف الأعراب : ـ

تعريفات اللغويين : ـ

العرب : بالضم وبالتحريك : اسم جنس . لجيل من الناس . خلاف العجم . والأعراب منهم سكان البادية .

والأعراب : لا واحد له ، وتجمع أعاريب . والنسبة إليها : أعرابي . والأعرابية :

---

(١) الدعوة إلى الله خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها أبو المجد نوفل ص ١٨ بدون تاريخ ولا ذكر للناشر

(٢) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل محمد بن سيدي بن الحبيب ص ٢٧ دار الوفاء جدة ط١ ١٤٠٦ هـ .

حالة الأعرابي كالبداوة .

تعرّب : أقام بالبادية .

الأعرابي : البدوي وهو من نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم [١] .

المعنى الاصطلاحي : -

الأعرابُ : هم أهل البدو [٢] .

الأعرابُ : هم سكان البادية [٣] .

الأعرابُ : هم سكان البادية الذين سكنوا البادية ، وعاشوا متنقلين في أصقاعها سعياً وراء الكلأ والماء [٤] .

الأعراب : هم من سكن البوادي بخلاف العرب ، فإنه عام لهذا النوع من بني آدم

---

(١) انظر : تهذيب اللغة الأزهري ٣٦١/٢ مادة (عرب) ، لسان العرب ابن منظور ٥٨٦/١ مادة (عرب) ، مختار الصحاح الإمام الرازي ص ٤٢١ مادة (عرب) دار الكتب العلمية بيروت ، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (عرب) ص ١٤٥ تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بيروت ط١ ١٤٠٦ هـ ، تاج العروس الزبيدي تحقيق إبراهيم الترزي ٣٣٢/٣ ـ ٣٣٥ مادة (عرب) دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ ، المنجد في اللغة والأعلام كرم البستاني وآخرون مادة (عرب) ص ٤٩٥ دار المشرق بيروت ط ٢٦ .

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري العيني ١٢٧/١ مكتبة الحلبي وشركاه مصر ط١ ١٣٩٢ هـ .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد الشيخ / محمد بن صالح العثيمين ٢٧٠/٣ دار العاصمة الرياض ط١ ١٤١٥ هـ .

(٤) نوادر الأعراب يوسف عيسى ص٥ دار الفكر بيروت ط١ ١٩٩٠ م .

سواء سكنوا البوادي أو القرى [1] .

الأعراب : هو في الأصل اسم لبادية العرب ، فكل أمة لها حاضرة وبادية ، فبادية العرب الأعراب [2] .

وقد حدّد القرآن الكريم معنى الأعراب بأنهم أهل البادية البعيدين عن العلم ومواطن الرسل ، قال تعالى : ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [3] . وحددّها الرسول ﷺ كما فهمها منه الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع رضي الله عنه بأنها سُكنى البادية .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه « **أنه دخل على الحجاج فقال : يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تعرّبت [4] قال : لا ، ولكن رسول الله ﷺ أذِنَ لي في البدو** » [5] .

أهميـة الموضـوع :

بُعث النبي الخاتم محمد ﷺ وقد فشا الجهل وعم الشرك بقاع الجزيرة العربية بعد

---

(١) فتح القدير محمد الشوكاني ٣٩٥/٢ دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ ، وانظر النهاية في غريب الحديث ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزواوي ، ومحمود الطناحي ٢٠٢/٣ المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ابن تيمية تحقيق د / ناصر العقل ٣٦٩/١ شركة العبيكان للطباعة والنشر الرياض ط١ ١٤٠٤ هـ .

(٣) سورة التوبة الآية ٩٧ .

(٤) تعرّبت : التعرّب الإقامة في البادية والسُكنى مع الأعراب . (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٢٠٢/٣ مرجع سابق) .

(٥) صحيح البخاري كتاب الفتن باب التعرب في الفتنة ٩٤/٨ المكتبة الإسلامية استنبول بدون تاريخ .

الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ، تلك البقعة المهملة من شعوب المعمورة آنذاك ، لظروفها الطبيعية والبيئية ، فرفعها الله تعالى برسالة محمد ﷺ من القاع إلى الذؤابة ، ومن النسيان إلى الشهرة ، كل ذلك بما حمله من دين الله فسما بتلك الفئة من الناس بجميع مستوياتها ، وضيعها وشريفها . فقيرها وغنيها . حتى بلغ بهم الذرى وما ذاك إلا بفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء . فأخرجهم من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ومن الزيغ إلى الحنيفية السمحة .

وبما أن طبائع البشر تختلف وتتباين فالمتتبع لسيرته ﷺ ، يجد تنوع معاملته لهم من لين ورفق إلى قوة وحزم ، ومن تواضع وذلة للمؤمنين إلى عزة وشدة على الكافرين والمنافقين .

ومن فئات الناس في ذلك الوقت الأعراب الذين يُشكّلون النسبة العظمى من أهل الجزيرة [1] ، ويختلفون في إسلامهم ، منهم من أسلم ولّما يدخل الإيمان في قلبه ، ومنهم المؤمن الصادق المجاهد ، ومنهم المنافق ومنهم الكافر المعاند . قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (قد كان في أصحاب رسول الله ﷺ ممن وفد عليه ومن غيرهم ، من الأعراب ، مَن هو أفضل من كثير من القرويين . فهذا كتاب الله يحمد بعض الأعراب ، ويذم بعضهم ، وكذلك فعل بأهل الأمصار ... فبيّن أن المنافقين في الأعراب ، وذوي القرى . وعامة سورة التوبة فيها الذم للمنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب ، كما فيها الثناء على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين

(١) انظر : معارك العرب الكبرى محمود الدره ص ٥٥ منشورات الفاخرية الرياض ، ودار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

اتبعوهم بإحسان ، وعلى الأعراب الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند ا لله وصلوات الرسول) [1] .

ومن خلال إطلاعي على بعض كتب السنة والسيرة والتاريخ وجدتها تشهد بمواقف الأعراب مع رسول ا لله ﷺ وكيفية تعامله معهم ، فوجدت في بطون هذه الكتب مادة علمية متفرقة جديرة بأن تُجمع ويُشكَّل منها بحث علمي يثري مكتبة الدعوة الإسلامية مما دفعني إلى بحثها وإخراجها للدعاة لينهجوا نهج النبي ﷺ عند دعوتهم للأعراب .

أسباب اختيار الموضوع :

إن مما دفعني لاختيار هذا الموضوع أموراً عدة منها : ـ

١ ـ الرغبة في تأصيل الأسلوب الأمثل والوسيلة المثلى في دعوة الأعراب في العصر الحاضر .

٢ ـ المساهمة في وضع الأسلوب المناسب للقضاء على العادات المنافية للإسلام .

٣ ـ أن هذا الموضوع مرتبط بتخصص الدعوة .

٤ ـ كون الأعراب كثيري الوقوع في المحظورات بسبب الجهل ، أو المعارضة بحكم العادات والتقاليد .

٥ ـ كون الأعراب في عصرنا الحاضر يشكلون نسبة كبيرة في بلاد المسلمين .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ ناصر العقل ٣٦٢/١ ـ ٢٦٣ مرجع سابق .

الدراسات السابقة للموضوع :

بعد بذل الجهد في الدراسة والإطلاع والبحث لم أجد دراسة علمية متخصصة تناولت دعوة الرسول ﷺ للأعراب ، ولم أجد أي مؤلَف من غير الدراسات العلمية تحدث عن هذا الموضوع ، وبهذا يكون الموضوع جديداً لم يسبق إليه .

حدود البحث :ـ

أ ـ **الحدودُ الزمنيةُ** : هي مُدّةُ دعوةِ الرسولِ ﷺ من بعثته إلى وفاته .

ب ـ **الحدودُ الجغرافيةُ** : الجزيرة العربية ، وهي أماكن وجود الأعراب ، والرسول ﷺ مُدّةَ دعوته لم يخرج عن الجزيرة العربية .

نوع الدراسة ومنهج البحث :ـ

لما كان هذا البحث من البحوث التي تعتمد على أحداث الماضي المحصور بفترة العهد النبوي للدعوة . كان من المناسب أن يستخدم من مناهج البحوث العلمية ما يلي : -

١ ـ المنهج التاريخي :

وهو الذي يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها فيصفها ويسجل تطوراتها ويحلل ويفسر هذه التطورات استناداً إلى المنهج العلمي في البحث الذي يربط النتائج بأسبابها [١] .

---

(١) البحث العلمي مفهومه ـ أدواته ـ أساليبه د/ ذوقان عبيدات . د/ عبدالرحمن عدس . د/ كايد عبدالحق ص١٧٣ دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٨ م .

٢ ـ المنهج الاستقرائي :

وهو حصر المعلومات حول الظاهرة محل الدراسة وفحصها وإعطاء حكم عام بصددها وتنظيم هذه المعلومات المتوافرة في قالب معين ليستنبط منها نتائج صحيحة تزود الباحث بالمقترحات والحلول [1] .

وقد بذلت جهدي ـ بعد توفيق الله ـ في حصر الجزئيات المتعلقة بهذا الموضوع وتنظيمها ودراستها دراسة دعوية ثمَّ استنباط النتائج الصحيحة ـ بإذن الله تعالى ـ .

ويمكن إجمال جوانب منهجي في تحرير وصياغة هذا البحث في النقاط التالية : ـ

١ ـ حصرت مادة البحث العلمية فيما يخص الأعراب فقط . وقد حددت ضوابطَ لاختيار المادة العلمية الخاصة بالأعراب ، وهذه الضوابط هي : ـ

أ ـ أن يصرح الرسول ﷺ بأعرابية صاحب أو أصحاب الموقف كأن يقول : « **أعرابي ، أعراب ، باديتنا** ... » وما شابه ذلك .

ب ـ أن يصرح الصحابي بأعرابية صاحب أو أصحاب الموقف كأن يقول : « أعرابي ، أعراب ، بدوي ... » وما شابه ذلك .

جـ ـ أن يرد في كلام الرسول ﷺ أو الصحابة كلمات تدل على أن المراد أعرابي أو أعراب . كقول : « أهل الوبر ، الخيمة ، الخباء ـ وهو بيت الأعراب ـ أهل الإبل ، الفدّادين ... » وما شابه ذلك .

د ـ أن يرد في كلام صاحب الموقف ما يدل على أعرابيته كقول أحدهم : لسنا

---

(١) كتاب البحث العلمي صياغة جديدة د/ عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان ص٦٤ دار الشروق جدة ط٤ ١٤١٢ هـ .

أهل زرع ، أو قول : إنّا أهل بادية ، أو قول : نحن أهل ماشية .

هـ - أن يرد في تفسير الآيات الواردة في الأعراب ما يحدد أسماء قبائل الأعراب مثل قول الله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا** ﴾ [1] . فقد ورد أنهم جهينة ، وأسلم وغفار ، فهذا تصريح بأن هذه القبائل أعرابية ، وقول الله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ** ﴾ [2] . فقد ورد أن هؤلاء هم بنو أسد فهذا تصريح بأن بني أسد أعراب [3] .

و - أن لا يكون صاحب الموقف أو أصحاب الموقف من القبائل المعروف تحضرها آنذاك ، مثل : أهل مكة ، الطائف ، المدينة ، صنعاء ، اليمامة ، نجران ، دومة الجندل وقرى اليهود في شمال المدينة خيبر ، فدك ، تيماء . فتكون بقية الأماكن وخاصة الحجاز ونجد أهلها أعراب يتنقلون من مكان إلى آخر .

وهذه الضوابط مما يُضفي على البحث ــ إن شاء الله ــ طابع الدقة والعمق والموضوعية .

٢ - نقلت الأحاديث من مراجعها الأصلية وبذلت جهدي في اختيار ما صححه العلماء منها ، إلا ما كان في الصحيحين فقد أجمعت الأمة على تلقيهما بالقبول .

---

(١) سورة الفتح الآية ١١ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

(٣) انظر : ص٢٠٣ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ .

٣ ـ بذلت جهدي في النقل من مصادر التاريخ والسيَّر والتراجم الأصلية والاستيناس بما أجده من حكم للعلماء على هذه النقول .

٤ ـ بذلت جهدي في الترجمة للأعلام وخاصة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إلا ما اشتُهِر منهم مثل الخلفاء الراشدين .

٥ ـ بذلت جهدي في التعريف بالأماكن والمواقع والقبائل ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٦ ـ بينت معاني الكلمات الغريبة التي رأيت أنها تحتاج إلى بيان .

٧ ـ بذلت جهدي في تحري الدقة في النقل واستغفر الله من الاعتداء على جهود الآخرين .

٨ ـ حرصت على كتابة الآية كاملة تعظيماً لكلام الله ، وحددت أماكنها في السور .

٩ ـ ميزت في الكتابة بين الآيات فجعلتها بخط مُميز بالتشكيل ، وبين الأحاديث فجعلتها أشد سواداً وبقية نصوص البحث بخط واحد .

١٠ ـ حددت علامات لتمييز النصوص المنقولة على النحو التالي : ـ

أ ـ الهلالان ﴿ ﴾ . الذي يتوسط كلٌ منهما نجمة للدلالة على الآيات القرآنية.

ب ـ الشولتان « » المزدوجتان للدلالة على الأحاديث والآثار .

جـ ـ الهلالان ( ) للدلالة على كلام العلماء والمؤلفين المنقول نصاً .

د ـ الشرطتان ـ ـ للدلالة على الكلام المعترض .

١١ - حَرَصْتُ عند ذكر المرجع في الحاشية لأول مـرة أن أذكـر معلومـات كاملـة عن هذا المرجع ، مثل : الناشر ، وعدد الطبعة ، وتاريخها ، وعنـد وروده مـرة أخرى أكتفي بقول مرجع سابق بعد ذكر اسم المرجع ومؤلفه والصفحة .

١٢ - عُنِيتُ في ختام البحث بوضع فهارس مفصلة بمثابة المفاتيح يهتدي بها قـارئُ هذا البحث وهي على النحو التالي : -

١ - فَهرَسُ الآيات .

٢ - فَهرَسُ الأحاديث والآثار .

٣ - فَهرَسُ الأعلام .

٤ - فَهرَسُ الأمم والقبائل .

٥ - فَهرَسُ الأماكن .

٦ - فَهرَسُ المراجع .

- موضوعات البحث .

المشـكلةُ البحثيـةُ :

لكل بحث علمي تخصصي مشكلة معينة يسعى الباحث في دراستها ومعرفتها ليصل في النهاية إلى حلها والإجابة على تساؤلاتها .

إن مشكلة أي بحـث مـا هـي في الواقـع إلا سـؤال لا توجـد إجابـة عليـه في ذهـن الباحث وهو عادة يتضمن مسائل بعيـدة عـن الحيـاة الشـخصية أو قريبـة أحيانـاً يـلزم الإجابة عليها لتحقيـق فـائدة معينـة أو نفـع خـاص للمجتمـع ، أو إضافـة للعلـم . أو

التراث النظري[1] .

إن الدعوة الإسلامية المعاصرة بحاجة ماسة إلى أن تقيم دعائمها على أصول ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وأقوال الرسول ﷺ وأفعاله ومواقفه جديرة أن ينهل الدعاة من ينابيعها ويستفيدوا من كنوزها .

وتكمن المشكلة البحثية لهذا الموضوع في دراسة موقف الرسول ﷺ مع الأعراب وأسلوب تعامله معهم ليستفاد منها في دعوة هذه الفئة من الناس في العصر الحاضر . تلك الفئة التي يكثر فيها الجهل ويقل فيها الدعاة ، فدعاتها يحتاجون إلى فقه بمنهج النبي ﷺ في تعامله معهم .

تساؤلات الدراسة :

- ما أحوال البادية قبل الدعوة الإسلامية ؟
- كيف كانت دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق ؟
- ما وسائل دعوة النبي ﷺ للأعراب ؟
- ما أسلوب النبي ﷺ في دعوة الأعراب ؟
- ما دوافع الاستجابة والإنكار عند الأعراب ؟
- ما مظاهر الاستفادة من موضوع دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر ؟

---

(١) البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات . د/ محمد الذيب عبدالكريم ص ٢٩ مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ط٣ ١٩٨٧ م .

- ما مظاهر الاستفادة من وسائل وأساليب دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر ؟

تقسيم البحث :-

المقدمة المنهجية وفيها :-

- توطئة .
- تعريف بمفردات عنوان البحث .
- أهمية الموضوع .
- أسباب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- حدودُ البحثِ .
- نوعُ الدراسةِ ومنهجُ البحث .
- المشكلة البحثية .
- تساؤلات الدراسة .

الفصل التمهيدي :

- عموم الدعوة الإسلامية .
- أحوال البادية قبل الدعوة الإسلامية .

الفصل الأول : موضوع دعوة النبي ﷺ للأعراب .

- المبحث الأول : دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال العقيدة .
- المبحث الثاني : دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال الشريعة .
- المبحث الثالث : دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال الأخلاق .

الفصل الثاني : وسائل دعوة النبي ﷺ في دعوة الأعراب .

- المبحث الأول : عرض نفسه ﷺ على القبائل .
- المبحث الثاني :البعوث والسرايا .
- المبحث الثالث : الوفود .

الفصل الثالث : أساليب النبي ﷺ في دعوة الأعراب .

- المبحث الأول : اللين في المعاملة .
- المبحث الثاني : المدح والثناء .
- المبحث الثالث : تولية الإمارة .
- المبحث الرابع : التأليف بالمال .
- المبحث الخامس : الإعراض عن الخطأ .
- المبحث السادس : كسر الحِدَّة ليتراجع عن الموقف .
- المبحث السابع : استعمال القوة مع مراعاة موقفها .

الفصل الرابع : دوافع الاستجابة والإنكار عند الأعراب في العهد النبوي ، وآثار دعوة النبي ﷺ لهم

- المبحثُ الأول : دوافع الاستجابة عند الأعراب .
- المبحثُ الثاني : دوافع الإنكار عند الأعراب .
- المبحثُ الثالث : آثار دعوة النبي ﷺ للأعراب .

الفصل الخامس : مظاهر الاستفادة من منهج دعوة النبي ﷺ في دعوة الأعراب في العصر الحاضر

- المبحث الأول : الاستفادة من موضوع دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر .

- المبحث الثاني : الاستفادة من وسائل دعوة النبي ﷺ وأساليبها في العصر الحاضر .

الخاتمـة ، وفيهـا أهـم النتــائج .

الفهــارس .

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً وآخراً ، والحمد له حمداً يليق بجلاله ولا منتهى لحده ، هو الذي أسبغ عليَّ النعم ظاهرة وباطنة ، وهداني ووفقني لطلب العلم ، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

ثمَّ بعد ذلك أمتثلُ حديث الرسول ﷺ حيث قال : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » [1] . فأشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور / لطفي محمد حسب النبي عضو هيئة التدريس بكلية الدعوة والإعلام ، قسم الدعوة والاحتساب ، الذي كان رحب الصدر بذل الكثير من وقته في القراءة والتصحيح والتوجيه ، وأجاب على تساؤلاتي حتى في أوقات راحته ، فله مني خالص الدعاء وجزيل الثناء .

كما أشكر الأستاذين الفاضلين فضيلة الدكتور / فضل إلهي الأستاذ المشارك في كلية الدعوة والإعلام ، وفضيلة الدكتور / عبدالله الرشيد الأستاذ المساعد بنفس القسم ، اللذين تفضلا مشكورين بمناقشة الرسالة ، وأبديا الآراء والتصويبات فلهما مني خالص الشكر والدعاء على ما أمضيا من وقت وجهد لتقويم هذا البحث .

كما أشكر كل من كان عوناً لي من خاصتي وأصدقائي وكل من ساهم برأي أو مشورة أو تشجيع ، ولا أنسى فضل الله أولاً وآخراً ثمَّ ما قدمه لي الأخوين الفاضلين

---

(١) سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد كتاب الأدب باب في شكر المعروف ٢٥٥/٤ المكتبة العصرية بيروت بدون تاريخ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٩١٣/٣ المكتب الاسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ ١٤٠٩ هـ .

الشيخ / مريزيق بن مناحي الشلوي المشـرف علـى مكتبـة الهـدى الخيريـة بالطـائف ، والشيخ / عبـدا لله بـن إبراهيـم الشـويمان المحـاضر بكليـة الدعـوة والإعـلام مـن عـون وتشجيع .

فاللهم جازهم عني خير الجزاء إنك سميع مجيب .

ومن الاعتراف بالفضل ورد الجميل إسداء الشـكر وبـذل الدعـاء لجميـع أسـاتذتي الكرام ، الذيـن نهلـت مـن علومهـم أثنـاء دراسـتي الجامعيـة فذكراهـم في الذهـن مـا حييت ، وحبهم في القلب ما بقيت . سائلاً المولى أن يجمعنا في جنات النعيم .

وفي الختام لا أقول إنني أحطت بهذا الموضوع مـن جميـع جوانبـه ، ولكنّـني وردت الجمَّ ، وأدليت بدلوي ، ونزعت نزعاً لا أدعي كماله ، وما أبرئ نفسـي مـن الحيـف والخطأ . فإنما أنا بشر . فما كان من صواب فذاك توفيق ا لله وتسديده أولاً وآخـراً ، وما كان من حيف أو خطأ فهذا مني ومن الشيطان وا لله ورسوله بريئان من ذلك .

فاللهم إني أسألك العفو والغفران عما بدر وكان ، وأسألك يا منانُ أن تَمُـنَّ علـيَّ بأن تجعلَ عملي هذا لي عندك ذخراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى ا لله وسلم على نبينا محمد .

الفصلُ التمهيديُ

عمومُ الدعوةِ الإسلاميةِ

أحوالُ الباديةِ قبلَ الدعوةِ الإسلاميةِ

عمومُ الدعوةِ الإسلاميةِ

وحدةُ دعوةِ الأنبياءِ في الأصلِ :ـ

بعث الله الرسل ـ من لدن نوح عليه السلام ـ مبشرين ومنذرين ، وشهداء على أقوامهم . قال تعالى : ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ (١) .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ : (أرسلت رسلي إلى عبادي مبشرين ومنذرين ، لئلا يحتج من كفر بي ، وعبد الأنداد من دوني ، أو ضل عن سبيلي بأن يقول إن أردت عقابه : ﴿ لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (٢) ، فقطع حجة كل مبطل أحد في توحيده وخالف أمره بجميع معاني الحجج القاطعة) (٣) .

وكلُّ الأنبياء متفقون في أصل الدعوة ، وهو التوحيد . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٤) . فكلٌّ منهم قال لقومه : اعبدوا الله ، قال تعالى في نوح عليه السلام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (٥) . وقال في عيسى عليه السلام : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٥ .

(٢) سورة طه الآية ١٣٤ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن الطبري ٦/٣٠ دار الفكر بيروت ١٤٠٨ هـ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٩ .

﴿ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [1] . وقال في خاتم الأنبياء محمد ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [2] .

إن جميع الأنبياء دعوا أممهم إلى التوحيد ، وحذروهم من الشرك ، ودعوهم إلى الوفاء بالميثاق الذي أخذ عليهم [3] ، تحقيقاً لفطرة التوحيد التي فُطِرَ الناس عليها . قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٢ .

(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ .

(٣) خلق الله آدم عليه السلام ومسح على ظهره وأخرج ذريته ، وعرّفهم توحيده واستشهدهم على أنفسهم . يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ** ﴾ سورة الأعراف الآية ١٧٢ .

وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية ، فمن قائل : أخرج من ظهورهم ذريتهم أي بعضهم من بعض ، ودلهم على توحيده ، فكل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً ، وقول : أنه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد وجعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها به ، وقول : أن الله أخرجهم كالذر من صفحة ظهر آدم اليمنى مثل اللؤلؤ وهم أهل الجنة ، ومن صفحة ظهره اليسرى أهل النار ، وأخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا به .

(انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٩٩/٧ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٣ توزيع دار الباز مكة المكرمة) .

والقول الأخير يؤيده ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **إن رسول الله ﷺ قال : لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ...** » . سنن الترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الأعراف ٢٤٩/٥ تحقيق كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٨ . وصححه الألباني في صحيح الترمذي المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ٥٢/٣ ط١ ١٤٠٨ هـ .

لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [1] .

وروى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : « **قال رسول الله ﷺ : ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** » [2] . وهذا يدل على أن الله تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده .

مبعث نبي البشرية جمعاء :ـ

كان الأنبياء يُبعث كلٌّ منهم إلى أمةٍ معينة بدعوة التوحيد ، ولا يُكلَّف بدعوة غيرها ، فيكون مبعوثاً لمرحلة زمنية محدودة ومكان محدد .

فجاء محمدٌ ﷺ نبياً للبشرية جمعاء ، قال تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون** ﴾ [3] . جاء ﷺ يحمل أصل رسالات الأنبياء من قبله ، الدعوة إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [4] .

إن رسالة محمد ﷺ رسالة الزمن كله ماضيه ومستقبله ، ورسالة العالم كله ، تخاطب كل الأمم فتجعلها أمة واحدة ، وتخاطب كل الطبقات والأجناس ، ليست مخصصة بمكان محدد ولا بأمة معينة . وهي رسالة الإنسان كله تُعنى بروحه وعقله

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه ٩٧/٢ مرجع سابق .

(٣) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٤) سورة النحل الآية ٣٦ .

وجسمه ومستقبل حياته . فالروح تسمو بالإيمان والتزكية ، والعقل يزيد الإنسان إيماناً بالتدبر والتفكر ، والجسم يشاركها في الإيمان بالعبادات الظاهرة . إن رسالة الإسلام ضبطت شئون الإنسان في دنياه وآخرته ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [1] . فهي رسالة الدين والدولة ، وهي رسالةٌ تُعنى بشئون المجتمع فتدعو إلى التكافل والتعاطف والنصرة والشعور بحاجات الإنسان في يسره وعسره ، وفرحه وترحه . وهي أيضاً رسالة الإنسان في جميع أطوار حياته وهو جنين في بطن أمه ، وقبله اختيارها ، ثمَّ رضاعته ، ورعايته وتربيته تربية روحية وجسدية حتى يشب ويقوى ، ثمَّ لا تتوقف عند هذا الحد بل يُرعى إذا كَبُر حيث يَردّ فضله وجميله أبناؤه ، إن رسالة محمد ﷺ رحمة لكل العباد [2] .

مقدمات النبوة في غار حراء [3] :ـ

بزغ نور الرسالة النبوية قبل نزول الوحي بثلاث سنوات ، عندما حُبِبت الخلوة إلى النبي ﷺ ، حيث كان يخلو بنفسه شهر رمضان من كل عام في غار حراء ، تزوده زوجُه خديجة ـ رضي الله عنها ـ [4] بالطعام والشراب ، يقضي وقته في التفكر في

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

(٢) انظر : الخصائص العامة للإسلام د / القرضاوي ٩٥ ـ ١١٢ مكتبة وهبة مصر ط٢ ١٤٠١ هـ

(٣) غار حراء : في أعلى جبل النور على نحو ميلين من مكة جهة الشمال الشرقي ، والجبل له شُرفة على الكعبة منحنية والغار في تلك الحنية (انظر : البداية والنهاية ابن كثير تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون ٦/٣ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ ، معجم البلدان ياقوت الحموي تحقيق فريد الجندي ٢٦٩/٢ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠ هـ) .

(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية ، زوج النبي ﷺ ، أول من آمن به وصدقه ، كانت تدعى الطاهرة قبل البعثة ، أول زوجات النبي ﷺ ، آمنت به وصدقته ونصرته ، كان يثني عليها دائماً ويستغفر =

ملكوت السموات والأرض ، ويبرأ مما يراه من ضلال قومه ، وفشو الشرك فيهم ، الذي مقتته نفسه الطاهرة (١) .

نزولُ الوحيِ :ـ

كانت الرؤيا الصالحة التي يراها فتكون كفلق الصبح من مقدمات الوحي لأنها جزء منه ، وفي السنة الثالثة من خلوته نزل عليه الوحي ، روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **أولُ ما بُدئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثمَّ حُبِب إليه الخلاء (٢) ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثمَّ يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغَطَّني (٣) حتى بلغ مني الجَهْد (٤) ، ثمَّ أرسلني (٥) ، فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ .**

=

لها حتى غارت منها أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ رزقه الله منها الأولاد : القاسم ، وعبدالله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين (انظر : الإصابة ابن حجر ، المطبوع معه الاستيعاب ابن عبدالبر ٤/٢٧٣ ـ ٢٧٦ دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ) .

(١) انظر : السيرة النبوية ابن هشام تحقيق مصطفى السقا وآخرون م١/٢٣٥ ، ٢٣٦ دار الكنوز الأدبية بدون تاريخ ولا مكان طبع ، الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري ص ٧٤ دار الوفاء للطباعة المنصورة بدون تاريخ .

(٢) الخلاء : المقصود به الخلوة بالنفس .

(٣) غطّني : الغطّ حبس النّفس ، والمراد ضمه وعصره أو أخذ بحلقه .

(٤) الجَهْد : التعب .

(٥) أرسلني : أطلقني (انظر في هذه المعاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/٢٤ دار المعرفة بيروت بدون تاريخ) .

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثمَّ أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فاخذني فغطني الثالثة ، ثمَّ أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ (١) . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجُفُ فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - فقال : زملوني زملوني (٢) . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ... » (٣) .

البلاغُ السريُ :-

بدأ ﷺ دعوته السرية الفردية من بيته حيث أسلمت زوجه خديجة - رضي الله عنها - لأول وهلة ، ومولاه زيد بن حارثة ﷺ . ثمَّ ألصقُ الناس به من بني العمومة علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان تحت كفالته ﷺ . ثمَّ صديقه الحميم أبو بكر الصديق ﷺ . ثمَّ اجتهد كلٌّ منهم في الدعوة حتى تكونت مجموعة مؤمنة ، بدأت تشيع أخبارها في مكة ، لأنه مهما كانت احتياطات السرية فلا بُدَّ أن يظهر الخبر لأمور :

منها أن الداخلين في الإسلام من شتى قبائل قريش .

ومنها صغر مكة الذي يساعد على سرعة انتشار الخبر .

ومنها إسلام الموالي كبلال بن رباح ﷺ . وكونه مولى فجميع تصرفاته مرصودة من أسياده .

---

(١) سورة العلق الآيات ١ - ٣ .

(٢) زملوني : لفوني بالغطاء (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/٢٤ مرجع سابق) .

(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ١/٣ مرجع سابق .

ومع هذا كله كان الرسول ﷺ يجتمع بهم سراً ويقرئهم القرآن الذي تتابع نزوله بآياته القصيرة ، وفواصله الرائعة . وإيقاعاتة القوية . سريعة الفهم والحفظ . وقوية التأثير تغرس الإيمان وتبني دعائمه الأساسية في قلوب المؤمنين .

إنذار العشيرة الأقربين : ـ

الإنذار : هو الإعلام والتحذير والتخويف في البلاغ . والنذير العريان هو : الذي يتجرد من ثيابه ويشير بها لبيان أهمية وخطر الأمر الذي ينذر به [١] .

وعندما نزل قول الله تعالى : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [٢] . جاء الأمر فيها بإعلان البلاغ . وإنذار العشيرة يحتاج إلى جمعهم وطرح الموضوع بين أيديهم ، وهذا ما فعله الرسول ﷺ . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه ، فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً . قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . قال أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثمَّ قام . فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** » [٣] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (نذر) ص ٦١٩ مرجع سابق .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب ٩٤/٦ مرجع سابق .

الإنذارُ العـامُ :-

تتابع القرآن على الرسول ﷺ يأمره بالبلاغ وإظهار الدعوة وإيصالها إلى كل من يستطيع الوصول إليه ، وأن يعلن الحق ويصبر على أذى المشركين . قال تعالى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (1) . وقال تعالى : ﴿ وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (2). فيها التصريح بالإنذار لأهل مكة ومَن حولها من القرى . ومَن حولها من قبائل العرب حاضرهم وباديهم . وسائر طوائف بني آدم ، ثمَّ استمر الوحي يتنزل بالأدلة القاطعة بعموم رسالته وأنه رحمة مهداة إلى بني البشر . قال تعالى : ﴿ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ. لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ (3) . وقال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (4) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (5) . وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَآ أَنَاْ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (6) . وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى

---

(1) سورة الحجر الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .

(2) سورة الأنعام آية ٩٢ .

(3) سورة المدثر الآية ٣٦ ، ٣٧ .

(4) سورة التكوير آية ٢٧ .

(5) سورة الأعراف آية ١٥٨ .

(6) سورة الحج آية ٤٩ .

عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [1] .

امتثل الرسول ﷺ أمر ربه وأعلن دعوته إنذراً للأمة . وأداءً للأمانة ، ونقل الركبان أخباره خارج مكة . وعرض نفسه على القبائل في مواسم الحج . وحرص على إبلاغ كل وافد إلى مكة . وقابله الكيد والإيذاء الجسي والمعنوي حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت . ورمته قريش عن قوسٍ واحدةٍ . بل تجاوز الأمر أن حذرت منه قبائل العرب . ومع هذا الضيق يتنزل عليه الوحي . يثبت فؤاده ويدفعه إلى الاستمرار في دعوته . بل يبلغه أن الخلاص من غضب الله هو البلاغ . قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً** ﴾ [2] . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (قال قتادة في هذه الآية : تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه) [3] .

ثمَّ تتضح عمومية الدعوة وتزداد وضوحاً في التنزيل عندما تنتقل الدعوة إلى عالم آخر . عالم الجن . فيتلقون دعوة النبي ﷺ ويسرعون بها إلى أقوامهم منذرين . وهذا مما يشد أزره ، ويثبت فؤاده ، ويبشره ويعده بإظهار الدين . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **انطلق رسول الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا**

---

(١) سورة الفرقان آية ١ .

(٢) سورة الجن آية ١٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣٧٧/٤ دار القلم بيروت ط١ بدون تاريخ .

الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء قد حدث . فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء . فانصرف أولئك النفرالذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة [(1)] ، عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر . فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء . فهنالك حين رجعوا إلى قومهم ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً . يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً ﴾ [(2)] . وأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [(3)] . وإنما أوحي إليه قول الجن » [(4)] .

ثمَّ ما لبث رسول الله ﷺ أن هاجر إلى المدينة ليعلن الدعوة باللسان ويؤيدها ويدافع عنها بالسيف والعِنان [(5)] . ويؤدب المتمردين والمناوئين للدعوة في جميع أطراف الجزيرة وهو في عاصمة دولة الإسلام الأولى المدينةُ النبويةُ . ويتتابع النصر وتفتح مكة ويدخل الناس في دين الله أفواجاً . ويخاطب ﷺ ملوك الأرض في ذاك الوقت يدعوهم

---

(١) نخلة : واد بين مكة والطائف على مسيرة ليلتين منها ، وبها عسكرت هوازن وثقيف يوم حنين . (انظر : معجم البلدان الحموي ٣٢١/٥ مرجع سابق) .

(٢) سورة الجن الآيتان ١ ، ٢ .

(٣) سورة الجن الآية ١ .

(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب سورة قل أوحي إلي ٧٣/٦ مرجع سابق .

(٥) العِنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة (انظر : لسان العرب ابن منظور ٢٩٤/١٣ مرجع سابق) .

إلى الإسلام [1] . ويبشر أصحابه بأن دينه سيبلغ ما زوي له من الأرض . روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن ثوبان ﷺ [2] قال : « **قال رسول الله ﷺ : إن الله زوى [3] لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض** » [4] . ويعلنها القرآن أنه لن يُقبل دين غير الإسلام . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [5] . وروى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **عن رسول الله ﷺ أنه قال : والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثمَّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار** » [6] . وهذا الحديث صريح في بيان أن ما جاء به محمد ﷺ من الدين ناسخ لما قبله من الأديان ، وبذلك تكون رسالته إلى جميع الناس .

ثمَّ يبين رسول الله ﷺ فضيلة من آمن من أهل الكتاب ، روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ « **أن رسول الله ﷺ قال : ثلاثة**

---

(١) كتب ﷺ عدة كتب إلى النجاشي ، وإلى كسرى، وإلى قيصر ، وغيرهم. (انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د / مهدي رزق الله ص ٥١٣ ـ ٥٢٥ طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط١ ١٤١٢ هـ).

(٢) ثوبان : مولى رسول الله ﷺ ، اشتراه ثمَّ أعتقه ، فخدمه إلى أن مات . ثمَّ تحول إلى الرملة ثمَّ حمص ومات بها سنة ٤١ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٠٥/١ مرجع سابق) .

(٣) معنى زوى : جمع ، والمراد بالكنزين : الذهب والفضة . وقيل كنزي كسرى وقيصر . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٨ دار الفكر بيروت ط٣ ١٣٩٨ هـ) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ١٧١/٨ دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٦) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ ٩٣/١ مرجع سابق .

يؤتون أجرهم مرتين : رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران ، وعبدٌ مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده فله أجران ، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثمَّ أدَّبها فأحسن أدبها ثمَّ أعتقها وتزوجها فله أجران » [1] .

ثمَّ ينتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه بعد أن أتم النعمة ، وبلغ البلاغ المبين . ويحمل أصحابه ﷺ دعوته في أنحاء المعمورة باللسان والسيف والعنان . حتى بلغوا ما أخبرهم به ﷺ .

شهادةُ الأعداءِ بعالميةِ هذا الدينِ : ـ

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ « أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين . آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال : أيُّ آية ؟ . قال : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ [2] . قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ : وهو قائمٌ بعرفة يوم جمعة » [3] .

هذا أحد أعداء الدعوة في عصرها الأول ، لم يستطع أن يكتم ما في نفسه من اعتراف بتمام وعالمية هذا الدين ، فتمنى أن الآية أنزلت عليهم . وهذه شهادة عدوٍ أعلنها مع ما تحمله طبيعته من عداءٍ لهذا الدين ، والحق ما شهدت به الأعداء .

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ١٦/١ مرجع سابق .

فالأمنيةُ من اليهودي . والجوابُ من أمير المؤمنين عمر ﷺ . حيث يجيب بأنه يعرف الزمان والمكان اللذين نزلت فيه وكلاهما لنا عيد . حيث تتوافق هذه الآية العظيمة في نزولها مع اليوم الأسبوعي العظيم يوم الجمعة عيد المسلمين ، ومع اليوم السنوي العظيم يوم الوقوف بعرفة . وما هذا التوافق إلا بتقدير العليم الحكيم . الذي قدَّر لهذا الدين أن يكون ديناً للبشرية جمعاء .

ثمَّ يمر من عمر الإسلام خمسة عشر قرناً . لا ينكر منصف نجاح تعاليمه في تأسيس مجتمع إسلامي . استطاع منذ البداية جمع العناصر الإنسانية المتناحرة المتمردة في صحراء العرب . فأبدلها بعد التنافر تماسكاً ، وبعد العداوة ولاءً ، وبعد التمرد والفوضى انضباطاً . حتى أصبح مجتمعاً مترابطاً . منطلقاً في أنحاء المعمورة . يضيء بنور الإسلام أنحاءها . ويندمج حملته مع عموم البشر الداخلين فيه لا فرق بينهم إلا بالتقوى . قال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [1] . فينقل البشرية من دركات الظلام والجهل ، وجور الأديان ، وظلم الطغاة ، إلى العلم والنور والعدل والأمان ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ** ﴾ [2] . ومع تفاوت تمكين الإسلام خلال هذه الفترة الزمنية من حين لآخر ، إلا أنه أثبت أنه دين الفطرة ، الذي لا تتعارض تعاليمه مع فطرة الإنسان السليمة . ومع عقله الرشيد .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

حاجةُ العالمِ المعاصرِ إلى نظامٍ عالميٍ موحدٍ :ـ

وجاء العصر الحاضر . الذي ترتفعُ فيه نداءاتُ العالمِ إلى إيجاد نظام عالمي موحد يكفل للإنسانية حقوقها ـ كما يزعمون ـ . بيد أن هذا النظام المفترى من صنع العقل البشري الناقص . بل بتخطيطات الأقوياء في العدة ليبسطوا هيمنتهم على البشرية عامة ويستعبدوهم . وينبذوا كل دعوى صادقة تنادي بالخلاص من مستنقعات الجاهلية المعاصرة . وما نبذهم ذاك إلا ليحافظوا على مكانتهم المادية كما فعل أسلافهم من قبل . قال تعالى : ﴿ **وَلَمّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدّقٌ لّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمّا جَآءَهُمْ مّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ . بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أنَزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزّلَ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مّهِينٌ** ﴾ [1] .

قال ابن إسحاق : (ذهب الأخنس بن شريق إلى أبي جهل بعد أن سمعا القرآن من الرسول ﷺ . فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الرّكب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منّا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ، وا لله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه) [2] .

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام م١/٣١٦ مرجع سابق .

نلاحظ من الآية أن اليهود كانوا يهددون العرب بنبي دينه آخر الأديان . وعندما بُعث النبي ﷺ أنكروا ذلك حسداً من عند أنفسهم . وكفار قريش يعتقدون صدق نبوة محمد ﷺ ولكنهم يرفضونها محافظة على مكانتهم . وما أشبه الليلة بالبارحة ، يعارضون منهج الإسلام لأنه يرد للإنسان كرامته المسلوبة . فإن رُدّت حُرِم هؤلاء من هيمنتهم وبسط نفوذهم .

والمتأمل في هذا العالم المادي يرى العجب من اكتشافات فضائية واتصالات هوائية ومراقبات جوية وما تزال هذه الاكتشافات مستمرة .

ثمَّ تنظر إلى ما أحرزه العلم من خدمات صحية لعلاج الأمراض الجسمية التي كانت هولاً مفزعاً يقض مضاجع الناس . وما تزال الاختراعات الدوائية والتشريحية مستمرة . ثمَّ تنظر آلات التدمير حيث الصناعات الحربية المتطورة والفنون الحربية التي تدار بلمسات الأصابع من أطراف المعمورة ، فتصل الطرف الآخر ، لتدمر البشرية ، وتقض مضاجع الآمنين ، وتيتم الأطفال ، وترّمل النساء ، ولا زال الإنتاج يتنافس فيه الأقوياء ويتحققون من مدى صلاحيته وقوته على الضعفاء .

ويتساءل الإنسان هل لهذا التطور المادي الضخم أثر في حياة هذه الشعوب النفسية ؟! هل وجدت به السعادة ؟! هل حققت به السلام ؟! حقيقة الجواب خلاف ذلك كله . فقد وجدت الشقاء والقلق ، والخوف ، والفراغ الروحي ...

منهجُ الإسلامِ هو النظامُ العالميُ الموحدُ :ـ

إن النظام العالمي الموحد الذي تسعد به البشرية هو نظام الله في كتابه العزيز ، وسنة نبيه ﷺ لأن الله ربّ العالمين . بيده الخلق كله ، وبيده الأمر كله ، فالكون وما فيه مسخر لعبادة الله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

وَالطَّيْرُ صَآفَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [1] . فإن من أطاع الله ﷻ كان موافقاً للكون وما فيه من التوجه إلى طاعة الله تعالى ، وعبادته . ومن عصاه كان مُصادماً لجميع ما في الكون السائر وفق منهج الله تعالى .

يقول الدكتور / علي عبدالحليم محمود : (إن الإسلام وحده هو المنهج الذي يتناسق مع نظام الكون كله ، فلا ينفرد الإنسان بمنهج لا يتناسق مع ذلك النظام على حين أنه مضطر أن يعيش في إطار هذا الكون وأن يتعامل بجملته مع النظام الكوني ، والتناسق بين منهج حياة الإنسان ومنهج حياة الكون هو وحده الذي يكفل للإنسان التعاون مع القوى الكونية الهائلة بدلاً من التصادم معها . وهو حين يصطدم معها يتمزق وينسحق ولا يؤدي وظيفة الخلافة في الأرض كما أرادها الله له ، وحين يتناسق مع نواميس الكون ويتوافق يملك معرفة أسرارها وتسخيرها والانتفاع بها في حياته ... والفطرة البشرية في أصلها متناسقة مع ناموس الكون . فحين يخرج الإنسان بنظام حياته عن ذلك الناموس فإنه لا يصطدم مع هذا الكون الهائل فحسب بل يصطدم أيضاً مع فطرته التي بين جنبيه فيشقى ويتمزق ويحتار ويقلق) [2] .

فنظام الإسلام فيه وحدانية المبدأ . ووحدانية النظام ، ووحدانية الأخلاق . وما شذ فهو بطبيعة البشر . وإلا فالعموم تحت مظلة واحدة . وما هم إلا من مفردات هذا الكون السائر وفق منهج الله تعالى .

الإسلام هو النهج الوحيد الذي نادى الناس ليكونوا أمةً واحدة . وجمع الله به

---

(١) سورة النور الآية ٤١ .

(٢) عالمية الدعوة الإسلامية د / علي عبدالحليم محمود ص ١٤٦ دار الوفاء المنصورة ط٤ ١٤١٢ هـ .

الأعداء . وقطّع عرى العدواة . وأبدلها برابط واحد هو رابط الدين . قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] . هذا النهج الوحيد الذي رسم للناس الخطوط العريضة في العقيدة . والأخلاق . والآداب . والمعاملات . وكَفَل الحقوق لشريف الناس ووضيعهم . فهو المنهج والنظام المُهيأ والصالح لإسعاد البشرية .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٣ .

أحوالُ الباديةِ قبلَ الدعوةِ الإسلاميةِ

عاشت البشرية قبل مبعث النبي ﷺ عيشة الجهل والظلام . وسادت الخرافات والوثنيات والعصبيات ، وانتشرت الفاحشة ، وتدنست الأخلاق ، وهبطت الإنسانية إلى الحضيض . حيث الفراغ الروحي ، والضياع الأخلاقي . روى الإمام مسلمٌ ـ رحمه الله ـ بسنده عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه (١) « **أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : ألا إن ربي أمرني أن أُعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كلُّ مالٍ نَحَلْتُهُ عبداً حلال** (٢) **، وإني خلقت عبادي حنفاءَ كُلَّهم** (٣) **، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم** (٤) **عن دينهم ، وحَرَّمَت عليهم ما أحللت لهم وأَمَرَتْهُم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عَرَبَهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ...** » (٥) .

هذا في العموم . أما في خصوص الجزيرة العربية ، فإنها لم تكن أسعد حظاً من بقية

---

(١) عياض بن حمار بن مجاشع التميمي المجاشعي ، صحابي سكن البصرة ، وعاش إلى حدود سنة ٥٠ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٨/٣ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٤٣٧ دار الرشيد حلب ط٤ ١٤١٢ هـ) .

(٢) كل مالٍ نحلته عبداً حلال : كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو حلال ، والمراد إنكار ما حرّموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة ...

(٣) حنفاء : أي مهيئين لقبول الهداية ، الحنيف المائل إلى الحق .

(٤) اجتالتهم : استخفوهم وجالوا معهم في الباطل واتبعوهم (انظر في هذه المعاني شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٧/١٧ مرجع سابق) .

(٥) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ١٥٩/٨ مرجع سابق .

بقاع المعمورة . وقد تكون أشد ، لأسباب منها : ـ

١ ـ بعدُ الفترة الزمنية عن النبوة ، فآخر عهدها بالنبوة مع إسماعيل عليه السلام .

٢ ـ عدم رضوخها لسلطان واحد يلزمها بملة واحدة ، ومنهج واحد .

وبما أن موضوعنا حول دعوة الرسول ﷺ للأعراب ـ وهم أعراب الجزيرة العربية خاصة . لأنه من بداية نبوته ﷺ ما خرج عن حدود الجزيرة . أما دعوته خارجها فكانت بالكتابة لملوك الأرض في ذلك الوقت [1] ـ سأعرض ـ بإذن الله تعالى ـ لأحوال البادية السياسية . والدينية . والاجتماعية قبل مبعث النبي ﷺ وذلك على النحو التالي : ـ

---

(١) من وسائل دعوة الرسول ﷺ الرسائل ، فقد كتب إلى النجاشي في الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري وفيه « **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ، إلى النجاشي ملك الحبشة ، أسلم أنت ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ... وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت به ، فخلقه من روحه ، ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ... وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله . وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى** » (نصب الراية لأحاديث الهداية للإمام الحافظ الزيلعي ٤/٤٢١ دار الحديث القاهرة) ، وكتب إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وإلى المقوقس ملك الإسكندرية . (انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د / مهدي رزق الله ص ٥١٣ ـ ٥٢٥ مرجع سابق) .

أولاً : الحالة السياسية :.

كانت اليمن في القرن الخامس الميلادي تحت الولاية الفارسية . وكان واليها رجلاً فارسياً يدعى (باذان) [١] من قِبَل كسرى ملك الفرس . وذلك بعد موت ابن ذي يزن الحميري . والمُلك فيها مُتوارَث وأقرب ما يحدده لنا قصة سليمان عليه السلام مع بلقيسَ ملكة سبأ . وقد ذكر القرآن هذه القصة . قال تعالى : ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ . لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مّبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ [٢] . ثمَّ عهود التبابعة ملوك اليمن ، إلا أنهم كانوا في مدٍ وجزرٍ من حيثُ الضعفِ والقوةِ . إلى أن وقعوا تحت سيطرة الحبشةِ ، ثمَّ استعاد ابن ذي يزن الملك بعد انتصاره على الأحباش بمساعدة الفرس ولكنه ارتبط بهم وأصبح تحت ولايتهم [٣] .

أما الحيرة فكان ملوكها من العرب الراحلين بعد سيل العرم . وهم المناذرة . لكن ملكهم لم يخرج عن كونه صنيعة بيد الفرس . لا يستطيعون التصرف حتى في أمورهم الداخلية . ومما يدل على ذلك قول المثنى بن حارثة الشيباني الذي التقى بالرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه في الحج عندما كان الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل فقال : (إن

---

(١) باذان الفارسي ، من أولاد الفرس الذين سيرهم كسرى مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن لقتال الحبشة ، فأقاموا باليمن ، فكان باذان بصنعاء ، فأسلم في حياة النبي ﷺ (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٩٥/١ مرجع سابق) .

(٢) سورة النمل الآيات ٢٠ ـ ٢٣ .

(٣) انظر : السيرة النبوية ابن هشام م٦٢/١ ـ ٧٠ مرجع سابق .

أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي أنهار كسرى فعلنا ، فإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ، أن لا نحدث حدثاً ، ولا نؤوي محدثاً) [1] .

وهذا دليل واضح على أن عرب تلك المناطق لا يملكون الحرية السياسية المطلقة وإنما هم مقيدون بشروط كسرى . ثمَّ جعلهم سداً منيعاً في وجه بني جلدتهم أعراب الجزيرة المتنقلين في أصقاعها . وأيضاً جعلهم في وجه ملوك الشام العرب الغساسنة الذين هم أيضاً تحت الولاية الرومية . فهم بهذه الحالة تستخدمهم القوتان العظيمتان في ذلك الوقت الفرس والروم وتضرب بعضهما ببعض لحماية مصالحها .

أما الشام . فكان ملوكها الغساسنة . وآخر ملوكهم جبلة بن الأيهم الغساني [2] . وكانت قاعدتهم دومة الجندل [3] . وليسوا بأسعد حظاً من المناذرة في الحيرة فهم تحت ولاية الروم ، يرعون مصالحهم ، ويتصرفون وفق توجيهاتهم ، ويمنعون عنهم عبث عرب البادية المجاورين لهم .

أما داخل الجزيرة العربية فكانت هناك ثلاث قرى رئيسة وهي : مكة والطائف ويثرب . وبعض القرى الصغيرة المتفرقة . والحكم فيها للقبيلة . لكن أشهرها مكة

---

(١) ستأتي قصة عرض الرسول ﷺ نفسه على بني شيبان ص ١٥٢ - ١٥٧.

(٢) جبلة بن الأيهم الغساني ، ملك آل جفنة بالشام . أسلم واستقبله عمر رضي الله عنه في المدينة وحج معه . وطأ إزاره - وهو يطوف - رجلٌ من بني فزارة . فلطمه جبلة فهشم أنفه . فقال له عمر : أقده وإلا أقدته منك ، فطلب مهلة من عمر إلى الغد . فلما ادلهمّ الليل ركب ومن معه من قومه وهرب مرتداً ومات على ذلك . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٥٣٢/٣ مؤسسة الرسالة ط٧ ١٤١٠ هـ ، البداية والنهاية ابن كثير ٦٦/٨ مرجع سابق) .

(٣) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قريبة من جبل طيء ، وجه النبي ﷺ بعدما وصل تبوك خالد بن الوليد رضي الله عنه إليها فصالح أهلها . (انظر : معجم البلدان الحموي ٥٥٤/٢ مرجع سابق) .

لوجود البيت الحرام . يتوافد إليه العرب للحج كل عام . ولأهله مكانة عند بقية العرب ، لحسن ضيافتهم للحجيج ، وسقايتهم لهم ، ورعايتهم للبيت . لكن هذا كله لا يعطيهم حق السيطرة إلا على حدود مكة فقط . فهم يتحالفون مع القبائل المجاورة لتساعدهم في صد العدوان الخارجي من القبائل الأبعد .

ومن هذا يتبين لنا أن أرض الجزيرة لا يجمعها رابط سياسي واحد . فتكون القبائل البدوية المتنقلة في أصقاع الجزيرة طلباً للماء والكلأ ، مُتمتعة بالحرية المطلقة ، تعمها الفوضى ، حيث يتولى أمر كل قبيلة رئيسها الذي هو بمثابة الملك ، يوجهها حيث يشاء . وتمتار هذه القبائل من الأسواق التي تقام في الجزيرة كسوق عكاظ أو من مكة والطائف ويثرب ، أو من اليمن والشام ، أو تعتمد على قطع الطريق على القوافل التجارية ، وتمنع المرور إلا بالحلف أو الجزية . وما حدث في حرب الفجار هو بسبب حادثة بسيطة أدت إلى نشوب القتال ، واستدعاء الحلفاء والمناصرين . وذلك أن (رجلاً من هوازن يدعى عروة الرَّحَّال أجار لطيمة [1] للنعمان بن المنذر . فقال له رجل من بني ضمرة من كنانة يدعى البرّاض ... أتجيرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق كله . فخرج فيها عروة الرحال ، وخرج البراض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتيمن [2] ذي طلال بالعالية . غفل عروة ، فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام . فأتى آتٍ قريشاً وهم في سوق عكاظ ــ فخافوا اعتداء هوازن ــ فارتحلوا

---

(١) اللطيمة : العير تحمل البز والعطر . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (لطم) ص ١٤٩٥ مرجع سابق ، الروض الأنف السهيلي ٢/٢٣٤ مكتبة ابن تيمية القاهرة ١٤١٤ هـ) .

(٢) تيمن ذي طلال ، أو ظِلال : وادٍ بعالية نجد ، وقيل إلى جنب فَدَك . (انظر : معجم البلدان الحموي ٢/٧٩ مرجع سابق) .

وهوازن لا تشعر بهم . ثمَّ بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا ... ثمَّ التقوا بعد ذلك أياماً بعد أن استنجدت قريش ببني كنانة وهوازن بقيس عيلان) [1] . فهذه أحوال قبائل الجزيرة المفككة الأوصال . تغلبها المنازعات القبلية ، والاختلافات العنصرية ، والفوضى . حتى أن الوقوف مع القبيلة أمر واجب وإن كانت على الغواية .

وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غوتْ ∴ غويتُ ، وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةَ أَرْشُدِ [2]

إن هذا الوضع السياسي المفكّك كان له الأثر العظيم في الفساد العقدي والأخلاقي . ومع هذا كُلّه لا يُمكنُ أن نُغفلَ الجانب الحسن في الأمور التي كانوا يقتتلون من أجلها كالمحافظة على العرض ، وحماية المظلوم المستجير ، والصفات الحميدة التي كانوا يتصفون بها كالشجاعة ، والوفاء بالعهد ، والإباء ، وعزة النفس ، وقوة العزيمة ، والكرمِ .

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام م١/١٨٤ مرجع سابق . وانظر : أيام العرب في الجاهلية محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون ص ٣٢٢ ـ ٣٤١ دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

(٢) معجم شواهد النحو الشعرية د/ حنّا جميل حداد ص٦١ دار العلوم الرياض ط١ ١٤٠٤ هـ . ونسب البيت لدُريد بن الصمّة .

ثانياً : الحالةُ الدينيةُ :.

١ ـ عبـادةُ الأصنـامِ : ـ

كان عرب الجزيرة العربية في العموم يعبدون الأصنام الـتي كـانت تحيـط بالكعبـة ، وللقبائل خارج مكة أصنام يعكفون عليها ويقدمون لها القرابين والنذور ، حتى أصبح لكل قبيلة صنمٌ يُعبد بل قد تكون أصناماً . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي رجاء العطاردي ﷺ [1] قال : « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر . فإذا لم نجد حجراً جمعنا حفرة مـن تـراب ثـمَّ جئنـا بالشـاة فحلبنا عليه ثمَّ طفنا به » [2] . وهذه أبلغ صورة تصور انتكاسـة الفطـرة السـليمة الـتي كان يعيشها عرب الجزيرة . فهم في الأصل يعترفون بربوبية الله تعالى ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [3] . لكنهم ما كانوا يتصورون أن دعاءهم يحظى بالقبول عند الله من غير واسطة . فقالوا : ما نعبدهـم إلا ليقربونـا إلى الله زلفـى . أو يشـفعوا لنـا عنـد الله . ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**

---

(١) أبو رجاء العطاردي ، قيل اسمه عمران بن ملحان ، وقيل : عطارد ، من بني عطـارد مـن تميـم ، مخضـرم ، أسلم بعد الفتح ، مات سنة ١٠٥ هـ وقيل : ١٠٨ هـ . (انظر : أسـد الغابـة ابـن الأثـير تحقيـق محمـد إبراهيم البنا وآخرون ٢٧٩/٤ دار الشـعب بـدون تـاريخ ، الإصابـة ابـن حجـر ٧٤/٤ مرجـع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة ١١٩/٥ مرجع سابق .

(٣) سورة لقمان الآية ٢٥ .

عَمّا يُشْرِكُونَ ﴾ [1] .

فأصبحت عبادة الأصنام أمراً يتوارثونه ؛ يفنى عليه الكبير ويشب عليه الصغير . وقد يتفاخرون في تسمياتها والمحافظة عليها . ويرى المتأمل في قصصهم التناقض العجيب بين ما يعتقدونه بفطرتهم السليمة . وبين أفعالهم في عبادتهم لأصنام لا تضر ولا تنفع كما يعترفون بذلك . ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية في باب جهل العرب (أنه كان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة صنم يقال له سعد . عبارة عن صخرة بفلاة من أرضهم . فجاء أعرابي منهم بإبله إلى هذا الصنم يرجو البركة . فلما رأت الإبل الصنم وكانت مرعية لا تركب وكان الصنم يهراق عليه الدماء . نفرت منه الإبل وذهبت في كل وجه ، فغضب ربها وأخذ حجراً فرماه به ثمَّ قال : لا بارك الله فيك نفرت علي إبلي ثمَّ خرج في طلبها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ∴ فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرةٌ بتنوفةٍ [2] ∴ من الأرض لا يدعو لغي ولا رُشد) [3]

وكان لهذيل وبني ظفر من سليم صنم يقال له سواع برهاط [4] . فأرسلت بنو ظفر راشد بن عبد ربه السلمي بهدية من سليم لسواع . فعندما وصله وجد عنده ثعلبان يلحسان ما حوله ، ويأكلان ما يُهدى إليه ، ثمَّ يعوجان عليه ببولهما ، فعند

---

(١) سورة يونس الآية ١٨ .

(٢) التنوفة : المفازة ، أو الأرض الواسعة البعيدة لا ماء بها ولا أنيس . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (تنف) ص ١٠٢٧ مرجع سابق) .

(٣) البداية والنهاية ابن كثير ٢/١٧٧ مرجع سابق .

(٤) رُهاط : على بُعد ثلاث ليالٍ من مكة ، جهة المدينة ، كان فيه سواع صنم هذيل . (انظر : معجم البلدان الحموي ٣/١٢١ مرجع سابق) .

ذلك قال :

أربٌ يبول الثعلبان برأسه ∴ لقد ذل من بالت عليه الثعالب [١]

٢ ـ الكهانةُ : ـ

الكاهن : ـ هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ـ الجن ـ وكانوا قبل المبعث كثيراً . وأما بعد المبعث فإنهم قليل ، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب [٢] .

كان أهل الجاهلية يؤمنون بأخبار الكهنة بل يعتمدون عليهم في الإخبار بالأمور المستقبلية ، وكان هؤلاء الكهان يخوفونهم بالجن ، ويدّعون أن لهم رئياً [٣] من الجن يخدمونهم في نقل الأخبار ، ويذللون لهم الصعاب . وهم في الحقيقة يأخذون عن الجن مسترقي السمع وهم الأفاكون الذين ذكرهم الله تعالى ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [٤] . فقد يقول الكاهن الشيء ويصدق فيه لكنه من أخبار الجن ويزيدها بالكذب . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال : إنهم ليسوا بشيء . قالوا : يا رسول الله فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً . فقال النبي ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها من**

---

(١) انظر : البداية والنهاية ابن كثير ٢/٣٢٥ مرجع سابق .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٣٥ الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية ١٤٠٣ هـ .

(٣) الرِّئِيُّ : الصاحب من الجن الذي يراه صاحبه من الإنس (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٦٥٨ مرجع سابق) .

(٤) سورة الشعراء الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

الجني فَيَقُرُّها[1] **في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة** »[2] . فكان في كل قبيلة من قبائل العرب كاهنٌ أو كاهنةٌ . أمثال سواد بن قارب في قبيلة دوس ، وكاهن جنب في اليمن ، وشق وسطيح في اليمن أيضاً ، والغيطلة كاهنة كنانة ، وخطر بن مالك كاهن سليم[3] .

قال ابن خلدون : (كان العرب يفزعون إلى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون إليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من إدراك غيبهم - إلى أن قال ـ : وكذلك العرّافون كان في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم ، قال أحدهم : -

فقلت لعراف اليمامة داوني ∴ فإنك إن داويتني لطبيب

وقال آخر : -

جعلت لعراف اليمامة حكمة ∴ وعراف نجد إن هما شفياني

فقالا : شفاك الله ، والله ما لنا ∴ بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة ، وعراف نجد : الأبلق الأسدي)[4] .

والعرّاف : اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في المغيبات[5] .

---

(١) يَقُرُّها : بفتح أولها وضم ثانيها : يصبها ، يُقال : قررت على رأسه دلواً إذا صببته ، فكأنه صب في أُذنه الكلام . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٢١٩/١٠ مرجع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الطب باب الكهانة ٢٨/٧ مرجع سابق .

(٣) انظر : أسماء هؤلاء في عيون الأثر ابن سيد الناس تحقيق د / محمد الخطراوي ، محيي الدين مستو ١٥٧/١ دار التراث المدينة دار ابن كثير دمشق ط١ ١٤١٣ هـ .

(٤) تاريخ ابن خلدون ١٨٩/١ ، ١٩٠ دار الكتاب اللبناني نشر وزارة المعارف السعودية ١٩٨١ م .

(٥) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ٢٣٨ مرجع سابق .

٣ ـ عبادةُ الجنِ :ـ

ومن معبودات العرب الجن . وذلك أنهم كانوا يخافونهم ، ويستعيذون [١] بهم . حتى أن أحدهم إذا نزل وادياً قال : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه . لذلك يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴾ [٢] . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (كانت عادة العرب في جاهليتهم يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيءٍ يسؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته) [٣] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أيضاً أن كروم بن أبي السائب الأنصاري ﷺ [٤] قال : (خرجت معي أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فآوانا المبيت في الطريق إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً [٥] من الغنم فوثب الراعي فقال : يا عامر الوادي جارك ، فنادى مناد لا نراه يقول : يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ بمكة ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ**

---

(١) الاستعاذة : الإلتجاء والاعتصام . والعياذ يكون دائماً لدفع الشر . (انظر : نفس المرجع ص ١٢٤) .

(٢) سورة الجن الآية ٦ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣٧٤/٤ مرجع سابق .

(٤) كروم بن أبي السائب الأنصاري ، له صحبة ، ذكر ابن الأثير وابن حجر قصة خروجه مع أبيه وقصتهما مع الذئب . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٦٤/٤ ، الإصابة ابن حجر ٢٧٣/٣ مرجعين سابقين) .

(٥) الحَمَلُ : ولد الشاة . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٢٧٧ مرجع سابق) .

﴿ فَزَادوهُمْ رَهَقاً ﴾ [1] [2] .

وقال أيضاً : (وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل كان جنياً حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثمَّ رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه) [3] . وذكر السهيلي (أن حجاج بن علاط السلمي ﷺ قدم مكة في ركب ، فأجنّهم الليل بواد مخوف موحش ، فقال له الركب : قم خذ لنفسك أماناً ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أُعيذ نفسي وأُعيذ صحبي ∴ من كل جنيٍّ بهذا النقب

حتى أؤوبَ سالماً وركبي) [4]

هذه صورةٌ من حياتهم الدينية الضآلة . يستجيرون بمخلوق لا يرونه ويصرفون له نوعاً من أنواع العبادة وهي الاستعاذة . وهذه الصورة وما ذكرناه آنفاً من صور عبادتهم للأصنام واعتقادهم في الكهان والعرافين تُجلّي التناقض العجيب بين اعتقادهم في الربوبية والألوهية . وما ذاك إلا لبعدهم عن نور النبوة ، ولمحافظتهم على موروثات وآثار الآباء صحيحها وسقيمها ، ولأنهم أمة أمية .

وقد وصف الشيخ محمد قطب حالة العرب عموماً قبل الإسلام بهذا الوصف : (لقد كانت تستعبدهم في الحقيقة أربابٌ أربعة أو فئات أربع من الأرباب في آن

---

(١) سورة الجن الآية ٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣٧٥/٤ مرجع سابق ، ونسبها إلى ابن أبي حاتم . وقال : وروي عن عبيد بن عمير ، ومجاهد ، وأبي العالية ، والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي مثله .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) الروض الأنف السهيلي ٣٠٧/٢ مرجع سابق .

واحد . ربوبية الأصنام المعبودة ، والجن ، والملائكة ، وغيرها من المعبودات التي يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى أو لتشفع لهم عند الله . وربوبية القبيلة . وربوبية العرف الموروث عن الآباء والأجداد . وربوبية الهوى والشهوات) [١] .

٤ ـ اليهوديةُ : ـ

اليهودية : هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام ، والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً [٢] .

أما اليهود فهم تجمعٌ قام على ديانةٍ معينةٍ محرفةٍ اخترعها لنفسه ، عندما كفر بنبوة إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، ونهج النهج المعاكس ، ثمَّ تطوّرت هذه الديانة فيما بعد وأصبحت تقوم على الدّسّ والحقد والكراهية لبني البشر ممن سواهم [٣] .

الأعراب واليهودية في جزيرة العرب : ـ

لم أعثر على دليل يدل على تهود عرب البادية في الجزيرة العربية ، ولعل ذلك راجع للأسباب التالية : ـ

١ ـ انحصار اليهودية في قبائل اليهود الموجودة في يثرب ، والذين كانوا يستفتحون

---

(١) منهج التربية الإسلامية محمد قطب دار الشروق ٢٣/٢ بدون تاريخ .

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي مطبعة سفير الرياض ط١ ١٤٠٩ هـ .

(٣) اليهودية والماسونية الشيخ / عبدالرحمن الدوسري ص١٥ دار السنة للنشر والتوزيع الخبر ط١ ١٤١٤ هـ .

على العرب بمبعث نبي منهم يقتلونهم معه قتل عاد .

٢ - من طبيعة اليهود الإنكفاء على ديانتهم ، اعتقاداً منهم أنهم شعب الله المختار ، وبقية الشعوب أحقر من أن تدين باليهودية .

٣ - أن اليهودية قُضِي عليها عندما قُضي على دولتها السياسية عام ٥٨٦ ق.م على أيدي الآشوريين ، فلم يعد لهم في التاريخ ذكر ، وتفرقوا في الأمصار فنزلوا مصر وشمال أفريقيا ، ويثرب ، وخيبر [١] ، وتيماء [٢] ، وفدك [٣] ، واليمن ، وأنكفأوا على ديانتهم وحصروها في أنفسهم [٤] .

٤ - احتقار العرب لهم ، لما عُرفوا به من صفات ذميمة كالغدر ونقض العهود ، والقيام ببعض الحرف والصناعات المُحتَقَرَة عند العرب مثل مهنة الحدادة والنجارة التي لا يمتهنها إلا الوافدون أو العبيد أو اليهود [٥] .

---

(١) خيبر : قرية ذات نخيل . على ثمانية بُرد من المدينة لمن يريد الشام ، فتحها الرسول ﷺ سنة ٧ هـ ، ومعنى خيبر بلسان اليهود : الحصن ، وكان بها حصون كثيرة . (انظر : معجم البلدان الحموي ٤٦٨/٢ مرجع سابق) .

(٢) تيماء : بلد صغير بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام . كان أكثر أهلها يهود . قال فيها بعض الأعراب :

إلى الله أشكو ، لا إلى الناس ، أنني ∴ بتيماء تيماء اليهود غريبُ

(انظر : نفس المرجع ٧٨/٢) .

(٣) فدك : قرية بينها وبين المدينة يومان ، جهة الشام ، أفاءها الله على الرسول ﷺ صلحاً ، سنة خيبر ، فيها نخيل كثيرة . (انظر : نفس المرجع ٢٧٠/٤) .

(٤) انظر : مقارنة الأديان اليهودية د / أحمد شلبي ص ٩١ – ٩٨ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط١١ ١٩٩٣ هـ ، مكة في عصر ما قبل الإسلام السيد أحمد أبو الفضل ص٨٨ – ٩٠ طبع دارة الملك عبدالعزيز الرياض ط٢ ١٤٠١ هـ .

(٥) انظر : الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ عبدالعزيز العمري ص ٥٥ – ٥٦ بدون ذكر الناشر ط١ ١٤٠٥ هـ .

فلعلّ هذه الأسبابَ حالت دون اعتناق العرب لليهودية الموجودين في المدن الرئيسة كيثرب ، ناهيك عن عرب البادية .

و لم تذكر كتب التاريخ وجوداً بارزاً لليهودية غير تواجدهم في يثرب وخيبر ، وتيماءَ ، وفدكَ . و لم يكن لها انتشاراً ظاهراً بين قبائلِ العربِ في العموم [1] .

أما اليمنُ فقد اعتنقَ ملكُها تبعُ اليمانيُ اليهوديةَ وكان سبباً في انتشارِ هذه الديانة في مملكتِه لأن الناس على دينِ ملوكِهم . قال اليعقوبي : (فأما من تهود منهم ، فاليمنُ بأسرها ، كان تبعُ حمل حبرين من أحبارِ اليهودِ إلى اليمنِ ، فأبطل الأوثان ، وتهودَ من باليمنِ) [2] .

٥ ـ النصرانيةُ : ـ

أما النصرانية فكانت أسعد حظاً من سابقتها عند العرب . فقد اعتنقها الغساسنة والمناذرة ، ثمَّ تأثر بها بعض عرب البادية المتاخمين لهم ، وساعد على تأثرهم بها كون الملوك هناك من العرب ، ويفد إليهم عرب البادية ، ينالون من عطاياهم ويمتارون من أسواقهم ، وهم من بني جنسهم ويتفقون معهم في العادات والطباع .

ومن هذه القبائل التي اعتنق بعض أبنائها النصرانية قبيلة طيئ [3] . منهم عدي بن

---

(١) انظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب الآلوسي ٢/١٤١ دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية د / السيد عبدالعزيز سالم ص ٤٨٥ ، مكة في عصر ما قبل الإسلام السيد أحمد أبو الفضل ص ٨٩ مرجعين سابقين .

(٢) تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي ١/٢٥٧ دار صادر بيروت بدون تاريخ .

(٣) قبيلة طيئ : قبيلة عظيمة ، قحطانية ، كانت تسكن اليمن ، وخرجت بعد حادثة سد مأرب ، ثمَّ استقرت في شمال الجزيرة ، عند جبلي طيئ المسماة باسمهم ، منهم زيد الخيل الذي سماه الرسول ﷺ زيد الخير =

حاتم الطائي ﷺ [1] الذي كان على النصرانية قبل إسلامه ، وبعض تميم ، حتى قال فيهم طخيم بن أبي الطخماء :

وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ∴ ويرتاح قلبي نحوهم ويتوقُ [2]

وممن ذُكِر منهم عدي بن زيد العبادي التميمي الذي يدل على تنصره هذا البيت المنسوب إليه :

سعى الأعداء لا يألون شرا ∴ علي ورب مكة والصليب [3]

ودخلت بعض قبائل تغلب وقضاعة في النصرانية [4] . وقد روى أبو داود ـ رحمه الله ـ اعتراف أحد الأعراب بأنه كان على النصرانية فأسلم . وهو الصُّبَي بن معبد [5] قال « كنت رجلاً أعرابياً ، نصرانياً ، فأسلمت ، فأتيت رجلاً من عشيرتي يُقال له هذيم بن ثُرْمُلَة ، فقلت له : يا هَنَاه ، إني حريص على الجهاد ، وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليّ ، فكيف لي بأن أجمعهما ؟ قال : اجمعهما واذبح ما

=

عندما وفدوا عليه سنة ٩ هـ وأسلموا ، ومن فضائلهم أنهم تمسكوا بالإسلام عندما ارتدت العرب ، وقاتلوا مع المثنى في العراق . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٦٨٩/٢ مؤسسة الرسالة بيروت ط٦ ١٤١٢ هـ) .

(١) عدي بن حاتم بن عبدالله الطائي ولد الجواد المشهور ، أسلم سنة ٩ هـ ، وكان نصرانياً ، وثبت على إسلامه في الردة ، شهد فتح العراق ثمَّ سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ﷺ . مات سنة ٦٨ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ١٦٢/٣ ، الإصابة ابن حجر ٤٦١/٢ مرجعين سابقين) .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د / جواد علي ٥٨٤/٦ مرجع سابق .

(٣) انظر : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب الآلوسي ٢٦٢/٢ ، ٢٦٣ ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية د / السيد سالم ص ٥٨٤ مرجعين سابقين .

(٤) انظر : بلوغ الأرب الآلوسي ٢٤١/٢ مرجع سابق .

(٥) الصُّبَيّ بن معبد التغلبي ، ثقة ، مخضرم ، نزل الكوفة . (انظر : تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٧٤ مرجع سابق) .

استيسر من الهدي ، فأهللت بهما معاً ، فلما أتيت العُذَيْبَ [1] لقيني سلمان بن ربيعة وزيد بن صوحان وأنا أُهِلُّ بهما جميعاً . فقال : أحدهما للآخر : ما هذا بأفقه من بعيره ، قال : فكأنما أُلقي عليَّ جبل ، حتى أتيت عمر بن الخطاب ﷺ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إني كنت رجلاً أعرابياً نصرانياً وإني أسلمت ، وأنا حريص على الجهاد ، وإني وجدت الحج والعمرة مكتوبين عليَّ ، فأتيت رجلاً من قومي فقال لي : اجمعهما واذبح ما استيسر من الهدي ، وإني هللت بهما معاً ، فقال لي عمر بن الخطاب ﷺ : هديت لسنة نبيك ﷺ » [2] .

ووجدت النصرانية في نجران جنوب الجزيرة ، كما هو معروف من وفودهم على الرسول ﷺ ، وقصة المباهلة كما في كتب التفسير والسير ، وذلك يدل على أن للنصرانية انتشاراً في قبائل العرب في جنوب الجزيرة .

٦ ـ دياناتٌ أخرى : ـ

ذكر محمود شكري الآلوسي ـ رحمه الله ـ أدياناً أخرى للعرب في العموم منها عبادة الشمس والقمر والملائكة والنار . وذكر أن طائفةً من بني تميم عبدوا الكواكب ، وفي ذلك يقول الشاعر :

أما ابن طوق فقد أوفى بذمته ∴ كما وفى بقلاص النجم حاديها [3]

---

(١) العُذَيْب : واد لبني تميم بينه وبين القادسية أربعة أميال ، وهو أحد منازل حاج الكوفة . (انظر : معجم البلدان الحموي ١٠٣/٤ مرجع سابق) .

(٢) سنن أبي داود كتاب المناسك باب في الإقران ١٥٨/٢ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٣٨/١ مرجعين سابقين .

(٣) حاديها : المقصود به نجم الدبران . والقلاص : الثريا . زُعِمَ أن الدبران يتبعها خاطباً لها . (انظر : بلوغ الأرب الآلوسي ٢٣٩/٢ مرجع سابق) .

وعبدت خُزاعة وبعض قبائل لخم نجم الشعرى [1] . وقد ورد في قول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ [2] .

٧ ـ الحنفاءُ : ـ

ومع هذا التخبط الديني ، والوثنية الجاثمة على عرب الجزيرة ، والملل المختلفة . إلا أن الفطرة السليمة والعقل الحكيم بعد التوفيق الإلهي ، كانت لا تزال حيةً في نفوس البعض من أبناء العرب الذين لم تقبل عقولهم عبادة الأصنام التي هي من مخلوقات الله، فالخالق هو المستحق للعبادة . فبقوا على الحنيفية السمحة ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام . فلا زالت أسماؤهم وأفعالهم نوراً في دياجير ظلمات تلك الجاهلية . وهذا واحدٌ من هؤلاء من عرب البادية : ـ

قسُ بن ساعدةِ الإياديُ [3] : ـ

روى ابنُ سيدِ الناس في عيون الأثر بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ فقال : أيكم يعرف القس بن ساعدة الإيادي ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله نعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا :**

---

(١) انظر : نفس المرجع ٢/٢١٥ ـ ٢٣٩ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧/١٢١ مرجع سابق .

(٢) سورة النجم الآية ٤٩ .

(٣) قس بن ساعدة بن جذامة الإيادي ، بليغ خطيب ، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكأ على عصا في الخطبة ، كان يقول في آخر خُطبه في الأسواق : قد أظلّكم زمن دين قادم ، طوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويلٌ لمن خالفه ، وكانت العرب تعظمه وتضرب بأشعاره الأمثال . (انظر : الإصابة ابن حجر ٣/٢٦٤ مرجع سابق) .

هلك . قال : ما أنساه بعكاظ على جملٍ أحمر ، وهو يقول : أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ... ثمَّ روى قصة قدوم الجارود سيد بني عبد القيس عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وسؤال الرسول ﷺ عن قس بن ساعدة فأخبروه أنه أول من تأله من العرب . وفي نهاية القصة قال ﷺ : **رحم الله قساً إني أرجو أن يبعثه الله** ﷻ **أمةً وحده** » [1] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ قصة وفد إياد وقول الرسول ﷺ : « **لقد شهدته يوماً بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلامٍ معجب موفق لا أجدني أحفظه** » فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال : أنا أحفظه يا رسول الله ، قال : فسُرّ النبي ﷺ بذلك ، قال : فكان بسوق عكاظ ... ـ وذكر كلامه وفيه ـ أقسم قسٌ با لله قسماً لا ريب فيه . أن لله ديناً هو أرضى من دينكم » [2] .

وقصة قس بن ساعدة تبين أنه كان على الحنيفية ، وكان يدعو قومه إلى ترك عبادة الأصنام ويحذرهم عذاب الآخرة ويبشرهم بمبعث نبي عربي ويدعوهم إلى نصرته والإيمان به .

---

(١) عيون الأثر ابن سيد الناس ١/١٤٦ ـ ١٥٠ ، وذكر بعضها ابن حجر في الإصابة ٣/٢٦٥ مرجعين سابقين .

(٢) البداية والنهاية ابن كثير ٢/٢١٤ ـ ٢٢٠ مرجع سابق . وقد ساق روايات قدوم الوفد وسؤال الرسول ﷺ عن قس بن ساعدة وذكر رواتها وهم الطبراني في المعجم ، والبيهقي في الدلائل وغيرهم ، ثمَّ قال : « وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة » .

ثالثاً : الحالةُ الإجتماعيةُ :.

قدمت سابقاً عرضاً سريعاً للحالة الدينية في الجزيرة العربية ، وقد بلغت مبلغاً عظيماً في الإنحطاط الذي يصادم الفطرة ، وهذا كان له الأثر العظيم على الحالة الإجتماعية لأنها لا تنفصل عنها . فنتج عن ذلك سلوكياتٌ اجتماعية تصادم الفطرة . وأوضح وصفٍ لحالتهم قد جاء في وصف المغيرة بن شعبة ﷺ [1] بين يدي يزدجرد - فيما ذكره ابن كثير - قال : (قال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم ، لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ، فإن كان عددكم قد كثر ، فلا يغرنكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم ...

فقال المغيرة بن شعبة ﷺ : أيها الملك ... - إلى أن قال - فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا . وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ، ونرى ذلك طعامنا . وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل ، وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ، وأن يبغي بعضنا على بعض ، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامه ، وكانت حالتنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلاً منا ...) [2] .

---

(١) ستأتي ترجمته إن شاء الله ص ٩٨ .

(٢) البداية والنهاية ابن كثير ٤٢/٧ ، وروى البخاري نحوه صحيح البخاري كتاب الجزية باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ٦٣/٤ مرجعين سابقين .

هذه صفة مجتمعهم وطعامهم ولباسهم ، ومنازلهم تبعاً لإبلهم وغنمهم يتنقلون معها ويبغي بعضهم على بعض ، ويعتدي قويهم على ضعيفهم وأعراف القبيلة هي السائدة والمقدمة على كل أمر .

أما النكاح وإشباع الشهوة الجنسية فقد جاء في وصف أم المؤمنين عائشة [1] - رضي الله عنها - لها ما يبين سوء الحالة التي كان عليها . روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « إن النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء : فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثمَّ ينكحها . ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها [2] : أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها لا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبةً في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع . ونكاح آخر : يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعتْ ومرت ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجلٌ منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدتُ فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل . ونكاحُ الرابع : يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن فإذا

---

(١) ستأتي ترجمتها إن شاء الله ص ١٣٤ .

(٢) طمثها : حيضها .

حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة [1] ثمَّ ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به [2] ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك . فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم » [3] .

فأي سفاح غير هذا السفاح ، وأي رذيلة غير هذه الرذيلة .

وهذه أبيات تصف ملذاتهم التي يفتخرون بها من شرب للخمر ، وإشباع للذة الجنسية ، وإجابة منادي القتال مهما كان .

فلولا ثلاثٌ هن من عيشةِ الفتى ∴ وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوَّدِي [4]
فمنهنَّ سبْقُ العاذلاتِ بشربةٍ ∴ كُمَيتٍ متى ما تُعْلَ بالماءِ تُزبِدِ [5]
وكرِّي إذا نادى المُضافُ مُحنَّباً ∴ كَسِيدِ الغَضَى نَبَّهْتَهُ المُتَوردِّ [6]
وتقصيرُ يومِ الدَّجن والدَّجنُ معجبٌ ∴ بِبَهكنةٍ تحتَ الخباءِ المُعمَّدِ [7][8]

---

(١) القافة : جمع قائف ، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالآثار الخفية .

(٢) فالتاط به : التصق به ، أي لحق به . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٨٥/٩ مرجع سابق) .

(٣) صحيح البخاري كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي ١٣٢/٦ مرجع سابق .

(٤) وجدِّك : أي وأبيك ، لم أحفل : لم أُبال ، العُوَّد : الذي يعوده عند مرضه .

(٥) الكُميت : الحمراء التي تضرب إلى السواد ، ما تُعَل بالماء : تمزج به ، ويعني بذلك الخمر .

(٦) المضاف : الذي أضافته الهموم ، المُحنَّب : الذي قد بدت عظامه ، السيدِ : الذئب ، الغضا : شجر ، نبهته : هيجته ، المتورد : الذي يطلب أن يرد الماء . ويصف هنا إجابته لمنادي القتال .

(٧) الدَّجن : الندى والمطر الخفيف ، يُعجب ويسر من رآه ، البهكنة : حسنة الخلق ، ويروى بهيكلةٍ وهي الفخمة العجز والفخذين ، والخباء : بيت الأعراب من الشعر ، المُعمَّد : الذي له أعمدة . ويصف هنا لذته مع خليلةٍ له وقد اختلى بها .

(٨) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ابن النحاس ٨١/١ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ . وفيه شرح الأبيات وهي من معلقة طرفة بن العبد البكري .

ومع وجود الزنا إلا أنه عيب كبير أن تزني الحرة وتخون بعلها وقبيلتها . أما الرجال فقد يفتخرون بالزنا ويذكرونه لكنه مع سفلة النساء والإماء وما يُمتلك من آثار الحروب [1] .

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د / جواد علي ١٣٣/٥ مرجع سابق .

رابعاً : الصفاتُ الحميدةُ :.

مع وجود بعض الصفات الذميمة في عرب البادية ، الناتجة عن تغلغل الجهل الذي غطّتْ ظلماته أنحاء الجزيرة ، فاستحكمت فيها الموروثات الذميمة ، وانطمست بصائرها ، فضلّت عن سلوك الجادّة السليمة .

إلا أنها مع هذا كله بلغت مبلغاً عظيماً في كثيرٍ من الصفات التي لا توجد في غيرها من المجتمعات . فأصبحت نوراً يتلألأ في غياهب تلك الظلم ، إلى أن جاء الإسلام فصبغها بصبغته ، وأزاح ما يعتريها من شوائب . بل ساعدت هذه الصفات في تقبلهم لهذا الدين والإنضواء تحت لوائه . ومن هذه الصفات : ـ

١ ـ الكرمُ

بلغ الأعراب فيه مبلغاً عظيماً . حتى أصبح صفة ملازمة لهم لا تنفكّ عنهم . فتفاخروا به في أسواقهم ، وذكروه في أشعارهم ، وضحوا في سبيله بأغلى ما يملكون.

حتى قال أحدهم : إني ما اقتنيت الكلاب إلا لأنها تدل الأضياف على منزلي :

أوصيكَ خيراً به فإنَّ به ∴ خلائقاً لا أزالُ أحمدُها

يدلُّ ضيفي عليَّ في غسقِ الليلِ ∴ إذا النارُ نامَ موقدُها [١]

ويقول حاتمٌ الطائيُ : إني ما بلغت السيادة في قومي إلا لكرمي وجودي :

يقولون لي أهلكت مالكَ فاقتصد ∴ وما كنتُ لولا ما تقولون سيدا [٢]

---

(١) بلوغ الأرب الآلوسي ٧١/١ مرجع سابق .

(٢) تاريخ العرب في عصر الجاهلية السيد عبدالعزيز سالم ص ٤٤١ مرجع سابق .

وتقول الخنساء السُلَمِيةُ (١) ـ رضي الله عنها ـ في رثاء أخيها صخر ، تعدد خصاله التي منها الكرمُ :

وإن صخراً لكافينا وسيدنا ∴ وإنَّ صخراً إذا نشتو لنحار (٢)

٢ ـ الشجاعةُ

اتصف عربُ البادية بشجاعة نادرة تفوق شجاعة أهل المدن . وذكر ابن خلدون سبباً في ذلك فقال : (والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ... إلى أن قال : وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم في الضواحي ، وبعدهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب ، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سواهم ... واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم البأس خُلقاً ، والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفرهم صارخ) (٣) .

وكان عرب البادية فخورين ببداويتهم ، كثيري الحنين إليها إذا أبعدوا عنها ، أو اضطروا إلى البقاء في المدن ولو لوقت يسير ، مزدرين الحضر ونعيمهم وترفهم وركونَهم إلى الدعة . يقول أحدهم :

الموقدون بنجدٍ نارَ باديةٍ ∴ لا يحضرون وفقدُ العزِ في الحضرِ (٤)

---

(١) تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، مشهورة بالخنساء ، شاعرة مشهورة ، وفدت مع قومها على الرسول ﷺ وأسلمت . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٧٩/٤ مرجع سابق) .

(٢) تاريخ العرب في عصر الجاهلية السيد عبدالعزيز سالم ص ٤٤٢ مرجع سابق .

(٣) تاريخ ابن خلدون ٢١٨/١ ـ ٢١٩ دار الكتاب اللبناني بيروت توزيع وزارة المعارف السعودية ١٩٨١م .

(٤) بلوغ الأرب الآلوسي ٤٢٦/٣ مرجع سابق .

ويقول الآخر في مدح بني شيبان المقيمين في البادية بين أشجار الضّال [١] والسَّلم [٢] ، يعيشون عيشة أُسد الغاب .

هذا أبو الصقرِ فرداً في محاسنهِ ∴ من نسلِ شيبانَ بين الضّالِ والسَّلمِ [٣]

٣ ـ العِفَّـةُ

العفةُ من الصفات التي كان العرب يتوارثونها ، ويفتخرون بها . يقول عنترةُ :

وأغضُّ طرفي إن بدت لي جارتي ∴ حتى يواري جارتي مثواها [٤]

وتقول الخنساء ـ رضي الله عنها ـ في رثاء أخيها صخر أن من سجاياه العفة وغض الطرف :

لم ترهُ جارةٌ يمشي بساحتِها ∴ لريبةٍ حين يخلي بيتَه الجارُ [٥]

وإذا وجِدِ في أشعار العرب ما يصف الأخدان ، ويُصرِّح بالزنا . فإنه إنما يكون لسواقط النساء . أما الحرائر فهن محميات ، وذلك لأهمية حفظ الشرف عند العرب وأهل البادية خاصة .

هذا عرض موجز لأحوال البادية السياسية والدينية والاجتماعية قبل مبعث

---

(١) الضّال : شجر السدر . (انظر : لسان العرب ابن منظور ١١/٣٩٧) .

(٢) السّلم : نوع من أشجار العضاة التي تنبت في البادية . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٤٤٨ مرجع سابق) .

(٣) بلوغ الأرب الآلوسي ٣/٤٢٦ مرجع سابق .

(٤) تاريخ العرب في عصر الجاهلية عبدالعزيز سالم ص ٤٤٥ مرجع سابق .

(٥) نفس المرجع والصفحة .

النبي ﷺ ، وما فيها من غثٍ وسمين ، إلا أنهم كانوا أحوج ما يكونون لمنقذٍ ينتشلهم من أدران الشرك وفساد المعتقد إلى الصفاء العقدي في توحيد الله ، ومن الفرقة والعدواة والبغضاء إلى الوحدة والتعاون والإلتفاف حول كيان واحد يهابهم فيه الأعداء ، ومن فساد الخلق ومهاوي الرذيلة إلى مكارم الأخلاق .

فكان المنقذ ـ بفضل الله ـ هو رسول الله ﷺ ، الذي بُعث على حين فترة من الرسل ، وقد بلغ الشرك مبلغه ، والشر ذروته ، فحان قِطافُه على يده ﷺ ، فقضى على الشرك ، وقوَّم الأخلاق ، وبنى مجتمعاً هو خير المجتمعات بكل ما أعطاه الله من قوة بيانية وقتالية . وهذا ما تبينه الفصول القادمة بإذن الله تعالى .

الفصل الأول

موضوع دعوة النبي ﷺ للأعراب

- **توطئـــة .**

- **المبحث الأول :**

دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال العقيدة .

- **المبحث الثاني :**

دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال الشريعة .

- **المبحث الثالث :**

دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال الأخلاق .

توطئــة :-

مفهومُ موضوع الدعوةِ

(موضوع كل علم ما يبحث فيه عوارضه الذاتية ، كبدن الإنسان لعلم الطب ، فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض ، وكالكلمات لعلم النحو ، فإنه يُبحث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء) [1] .

(الموضوع : هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه) [2] .

أما موضوع الدعوة : - (فهو الإسلام الذي يعمل الداعية على تبليغه وتعليمه وتطبيقه) [3] . ونعني الإسلام بمعناه الشامل للعقيدة والشريعة والأخلاق ، الذي بلّغه النبي ﷺ لجميع فئات الناس بما يناسب حال البلاغ وحال المُبَلَّغ ، لأنه ﷺ تميّز بخلال كريمة ، من أهمها الحكمة [4] ، حيث أنها هبةٌ ربانية يمنحها ا لله لمن يشاء من عباده . قال تعالى : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ [5] . ويُكسِبها بالتعلم والتربية من يشاء ، قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ**

---

(١) معجم المصطلحات العلمية ابن منظور ص ٧٢٤ .

(٢) المعجم الوسيط إخراج د/ إبراهيم أنيس وآخرون ٢/١٠٤٠ دار الفكر بدون تاريخ .

(٣) المدخل إلى علم الدعوة محمد البيانوني ص ٣٥ مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٤ هـ .
وانظر : الحكمة في الدعوة إلى ا لله رسالة ماجستير مطبوعة سعيد بن وهف القحطاني ص ١١٦ مطبعة سفير الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .

(٤) الحكمة : هي الإصابة في الأقوال والأفعال ، ووضع كل شيء في موضعه . (انظر : نفس المرجع ص ٢٧) .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٦٩ .

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [١] . فهو ﷺ معلّم الحكمة ، لموافقته الصواب في أقواله وأفعاله وأموره كلها . لأن الله قد ملأ قلبه بالحكمة والإيمان . فقد روى الإمام البخاري ــ رحمه الله ــ بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه [٢] قال : كان أبو ذرٍ رضي الله عنه [٣] يُحدِّث أن رسول الله ﷺ قال : « **فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ، فَفَرَجَ صدري ، ثمَّ غسله بماء زمزم ، ثمَّ جاء بطستٍ من ذهب ممتلئٍ حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري ، ثمَّ أطبقه ، ثمَّ أخذ بيدي فَعَرَجَ بي إلى السماء الدنيا ...** » [٤] .

وفئة الأعراب من الناس الذين كان يتعامل معهم رسول الله ﷺ ، ويعرض عليهم دعوته . وطبائعهم وسلوكهم تحتاج إلى تلك الحكمة النبوية ، ليُبلغ العقيدة التي جاء بها ، والأحكام العملية التي تترجمها ، والسلوك القويم الذي يظهر على حياة الأعرابي

---

(١) سورة الجمعة الآية ٢ .

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي ، الصحابي الجليل . أتت به أمه إلى الرسول ﷺ وهو ابن عشر سنين ، فقالت : هذا أنس غلام يخدمك فَقَبِلَه ، فخدمه عشر سنين . ودعا له الرسول ﷺ قائلاً : « **اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته** » صحيح البخاري كتاب الدعوات باب دعوة النبي ﷺ لخادمه ١٥٤/٧ مرجع سابق . فكانت له أرض تثمر في السنة مرتين ، وَولد لصلبه مائة وستة ، وتجاوز عمره مائة سنة . روى كثيراً عن الرسول ﷺ وعن جمع من الصحابة ، وكان آخر الصحابة موتاً بالبصرة ، قيل : سنة ٩٢ هـ ، وقيل : سنة ٩٣ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٣٩٥/٣ ، الإصابة ابن حجر ٨٤/١ مرجعين سابقين) .

(٣) جندب بن جنادة الغفاري ، أبو ذر ، وفد إلى الرسول ﷺ في مكة ، وأسلم ، فكان من السابقين إلى الإسلام ، أمره الرسول ﷺ أن يعود إلى دياره ، ويقدم إذا أظهره الله . وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة قَدِم عليه أبو ذر ، وأقام معه في المدينة ولازمه ، وكان رأساً في الزهد ، والصدق ، والعلم ، والعمل ، قوّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فيه حِدَّة ، روى كثيراً عن الرسول ﷺ ، وشهد كثيراً من غزواته ، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه . خرج إلى الربذة ومات بها . قيل سنة ٣١ هـ . وقيل : ٣٢ هـ . (انظر : المرجعين السابقين ٦٣/٤ ، ٤٦/٢) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ٩١/١ مرجع سابق .

نتيجة لما اعتقده ، وصدقه قلبه ، وعملت به جوارحه .

وهذا الفصل معقود لاستعراض موضوع دعوة النبي ﷺ للأعراب في مجال العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق .

المبحثُ الأولُ :.

دعوةُ النبيِ ﷺ للأعرابِ في مجـال العقيـدة .

وفيه ثمانيةُ مطالبَ

المطلبُ الأولُ :.

تعريف العقيدة

المطلبُ الثاني :.

الإيمانُ با لله

المطلبُ الثالثُ :.

الإيمانُ بالملائكة

المطلبُ الرابعُ :.

الإيمانُ بالكتب

المطلبُ الخامسُ :.

الإيمانُ بالرسل

المطلبُ السادسُ :.

الإيمانُ باليوم الآخر

المطلبُ السابعُ :.

الإيمانُ بالقدر خيرهِ وشرهِ

المطلبُ الثامنُ :.

تصحيحُ مفاهيمَ عقديةٍ عند الأعرابِ .

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ العقيدةِ

١ ـ العقيدةُ في اللغةِ :ـ

وردتْ بعدةِ معانٍ منها :ـ

عَقَدَ الحبلَ والبيعَ والعهدَ : أي شدَّه .

العَقْدُ : أي الضمانُ والعهدُ .

العَقْدِ : هو ما عُقِدَ عليه ، والبيعةُ المعقودةُ لهم . تعاقدوا : أي تعاهدوا [١] .

الاعتقاد : مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة له ، بمعنى عقد عليه الضميرَ والقلبَ ودان الله به [٢] .

ومما تقدم يتضح ويتبين أن العقيدة معناها : الاعتقاد الجازم الذي يعتقده القلب تديناً .

٢ ـ العقيدةُ في الاصطلاح :ـ

العقيدة :ـ هي الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد [٣] .

العقيدة :ـ هي ما يصدقه العبد ويدين به ، فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما

---

(١) القاموس المحيط الفيروزآبادي (مادة عقد) ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ مرجع سابق .

(٢) (انظر : شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هرّاس ص ١٦ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣ هـ) .

(٣) شرح لمعة الاعتقاد الشيخ / محمد الصالح العثيمين ص ١٤ مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤٠٤ هـ .

بعث الله به رسله وأنزل به كتبه فهي عقيدة صحيحة ، وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة [1] .

٣ ـ العقيدةُ الإسلامية في الاصطلاح الشرعي : ـ

الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

وهذه هي أركانُ الإيمانِ الستةُ الواردةُ في الحديث المشهور ، كما رواه الإمامُ مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال : « **بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من**

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د/ صالح بن فوزان الفوزان ٦/١ طبع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ط١ ١٤١٠ هـ .

السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها [(١)] ، وأن ترى الحفاة العراة العالة [(٢)] رعاء الشاءِ يتطاولون في البنيان . قال : ثمَّ انطلق فلبثت ملياً [(٣)] ، ثمَّ قال لي : يا عمر أتدري من السائل ، قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم » [(٤)] .

هذا الحديث مُفَصِّلٌ لمراتب الدين الثلاث ، أولها : الإسلام بدءاً بالشهادتين ، ثمَّ بقية الأركان التي هي تفصيل عملي للشهادتين [(٥)] اللتين هما أساس الدخول في الإسلام ، وتعصم المال والدم ، لأنها أصل الأعمال الظاهرة ، والأحكام تُجرى على الظاهر والله يتولى السرائر . فقد روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي مالك [(٦)] عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **مَن قال : لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم ماله ودمه ، وحسابه على الله** » [(٧)] . لكنّها لا تنفع

---

(١) ربَّها وربَّتها : سيّدها ومالكها ، وسيدتها ومالكتها . وهو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن ، وقيل : إن الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته .

(٢) العالة : الفقراء .

(٣) مليّاً : وقتاً طويلاً . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٥٨ ـ ١٦٠ مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب تعريف الإسلام والإيمان ١/٢٩ مرجع سابق .

(٥) انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن بن قاسم ١/٧٦ المطبوعة بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

(٦) أبي مالك سعد بن طارق بن أُشيم الأشجعي ، الكوفي . روى عن أبيه الصحابي طارق بن أُشيم ﷺ (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٦/١٨٤ ، الإصابة ابن حجر ٢/٢١٠ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٣١ مراجع سابقة .)

(٧) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمداً رسول الله ١/٣٩ مرجع سابق .

صاحبها إلا مع اعتقادها والعمل بمقتضاها باطناً وظاهراً ، ولا يعمل بمقتضاها إلا مَن صدَّق بأركان الإيمان الستة فيكون عمله الظاهري ناتجاً عن يقينٍ وقبولٍ وانقيادٍ ، ولذلك يُسمى العمل إيماناً ، يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ [1] « **أن رسول الله ﷺ سُئِل : أي العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . قيل : ثمَّ ماذا ؟ قال : حجٌّ مبرور** » [2] . وغير ذلك أحاديث كثيرة . وعلى هذا الفهمِ والأساسِ عَرَّف أهل السنة والجماعة الإيمان .

٤ ـ تعريف الإيمان : ـ

الإيمان في اللغة : ـ

آمَنَ به إيماناً : أي صدّقه .

الإيمان : الثقة وإظهار الخضوع ، وقبول الشريعة .

أعطيتُه من آمَنِ مالي : من خالصه وشريفه [3] .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [4] .

ومن هذا يتبين أن معناه اللغوي : تصديق القلب .

---

(١) عبدالرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة ، كنّاه بهذه الكنية الرسول ﷺ ، أسلم في السنة السابعة ، وشهد ما بعدها من الغزوات ، لزم النبي ﷺ وروى عنه الكثير من الأحاديث ، حتى كان أكثر الصحابة حفظاً ورواية ، فنال مرتبة الإمامة في الحديث ، مات بالمدينة سنة ٥٧ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ، والاستيعاب ابن عبدالبر المطبوع معه ٢٠٠/٤ مرجعين سابقين) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب من قال إنَّ الإيمان هو العمل ١٢/١ مرجع سابق .

(٣) انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي (مادة أمن) ص ١٥١٨ مرجع سابق .

(٤) سورة يوسف الآية ١٧ .

الإيمان في الاصطلاح الشرعي : -

تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعملٌ بالأركان [1] .

يقول الشيخ محمد العثيمين : (الإيمان : هو الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان ، أما مجرد أن يؤمن الإنسان بالشيء بدون أن يكون لديه إذعان ، فهذا ليس بإيمانٍ) [2] .

ولهذا سأحصر القول في هذا المبحثِ - إن شاء الله تعالى - على الجانب الاعتقادي - المتمثلِ في أركان الإيمان الستة وما يتعلق بالأمور العقدية - باعتباره أصلاً من أصولِ موضوعِ دعوةِ النبي ﷺ للأعرابِ .

---

(١) انظر تعريف الإيمان في المراجع التالية : شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٤٤ - ١٤٧ مرجع سابق . مجموع فتاوى ابن تيمية ٧/٦٤٤ ، شرح العقيدة الطحاوية علي بن أبي العز الدمشقي تحقيق شعيب الأرنؤوط ص ٣٠٨ طبع مكتبة المؤيد الطائف ط١ ١٤٠١ هـ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/٤٦ ، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني ١/١١٥ ، ١١٦ مراجع سابقة .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ / محمد الصالح العثيمين جمع فهد السليمان ٣/١٤٦ دار الوطن الرياض ط الأخيرة ١٤١٣ هـ .

المطلبُ الثاني :.

الإيمانُ بالله تعالى

يعني الإيمـان بـا لله ، الاعتقـاد بأنـه الواحـد الأحـد ، في ربوبيتـه وألوهيتـه وأسمائـه وصفاته [1] . وعند تتبع سيرة الرسول ﷺ وسنته ، في مواقفه ودعوته للأعـراب نـرى أنه يهتم بجانب إخلاص العبادة لله ، وعدم الإشراك به ، هذا في جانب الألوهية ، أمـا الربوبية فالأعراب كبقية العرب يُقرون بها ، لكن يبينها ﷺ إذا سئل عنها ، وذلك في مواقف قليلة ، أو إذا احتاج الموقف إلى بيانها .

روى الإمـام مسـلم بسـنده عـن أنـس بـن مـالك رضي الله عنه قـال : « **نُهينـا أن نسـأل رسـول اللـه ﷺ عن شـيءٍ ، فكـان يُعجبنـا أن يجـيء الرجل مـن أهـل الباديـة العاقل ، فيسأله ونحن نسمع ، فجاء رجلٌ من أهل الباديـة ، فقـال : يـا محمـد ! أتانا رسولك فزعم لنا أنك تَزْعُمُ أن الله أرسلك . قال : صدق . قال : فمن خلق السماء ؟ قال : الله . قال : فمن خلق الأرض ؟ قال : الله . قـال : فمـن نصـب**

---

(١) توحيد الربوبية : الإقرار بأن ا لله وحده هو الخالق للعالم ، وهو المدبر ، المحيي ، المميت ، وهـو الـرزاق ذو القوة المتين ، فهو توحيد ا لله بأفعاله .

توحيد الألوهية : هو إفراد ا لله بجميع أنواع العبادة . من خـوف ورجـاء ، وتوكـل ، ومحبـة ، واستعانة ، واستغاثة . فهو إفراد ا لله بأفعال العباد .

توحيد الأسماء والصفات : يعني إثبات ما أثبته ا لله لنفسه ، أو أثبته لـه رسـوله ﷺ مـن صفـات الكمـال ، ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص . ويكون ذلك من غير تشـبيه ولا تمثيـل ولا تعطيل ولا تكييف .

(انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د/ صالح الفوزان ص ١٧ ، ١٩ ، ١١٩ طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء و الدعوة والإرشاد ط١ ١٤١٠ هـ) .

هذه الجبال ، وجعل فيها ما جعل ؟ قال : الله . قال : فبالَّذي خلق السماء ، وخلق الأرض ، ونصب هذه الجبال ، آلله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا . قال : صدق . قال : فبالَّذي أرسلك ، آلله آمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا زكاةً في أموالنا . قال : صدق . قال : فبالَّذي أرسلك ، آلله آمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا صومَ شهرِ رمضان في سنتنا . قال : صدق . قال : فبالَّذي أرسلك ، آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : وزعم رسولك أن علينا حجَّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً . قال : صدق . قال : ثمَّ ولَّى . قال : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن . فقال النبي ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة » [1] .

وفي رواية البخاري « ... **قال : إني سائلك فمشدِّد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك . فقال : سل عمّا بدا لك . فقال : أسألك بربك ورب من قبلك ، آلله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ فقال : اللهم نعم .** ـ وما سأله مَن خلق السماء والأرض ، وفي نهاية الحديث ـ **قال : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول مَن ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة [2] أخو بني سعد بن بكر » [3] .**

---

(١) صحيح الإمام مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمان با لله وشرائع الدين ٣٢/١ مرجع سابق .

(٢) ضمام بن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر ، كان سيداً في قومه . أوفدوه إلى الرسول ﷺ ـ كما في الحديث ـ فأسلم وعاد إلى قومه وكان أول كلامه لهم : بئست اللات . فخوفوه بها . فقال : ويلكم إنها لا تضر ولا تنفع ، فما أمسى ذلك اليوم وفي حاضرته من رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم أفضل منه . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٠٢/٢ ، المطبوع معه كتاب الاستيعاب لابن عبدالبر ٢٠٧/٢ مرجعين سابقين) .

(٣) صحيح الإمام البخاري كتاب العلم باب القراءة والعرض على المحدّث ٢٣/١ مرجع سابق .

هذا الحديث جامعٌ لأمور كثيرة ، والسائل رجلٌ من البادية ، كما صرّح بذلك راوي الحديث ، بل هو ضمام بن ثعلبة ﷺ من قبيلة بني سعد بن بكر ، كما صرّح هو بذلك . فقد اتصف بالعقل الرصين الراجح ، الذي كان يتمناه أصحاب الرسول ﷺ عندما كانوا يقولون : يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأل الرسول ﷺ ونحن نستمع ونستفيد . قال النووي ـ رحمه الله ـ نقلاً عن صاحب التحرير : (هذا من حسن سؤال هذا الرجل وملاحة سياقته ، وترتيبه ، فإنه سأل أولاً : عن صانع المخلوقات ، من هو ؟ ، ثمَّ أقسم عليه به أن يصدقه في كونه رسولاً للصانع ، ثمَّ لما وقف على رسالته وعلمها أقسم عليه بحق مرسله ، وهذا ترتيب يفتقر إلى عقل رصين ، ثمَّ إن هذه الأيمان جرت للتأكيد وتقرير الأمر لا لافتقاره) [1] . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (قال عمر بن الخطاب ﷺ : ما رأيت أحسنَ مسألةً ولا أوجزَ من ضمام) [2] . وكانت إجابة الرسول ﷺ أوجز وأبلغ ، فما تجاوزت قوله : صدق ، نعم .

فالحديث يحمل فوائد جمَّة منها :

١ ـ إثبات الربوبية لله تعالى .

٢ ـ الإقسام أو الحلف بالخالق .

٣ ـ إثبات رسالة النبي ﷺ وأنه للناس كافّة .

٤ ـ أنَّ الإنسان كرّمه الله بالعقل ، فمخاطبته بالأدلة العقلية للوصول به إلى الإيمان

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١/١٧٠ ، ١٧١ مرجع سابق .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/١٥٣ مرجع سابق .

أمر مشروع ، بل هو من منهج الرسول ﷺ .

وقد أمر الله الإنسان بالتفكر والتدبر للوصول إلى الحقيقة . قال تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً** ﴾ [1] .

وفي تقرير توحيد العبادة ، الذي من أجله خُلِق الخلق ، وأُرسلت الرسل ، نجد أن الرسول ﷺ جلاَّه للأعرابي ، عندما سأله ، واهتم بتثبيته في النفس ، بأسلوب واضح قريب ، بعيدٍ عن التعقيدات الكلامية ، بما يتناسب وسذاجة وبساطة الأعراب .

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « **أنّ أعرابياً أتى النبي ﷺ ، فقال : دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا . فلما ولّى قال النبي ﷺ : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** » [2] . وروى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه [3] « **أن أعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر ، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ، ثمَّ قال : يا رسول الله ! أو يا محمد ! أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار . قال : فكفَّ**

---

(١) سورة الفرقان الآيتان ٦١ ، ٦٢ .

(٢) صحيح الإمام البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ٢/١٠٩ مرجع سابق .

(٣) خالد بن زيد النجاري الخزرجي الأنصاري البدري أبو أيوب ، نزل عليه الرسول ﷺ عندما قدِمَ مهاجراً ، شهد العقبة وبدراً وما بعدها ، وخرج في الفتوحات الإسلامية إلى أن مات على أبواب القسطنطينية عام ٥٠ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/٤٠٤ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٢/٤٠٢ مرجعين سابقين) .

النبي ﷺ ، ثمَّ نظر في أصحابه ، ثمَّ قال : لقد وفِّق أو لقد هُدي ، قال : كيف قلت ؟ . قال : فأعاد . فقال النبي ﷺ : تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصل الرحم . دع الناقة » [1] .

ففي هذين الحديثين الأعرابي يسأل عن عمل يدخله الجنة . فأول ما يجيبه الرسول ﷺ ، تقرير توحيد العبادة واجتناب الشرك ، ويجعل بين يدي الإجابة مقدمة حكيمة ، حيث طرح الإجابة بأسلوب حماسي شيق ، بعدما رأى صراحة الأعرابي وجراءته في السؤال وإمساك خطام الناقة ، فقد أثنى على فعل الأعرابي ، وشهد له بالهداية والتوفيق ، وقال له : أعد ، كل ذلك حتى يُهيئهُ لاستماع الإجابة ، واستيعابها ، وحافزاً له على الوفاء بما يُقال له ليدخل الجنة ، ثمَّ قال له بعد ذلك الجواب « **تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً** » .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإيمان الذي يدخل به الجنة ٣٣/١ مرجع سابق .

المطلب الثالث :.

الإيمان بالملائكة

الملائكة لغـة : ـ

جمع مَلَك .

وأصلها : المَلأَك والمَلأَكَة : أي الرسالة ، أَلِكْنِي إلى فلان : أبلغه عني .

والمَلأَك : المَلَك ، لأنه يُبَلِّغ عن الله تعالى [1] .

اصطلاحاً : ـ

هم عالم غيبي خلقهم الله من نور ، مجبولين على طاعته وعبادته ، قائمين بأعمالهم كما يريد خالقهم [2] . قال تعالى : ﴿ **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ ، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ** ﴾ [3] . وقال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [4] .

والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان ومعناه : التصديق الجازم بوجود الملائكة

---

(١) القاموس المحيط الفيروزآبادي مادة (ملك) ص ١٢٢٩ مرجع سابق .

(٢) انظر : مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ / محمد العثيمين ١٦٠/٣ مرجع سابق .

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٩ ، ٢٠ .

(٤) سورة التحريم الآية ٦ .

وأنهم عبادٌ لله قائمون بما كُلِّفوا به .

ولا يتم إيمان المؤمن بل لا يثبت إسلامه إلا بالإيمان بهم . قال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فالمؤمنون كلهم واجبٌ عليهم الإيمان بالملائكة .

أما فيما يخص الأعراب فقد جاء في السيرة النبوية ما يدل على أن الرسول ﷺ علّمهم الإيمان بالملائكة .

ذكر ابن حجر عند ترجمة قيس بن نشبة السلمي (أنه جاء إلى الرسول ﷺ بعد الخندق ، وذلك أن العرب اشتد عليهم لما كان من أهل بدر ما كان ، فلما كان يوم الخندق ، ورجع المشركون إلى بلادهم ، جاء هذا إلى الرسول ﷺ فقال : إني رسول مَن ورائي من قومي وهم لي مطيعون ، وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحى إليه ، فسأله عن السموات السبع وسكانها ، فذكر له الرسول ﷺ السموات السبع والملائكة وعبادتهم ، وذكر الأرض وما فيها . فأسلم ورجع إلى قومه ، فقال : يا بني سُليم قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاول حمير ، وما كلام محمد يشبه شيئاً من كلامهم ، فأطيعوني في محمد فإنكم أخواله ، فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا ، وإن تكن الأخرى لم تقدم العرب عليكم) (٢) .

نجد أن الرسول ﷺ ذكر للأعرابي الملائكة وعبادتهم ، وهذا يقتضي الإيمان بهم .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

(٢) أسد الغابة ابن الأثير ٤٤٨/٤ ، الإصابة ابن حجر ٢٤٩/٣ مرجعين سابقين .

المطلبُ الرابعُ :.

الإيمانُ بالكتبِ

معنى الكتبِ :ـ

الكتب لغةً : جمع كتاب .وهو ما يُكتب فيه ، أو اسم للصحيفة المكتوب فيها [1].

شرعـــاً : كلام الله الموحى إلى رسله ـ عليهم السلام ـ ليبلّغوه للنـاس ، المتعبد بتلاوته [2] .

والإيمان بها ركن من أركان الإيمان ، وهو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على رسله ، وأنها كلام الله [3] ، فيها دعوة العباد إلى التوحيد ، وهو ما تتفق فيه ، وفيهـا التشريع لكل أمة وهو ما تختلف فيه .

ويجب الإيمان بما عُلِمَ اسمه من هـذه الكتـب مثـلَ القـرآنِ ، والتـوراةِ ، والإنجيـلِ ، والزبـور ، وصحـف إبراهيـم ، وصحـف موسـى ، ومـا لم يُعلـم اسمـه يجـب الإيمـانُ به إجمالاً [4] .

قال تعالى : ﴿ **قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَـى إِبْرَاهِيـمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيّـونَ مِـن رَّبِّهِـمْ**

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (كتب) ص ١٦٥ مرجع سابق .

(٢) التوحيد طباعة وزارة المعارف السعودية قسم العلوم الشرعية ص ٤٧ .

(٣) نفس المرجع ص ٤٧ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ١٦٣/٣ مرجع سابق .

﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [1] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (أرشد الله عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ مفصلاً ، وما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً ، ونصّ على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء ، وأن لا يفرّقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم) [2] .

إن مَن آمن برسول الله ﷺ فإن ذلك يستلزم الإيمان بما جاء به ، فقد جاء بالوحي وفيه الإيمان بكتب الله السابقة جملة وتفصيلاً .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (قوله : ﴿ وَكُتُبِهِ ﴾ أن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة ، والإنجيل ، والزبور خاصة ، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها ، وتؤمن بالفرقان ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب ، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان ، وإيمانك بالفرقان إقرارك به وإتباعك إياه) [3] .

ويقول أيضاً : (إن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزل إليهم ، فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله ، ومن كذب بالرسل كذب بذلك ، فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده) [4] .

إن الأعرابي المؤمن بالله ورسوله ﷺ يؤمن بما أنزل الله ، وفيه الإيمان بالكتب ،

---

(١) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ١٦٤/١ مرجع سابق .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣١٢/٧ مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع ٧/١٢ .

وقد جاء في صريح كلام ضمام بن ثعلبة ﷺ بعد مساءلة الرسول ﷺ قال : « **آمنت بما جئت به ، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر** » [1] .

---

(١) سبق تخريجه ص ٧٩ .

المطلبُ الخامسُ :.

الإيمانُ بالرسلِ

الإقرار برسالة محمد ﷺ قرينة شهادة أن لا إله إلا الله ، لا تنفكُّ عنها ، ولا يدخلُ الإنسانُ الإسلامَ إلا بالتلفظ بها واعتقادها . والإيمان بالرسول ﷺ يستلزم الإيمان بجميع الرسل عليهم السلام . فنجد أن الرسول ﷺ يجعلها من أولويات ما يدعو إليه ، وفي سنته وسيرته كثيرٌ من الشواهد على ذلك .

أما فيما يخص الأعراب ، فقد روى الإمام الترمذي - رحمه الله - بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - [1] قال : « **جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ ، قال : بم أعرف أنك نبيٌّ ؟ قال : إن دعوتُ هذا العذق من هذه النخلة ، تشهد أنِّي رسولُ الله ﷺ ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ، ثمَّ قال : ارجع ، فعاد . فأسلم الأعرابي** » [2] . وروى الإمام الدارمي - رحمه الله - بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - [3] قال : « **كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ،**

---

(١) عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، أبو العباس ، ابن عم الرسول ﷺ ، حَبرُ الأمة ، وفقيه الأمة ، وإمام المفسرين ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وصحب الرسول ﷺ ، ودعا له ، وقرَّبه عمر بن الخطاب ﷺ لعلمه . مات بالطائف عام ٦٨ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٣٣١/٣ ، الإصابة ابن حجر ٣٢٢/٢ مرجعين سابقين) .

(٢) سنن الترمذي أبواب المناقب باب ما جاء في نبوة النبي ﷺ ٥٥٤/٥ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١٩٣/٣ مرجعين سابقين .

(٣) عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أسلم مع أبيه بمكة ، ولم يشهد بدراً لصغره ، كان عالماً زاهداً ورعاً مجاهداً في سبيل الله . من فقهاء الصحابة ، شديد المحافظة على السنة ، حفظ الكثير عن رسول الله ﷺ ، توفي سنة ٧٤ هـ وله من العمر ٨٦ سنة . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٢٠٣/٣ ، الإصابة ابن حجر ٣٣٨/٢ مرجعين سابقين) .

فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : أين تريد ؟ قال : إلى أهلي ، قال : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . قال : ومن يشهد على ما تقول ؟ قال : هذه السَّلَمةُ [1] . فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي ، فأقبلت تخد [2] الأرض خدّاً حتى قامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ، ثمَّ رجعت إلى منبتها ، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن اتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت مكثت معك » [3] .

في هذين الحديثين عرض الرسول ﷺ الدعوة للأعرابي ، قائلاً له : « **هل لك في خير ؟** » . ثمَّ صرَّح بهذا الخير وهو الإيمان با لله ، وبرسوله ، ثمَّ أيد ذلك بمعجزة تدل على نبوته عندما طلب الأعرابي شاهداً على ذلك ورضي بالسَّلَمةِ ، والآخر رضي بعذق النخلة الذي دعاه النبي ﷺ ثمَّ أتى إليه . والإيمان بمحمد ﷺ يقتضي ويستلزم الإيمان بجميع الرسل ، وكما وصف ا لله به المؤمنين الذين يؤمنون با لله وملائكته وكتبه ورسله . كما أنه ﷺ اشترط في قبول شهادة الأعرابي برؤية شهر رمضان أن يكون يشهد أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله ، نرى أنه سأله عن الأصل في الإسلام وهي الشهادتان . روى أبو داود ــ رحمه ا لله ــ بسنده عن ابن

---

(١) السَّلَمة : شجرة ذات شوك من أشجار البراري . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٤٤٨ مرجع سابق) .

(٢) الخدَّ : الشق أي تشق الأرض . (انظر : نفس المرجع ص ٣٥٦) .

(٣) سنن الدارمي تحقيق فؤاد زمرلي وأحمد السبع باب ما كرم ا لله به نبيه ﷺ من إيمان الشجر ٢٢/١ دار الكتاب العربي بيروت ط١ ١٤٠٧ هـ . قال المحققان : « قال في مجمع الزوائد ٢٩٢/٨ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح . ورواه أبو يعلى والبزار » .

عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : إني رأيت الهلال ، قال الحسن [في حديثه] : يعني رمضان ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال أذن في الناس فليصوموا غداً** » [1] .

---

(١) سنن أبي داود كتاب الصوم باب شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان ٣٠٢/٢ ، ورواه الدارمي كتاب الصوم باب الشهادة على رؤية هلال رمضان ٩/٢ مرجعين سابقين ، ورواه ابن ماجة كتاب الصيام باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال ٥٢٩/١ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ ، ورواه الترمذي كتاب الصوم باب ما جاء في الصوم بالشهادة ٧٤/٣ مرجع سابق ، ورواه النسائي كتاب الصيام باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال رمضان ١٣٢/٤ بشرح السيوطي وحاشية السندي دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ ،. وقال الترمذي : والعمل على هذا الحديث عند أكثر أهل العلم ، قالوا : تقبل شهادة رجل واحد في الصيام . وقال محققا سنن الدارمي : رجاله كلهم ثقات ، وذكرا تصحيح ابن خزيمة وابن حبان له . ورواه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي ٢٩٧/١ .

المطلبُ السادسُ :.

الإيمانُ باليومِ الآخرِ

الإيمانُ باليومِ الآخرِ وما يكونُ فيه ، بدءاً من فتنة القبر وعذابهِ ونعيمهِ ، والقيامةِ وعلاماتِها ، والبعث والحشر ، والعرض والحساب ، والحوض والميزان ، والصراط والشفاعة ، وانتهاءً بالجنة والنار وما أعد الله لأهلهما فيهما ، ركن من أركان الإيمان ، وجاءت الأدلة إما عامة ، أو خاصة في بعض أمور الآخرة ، كعذاب القبر ، أو البعث ، أو عذاب النار ، ومع الأعراب نجد للرسول ﷺ بعض المواقف في بعض أمور الآخرة إما في مساءلتهم له عنها ، أو في إخبارهم بها .

ففي سؤالهم عن الساعة . ما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : « **بينما النبي ﷺ في مجلس ، يُحدِّث القوم جاءَه أعرابي ، فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحدِّث ، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكرِه ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه ، قال : أين أراه السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنا يا رسول الله . قال : فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة** »[1] .

وفي سؤالهم عن الصور ، ما رواه الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن عمروٍ بنِ العاصِ ـ رضي الله عنهما ـ[2] قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ** ،

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه ٢١/١ مرجع سابق .

(٢) عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي . يصغر أبيه باثنتي عشرة سنة . أسلم قبل أبيه وكان =

فقال : ما الصورُ ؟ قال : قرن ينفخ فيه » [١] .

وفي سؤالهم عن صفة الجنة ومَن أهلُها ؟ فقد روى الترمذي ــ رحمه الله ــ بسنده عن علي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن في الجنة لغرفاً يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها ، فقام إليه أعرابيٌّ فقال : لمن هي يا نبي الله ؟ قال : هي لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى لله بالليل والناس نيام** » [٢] .

وفي وصف النار وخروج الموحدين منها بعد عذابهم ، يصف الرسول ﷺ إعادة الحياة فيهم كحميلة السيل [٣] ، وهذا تلميح يفهمه الأعراب الذين يتنقلون في القفار والأودية ، فقد ضرب لهم مثالاً محسوساً من بيئتهم في أمرٍ من أمور العقيدة ، في الإيمان باليوم الآخر وما فيه . ويبدو ـ والله أعلم ــ أن في القوم الذين كان يحدّثهم الرسول ﷺ أعراب . لأن أحدهم قال ـ كما في رواية الحديث ـ : كأن الرسول ﷺ قد كان بالبادية ، فلربما أنه أعرابي .

روى الإمام مسلم ــ رحمه الله ــ بسنده عن أبي سعيد ﷺ [٤] قال : « قال

=

عالماً فاضلاً حفاظة . كان يختم القرآن في خمس ليال . أُختُلِف في مكان موته وزمنه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٤٩/٣ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٧٩/٣ مرجعين سابقين) .

(١) سنن الترمذي أبواب صفة القيامة باب ما جاء في الصور ٥٣٦/٤ . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٩٢/٢ مرجعين سابقين .

(٢) نفس المرجع أبواب صفة الجنة باب ما جاء في صفة غرف الجنة ٥٨١/٤ . قال الترمذي : هذا حديث غريب . وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣١١/٢ مرجع سابق .

(٣) حميلة السيل : هي البذور التي يحملها السيل ، وتختلط بالغثاء ، ويقذفها السيل في أطراف الأودية ، ثمَّ تنبت في هذا الغثاء . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣٧/٣ مرجع سابق) .

(٤) سعد بن مالك بن سنان الخدري الخزرجي الأنصاري أبو سعيد الخدري ــ مشهور بهذا ــ من مشاهير

=

رسول الله ﷺ : **أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً ، أُذِنَ بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر [1] فبثوا على أنهار الجنة ، ثمَّ قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل . فقال رجلٌ من القوم : كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية** » [2] .

=

الصحابة وفضلائهم ومن المكثرين من الرواية عن الرسول ﷺ أول مشاهده غزوة الخندق ، توفي عام ٧٤ هـ ، ودفن بالبقيع بمدينة الرسول ﷺ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٦٥/٢ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ١٦٨/٣ مرجعين سابقين) .

(١) الضبائر : الجماعات المتفرقة ، واحدها ضبارة . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣٨/٣ مرجع سابق) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ١١٨/١ مرجع سابق .

المطلبُ السابعُ :.

الإيمانُ بالقدرِ

الإيمان بقضاء الله وقدره الركن السادس من أركان الإيمان . وهو الاعتقاد الجازم أن كل ما يقع من الخير والشر وجميع ما يجري في الآفاق والأنفس بقدر الله ومكتوب قبل خلق الخليقة ، فما جاء من خير لا يوجب الفرح الذي يتبعه البطر والكبر ، وما جاء من الشر لا يوجب الحزن والندم ، لأنه مقدر ومكتوب من قبل خلق الأنفس وخلق مصائبها وأفراحها . قال تعالى : ﴿ **مَآ أَصَابَ مِن مّصِيبَةٍ فِي الأرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مّن قَبْلِ أَن نّبْرَأَهَآ إِنّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ ، لّكَيْلاَ تَأْسَوْاْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُواْ بِمَآ آتَاكُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [1] . أي ما أصابكم أيها الناس من مصيبةٍ في الأرض من الجدب والقحط والجوائح ، ولا في أنفسكم من أوصاب وأسقام وضيق معاش ، إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأنفس . حتى لا تحزنوا على ما فاتكم من الرزق ولا تفرحوا بما آتاكم من العافية والخصب والرزق [2] .

وفيما يخص الأعراب في هذا الأمر ما رواه الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن مسعود ﷺ [3] قال : « **قام فينا رسول الله ﷺ فقال : لا يُعدي شيءٌ شيئاً .**

---

(١) سورة الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) انظر : جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري ٢٣٣/١٣ ـ ٢٣٥ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ١٦٦/١٧ ، ١٦٧ مرجعين سابقين .

(٣) عبدالله بن مسعود الهذلي أبو عبدالرحمن ، أحد السابقين الأولين ، من فضلاء الصحابة وفقهائهم وقرائهم ، حفظ من في الرسول ﷺ سبعين سورة ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ . (انظر : أسد الغابة ابن =

فقال أعرابي : يا رسول الله ، البعير أجرب الحشفة [1] **نُدْبِنُهُ** [2] **فَيُجْرِبُ الإبلَ كلها ؟ فقال رسول الله ﷺ : فمن أجرب الأول ؟ لا عدوى** [3] **ولا صَفَر** [4] **، خلق الله كلَّ نفسٍ فكتب حياتها ورزقَها ومصائبها »** [5] .

نجد أن الرسول ﷺ يقرر الإيمان بهذا الركن في نفس الأعرابي بأسلوب سهل واضح ، وبمثال قريب لذهن الأعرابي ومن بيئته ، وبدليل عقلي قاطع ، فإذا كان هذا البعير أعدى الإبل فمن الأولى أن تعرف وتؤمن بالذي أعدى الأول ـ أي أوصل الجرب إليه ـ ثمَّ يقرر عقيدة الإيمان بالقدر في كلماتٍ جامعة « **لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كلَّ نفسٍ فكتب حياتَها ورزقها ومصائبها** » .

=

الأثير ٣٨٤/٣ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٤٦١/١ ، الإصابة ابن حجر ٣٦٠/٢ مراجع سابقة) .

(١) الحشفة : ما فوق الختان . وقيل الحشفة : الذيل .

(٢) نُدْبِنُه : ندخله معاطن الإبل .

(٣) العدوى : انتقال المرض من المريض إلى الصحيح .

(٤) صفر : داء يأخذ البطن ، أو حبة تكون في بطن الماشية والناس وهي أعدى من الجرب . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٣٥٤/٦ ـ ٣٥٥ مكتبة ابن تيمية القاهرة ط١٣ ١٤٠٧ هـ) .

(٥) سنن الترمذي أبواب القدر باب ما جاء لا عدوى ولا هامة ولا صفر ٣٩٢/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٢٦/٢ مرجعين سابقين .

وروى البخاري مثله دون قوله : « **لا عدوى ولا صفر ، خلق الله كل نفسٍ فكتب حياتها ورزقها ومصائبها** » كتاب الطب باب لا عدوى ٣١/٧ مرجع سابق .

المطلبُ الثامنُ :.

تصحيحُ مفاهيمَ عقديةٍ عند الأعرابِ

١ ـ مناهي لفظية[١] : ـ

روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن جبير بن مطعم ﷺ[٢] قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، جهدت الأنفس ، وضاعت العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، قال رسول الله ﷺ : ويحك أتدري ما تقول ؟ وسبّح رسول الله ﷺ ، فما زال يسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثمَّ قال : ويحك ؟ إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ..** »[٣] .

الله أجل وأعظم من أن يكون شافعاً عند أحدٍ من خلقه ، وهذا الأعرابي أخطأ في هذا اللفظ ، لأنه جعل مرتبة الله أدنى من مرتبة المشفوع إليه ، ولِعظم هذا الخطأ

---

(١) هذا عنوان لكتاب للدكتور بكر أبو زيد .

(٢) جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي ، من الطلقاء الذين حَسُن إسلامهم ، كان موصوفاً بالحلم ، ونبل الرأي ، له رواية في الحديث ، وأبوه مطعم هو الذي أجار الرسول ﷺ لما قدم من الطائف ، وأحد الذين نقضوا الصحيفة . مات سنة ٥٨ هـ وقيل ٥٩ هـ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٢٣/١ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٩٥/٣ ، الإصابة ابن حجر ٢٢٧/١ مراجع سابقة) .

(٣) سنن أبي داود كتاب السنة باب في الجهمية ٢٣٢/٤ مرجع سابق . واستدل به الشيخ / محمد بن عبدالوهاب في كتابه « التوحيد » في باب لا يُستشفع بالله على خلقه . وقد أخرجه الدارمي ، وابن خزيمة في التوحيد ، والدارقطني وغيرهم . قال الشيخ / محمد الصالح العثيمين : هذا الحديث فيه ضعف ولكن معناه صحيح (انظر : القول المفيد على كتاب التوحيد الشيخ محمد العثيمين ٢٧٣/٣ مرجع سابق) .

صححه النبي ﷺ بأسلوب قوي حيث سبّح الله وأكثر من التسبيح وظهر الغضب على وجهه ثمَّ قال : « **ويحك ! إن شأن الله أعظم من ذلك** » .

٢ ـ النهي عن معاقرة [١] الأعراب :ـ

معاقرة الأعراب : هو عقرهم الإبل . كان يتبارى الرجلان في الجود والسخاء ، فيعقر هذا إبلاً ، ويعقر هذا إبلاً ، حتى يُعجز أحدهما الآخر ، وكانوا يفعلونه رياءً وسمعة وتفاخراً ، ولا يقصدون به وجه الله ، فأشبه به ما ذُبح لغير الله [٢] . ومن أجلِ ذلك نهى عنه الرسول ﷺ . روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال : « **نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب** » [٣] .

٣ ـ إنكار كل ما عارض التحاكم إلى شرع الله :ـ

مما تقرر شرعاً أن التحاكم إلى شرع الله من مقتضيات كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، وجزء من معناها ، ومخالفته ناقضٌ من نواقضها ، قال تعالى : **﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾** [٤] . وقال تعالى : **﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾** [٥] .

---

(١) هذا العنوان عنوان باب في سنن أبي داود كتاب الأضاحي باب معاقرة الأعراب .

(٢) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب العظيم الآبادي ١٥/٨ ـ ١٧ مكتبة ابن تيمية القاهرة ط٣ ١٤٠٧ هـ .

(٣) سنن أبي داود كتاب الأضاحي باب معاقرة الأعراب ١٠١/٣ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٤٣/٢ مرجعين سابقين .

(٤) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٥) سورة المائدة الآية ٥٠ .

وكان العرب يتحاكمون إلى الكهان ورؤساء القبائل ، والفوز بالحكومة لمن هو أبلغ وألسن في خصومته ودعواه ، وقد يتولى المحاماة عن القبيلة وأفرادها شاعرهم لما يمتلكه من تنميق الكلام .

وبعد مجيء الإسلام أبطل هذه العادات ، وجاء في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ما يقضي في كل خصومة ، ولذلك قرر النبي ﷺ وجوب الرضا والتسليم والانقياد لحكم الله ورسوله ﷺ . وشاهد ذلك فيما يخص الأعراب ، ما رواه الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه [1] قال : « **ضربت امرأةٌ ضرتَّها [2] بعمود فسطاط [3] وهي حبلى ، فقتلتها ، قال وإحداهما لحيانية . قال فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عصبة القاتلة ، وغُرَّةً [4] لما في بطنها ، فقال رجلٌ من عصبة القاتلة : أنَغْرَمُ ديةَ من لا أكل ولا شربَ ولا استهلَّ [5] ، فمثل ذلك يُطَلُّ [6] ، فقال رسول الله ﷺ : أسجعٌ كسجع الأعراب . قال وجعل عليهم**

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي ، يكنى بأبي عيسى ، صحابي جليل ، كان من دهاة العرب وذوي الرأي ، أسلم عام الخندق ، وشهد الحديبية ، وكان واقفاً على رأس الرسول ﷺ يوم الصلح ، بعثه الرسول ﷺ إلى الطائف لهدم اللات ، توفي سنة ٥٠ هـ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٤٧/٥ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٢١/٣ ، الإصابة ابن حجر ٤٣٢/٣ مراجع سابقة) .

(٢) الضَرَّة : كل واحدة من زوجتي الرجل تسمى ضرّة ، وسميت بذلك لحصول المضارة بينهما في العادة .

(٣) الفسطاط : الخيمة .

(٤) الغُرَّة : اسم للعبد أو للأمة . والغرة : البياض في وجه الفرس ، فقيل : لا يُقبل إلا عبد أبيض أو أمةٌ بيضاء . والصحيح أنه اسم للعبد والأمة أسوداً كان أو أبيضا .

(٥) استهلَّ : رفع صوته وصاح عند الولادة . وقوله : ولا استهل : أي لم يُخرج صوتاً لأنه مات في بطن أمه.

(٦) يُطلّ : يُهدر ويُلغى ولا يُضمن . أو بطل بالباء : من البطلان بمعنى مُلغى . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/١١ - ١٧٨ مرجع سابق) .

الديةَ » ، وفي رواية : « **إنما هذا من إخوانِ الكهان** » [1] ، وعند أبي داود ـ رحمه الله ـ : « ... **فقال ﷺ : أسجع الجاهلية وكهانتُها ؟ أَدٍّ في الصبي غُرةً** » [2] .

هذه الحادثة وقعت في قبيلة من قبائل الأعراب ، هم لحيان من هذيل ، ومما يدل على أعرابيتهم قول راوي الحديث : ضربت امرأةٌ ضرتها بعمود فسطاط . وبعدما حكم الرسول ﷺ أراد الأعرابي المحكوم عليه معارضة وإبطال حكم الشرع ، وذلك بطريقتهم الدفاعية المعهودة ، ليَتَبَرَّأ من الدية ، فتكلّف هذا السجع (كيف نغرم من لا أكل ولا شرب ولا استهلَّ فمثل ذلك يُطلّ) فذمّه الرسول ﷺ وردّ عليه ردّاً عنيفاً قائلاً : « **أسجعٌ كسجعِ الأعرابِ** » ، « **إنما هذا من إخوان الكهان** » ، « **أسجع الجاهلية وكهانتها ؟ أدٍّ في الصبي غُرّةً** » .

فهذه روايات ثلاث جاء فيها ردٌّ بليغٌ عنيف ويقرر أمرين هامين : ـ

١ ـ وجوب الرضا والتسليم لحكم الله ورسوله .

٢ ـ أن تكلف الدعاوى بين الأخصام على طريقة هذا السجع من أمور الجاهلية التي أبطلها الإسلام ، لما يترتب عليها من غمط الحق وظلم الناس .

قال النوويُ ـ رحمه الله ـ : (قال العلماء : إنما ذمَّ هذا السجعَ لوجهين : ـ

أحدهما : أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الديات باب دية الجنين ١١١/٥ مرجع سابق .

(٢) سنن أبي داود كتاب الديات باب دية الجنين ١٩٢/٤ مرجع سابق .

ثانيهما : أنه تكلّفه في مخاطبته . فهذان الوجهان من السجع مذمومان) [1] .

وأما السجعُ الذي كان النبيُ ﷺ يقوله في بعض الأوقات ؛ وهو مشهور في الحديث ، فليس من هذا . لأنه لا يعارض به حكم الشرع ولا يتكلفه . فلا نهي فيه ، بل هو حسن . مثل ما جاء في كلام الرسول ﷺ « **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاءٍ لا يُسمع ، ومن هؤلاء الأربعِ** » [2] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٨/١١ . مرجع سابق .

(٢) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٨/١١ ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ٦٦٦/٤ ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ٣١١/١٢ - ٣٢٠ مراجع سابقة .

المبحثُ الثاني :.

دعوةُ النبي ﷺ للأعراب في مجال الشريعةِ .

وفيه ستةُ مطالبَ

المطلب الأول :.

تعريفُ الشريعةِ وأهميتُها .

المطلب الثاني :.

التدرجُ في الدعوة إلى الشريعة .

المطلب الثالث :.

الأمرُ بأداءِ الصلاةِ .

المطلب الرابع :.

الأمرُ بأداءِ الزكاةِ .

المطلب الخامس :.

الأمرُ بأداءِ الصيامِ .

المطلب السادس :.

الأمرُ بأداءِ الحج ، وتعليمُهم أصولَ مناسكِه .

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ الشريعةِ وأهميتُها

١ - الشريعةُ في اللغة :-

شَرَعَ لهم : سنَّ لهم . والشريعة ما شرع الله لعباده [1] .

الشَّريعةُ والشِّراعُ والمَشْرَعةُ : المواضع التي ينحدر إلى الماء منها ، قال الليث : وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعةً من الصوم والصلاة والزكاة والنكاح وغيره .

والشريعةُ والشِّرعةُ : ما سنَّ الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر [2] .

٢ - الشريعةُ في الاصطلاح :-

تأتي الشريعة في الاصطلاح ويراد بها معنيان :-

المعنى الأول : توحيد الله والإيمان به وبرسله وكتبه واليوم الآخر كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾ [3] .

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري مادة (شرع) ١٢٣٦/٣ دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٣٩٩ هـ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (شرع) ص ٩٤٦ مرجع سابق .

(٢) انظر : لسان العرب ابن منظور مادة (شرع) ١٧٥/٨ - ١٧٧ مرجع سابق .

(٣) سورة الشورى الآية ١٣ .

لذلك قال الله تعالى في الآية : ﴿ **أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ** ﴾ وهو توحيد الله الذي لم يختلف فيه الأنبياء . ولم يُرِد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها [1] .

المعنى الثاني : ما شرع الله من الأمر والنهي والحدود والفرائض ، وهي مختلفة بين الأنبياء قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءاتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [2] . أي سُنَّة وسبيلاً ، فجعل القرآن لأهله ، وقبله التوراة لأهلها ، وهذا في الشرائع والعبادات . أما الأصل وهو التوحيد فلا اختلاف فيه ، وجعل الشرائعَ مختلفةً ابتلاءً واختباراً للناس ليؤمن قومٌ ويكفرَ آخرون [3] .

وفي الحديث روى ابنُ ماجةَ ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن بسرٍ ﷺ [4] « **أنّ أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : إنّ شرائع الإسلام قد كثُرت عليَّ ، فأنبئني فيها بشيءٍ أتشبث به . قال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله** ﷻ » [5] . قال

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٨/١٦ مرجع سابق .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٣٦/٦ ، ١٣٧ ، جامع البيان الطبري ٢٦٩/٤ ــ ٢٧٢ مرجعين سابقين .

(٤) عبدالله بن بسر الصحابي المازني ، له أحاديث قليلة ، روى له البخاري ، عاش مائة سنة . مات سنة ٨٨ هـ وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٨٦/٣ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٤٣٠/٣ ، الإصابة ابن حجر ٢٧٣/٢ مراجع سابقة) .

(٥) سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب فضل الذكر ١٢٤٦/٢ مرجع سابق ، وصححه الألباني في

الطيبي : (المراد ما شرع الله وأظهر لعباده من الفرائض والسنن) [1] . وعلى هذا المعنى عرّفها الدكتور ناصر العقل بقوله : (الشريعة في الاصطلاح : فروع الدين وأحكامهُ الفقهيةُ) [2] . وفي نظري أنه تعريف جامعٌ مانعٌ ، وهو ما أريده في هذا المبحث .

٣ ـ أهميةُ الشريعةِ : ـ

إن الشريعة التي تتمثل في العبادات بأنواعها ، والمعاملات ، وأنظمة الاقتصاد والحكم والسياسة والأسرة والجماعة والأمة ، ما هي إلا ترجمة للعقيدة ، وثمرة من ثمراتها ، وممارسةٌ عمليةٌ لأركانها . فبقدر ما يحمل الإنسانُ من صفاءٍ عقدي ، وتصديق قلبي ، بقدر ما يكون ممتثلاً وعاملاً ومطيعاً لربه . كما أن الشريعة أعمال ظاهرة ، يتمايز بأدائها الناس ، والله يتولى السرائر . وفي كثرةِ ممارسة وأداء الشعائر التعبدية والالتزام بشرع الله تربيةٌ للنفس وتزكيةٌ لها ، حتى تنقاد إلى بارئها ، وتكسر جماح شهوتها ، وتعتاد الفضائل حتى تصبح من سجاياها التي لا تنفكُّ عنها ، وتترك الرذائل حتى تشمئز منها ، ولا تعود تستسيغها وترضاها . والمتأمل لسيرة السلف الصالح منذ عهد الرسول ﷺ يجد أثر الاستمرار على العبادات في أحوالهم .

=

صحيح ابن ماجة ٣١٧/٢ المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ ١٤٠٧ هـ .

(١) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٣١٥/٩ مرجع سابق .

(٢) التلازم بين العقيدة والشريعة د / ناصر العقل ص ١١ دار الوطن للنشر الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .

المطلبُ الثاني :.

التدرجُ في الدعوةِ إلى الشريعةِ

عند النظر في سيرة الرسول ﷺ وسنته ، نجد أنه عند عرض دعوته يبدأ بالأهم فالمهم . فبعد قبول التوحيد من قِبَل المدعو ، يعرض بقية أركان الإسلام ، مراعياً فيها التدرج حسب الأهمية ، الصلاة ، فالزكاة ، فالصوم ، فالحج . يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال : دلني على عملٍ إذا عملته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا . فلما ولّى قال النبي ﷺ : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا** » [(١)] .

قال ابن حجر في هذا التدرج : (كان النبي ﷺ أول ما يشترط بعد التوحيد إقامة الصلاة لأنها رأس العبادات البدنية ، ثمَّ أداء الزكاة لأنها رأس العبادات المالية ، ثمَّ يُعلِّم كل قوم ما حاجتهم إليه أمس) [(٢)] .

فالتدرجُ في الدعوة كان سمةً بارزةً من سمات الدعوة النبوية للناس كافة ، بما يناسبُ حالهم وحاجتهم ، لأنه يصعب على البعض أن ينخلع عن فكره وعادته في طرفة عين [(٣)] . فجاء التدرج النبوي في الدعوة ينقله نقلاً تقبله النفسُ وتذعن له

---

(١) سبق تخريجه ص ٨١ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٢ /٧ مرجع سابق .

(٣) انظر : التدرج بين التشريع والدعوة د / يوسف أبو هلالة ص ٣٢ دار العاصمة الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .

وتنقادُ . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن طلحة بن عبيد الله ﷺ [1] قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى إذا دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات في اليوم والليلة . فقال : هل عليَّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال رسول الله ﷺ : وصيام رمضان . قال : هل عليَّ غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة . قال : هل عليَّ غيرها ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق** » [2] .

عند تأمُّل هذا الحديث نجد أن الرسول ﷺ أخبر الأعرابي بأهم أمرٍ بعد الشهادتين وهو الصلاة ، و عندما رأى قبولها والإذعان لها والموافقة على أدائها عند الأعرابي ـ من خلال قوله : هل عليَّ غيرها ـ قال : لا . إلا ما تطوعت به من غير تكليف ، ثمَّ نقله إلى ما يليها في الأهمية وهو الصوم ، وفي روايات أخرى الزكاة ثمَّ الصوم ثمَّ الحج . وقد جمع شُرّاح الحديث بين الروايات بما ينفي التعارض بينها [3] .

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي ، أحد العشرة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، لم يحضر بدر لأنه كان في تجارة في الشام ، ووقى النبي ﷺ بنفسه في أحد وشهد ما بعدها . مات يوم الجمل شهيداً . (انظر : الطبقات ابن سعد تحقيق محمد عطا ١٦٠/٣ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠ هـ ، أسد الغابة ابن الأثير ٨٥/٣ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٢٣/١ ، الإصابة ابن حجر ٢٢٠/٢ مراجع سابقة) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام ١٧/١ مرجع سابق . وصرّح النسائي بأعرابية هذا الرجل فقال : « عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس ... » . انظر : سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ١٢١/٤ مرجع سابق .

(٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠٦/١ ـ ١٠٨ مرجع سابق .

المطلبُ الثالثُ :.

الأمرُ بأداءِ الصلاةِ

الصلاة ثاني أركان الإسلام ، وأعظمها أثراً في النفس ، لها شروطٌ وأركانٌ وفرائضُ وسننٌ ، مفتاحها طهارة البدن الحسية ، والثوب والمكان ، وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم . فتطهر بها النفس ، وتغشاها السعادة ، وتسمو بها عن الرذائل والمنكرات [1] . قال تعالى : ﴿ **اتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [2] .

وسأورد في هذا المطلب ـ إن شاء الله ـ بعض الأدلة فيما يخص الأعراب ، حول الطهارة ونواقضها ، والصلاة وسننها ، والأذان وعظيم أجره .

أولاً : ـ وجوبُ طهارةِ مكان الصلاةِ وكيفيةُ إزالةِ نجاسته

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : « **قام أعرابي فبال في المسجد ، فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ : دعوه ، وهريقوا على بوله سجْلاً [3] من ماء ـ أو ذنوباً من ماء ـ فإنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين** » [4] . وفي رواية ابن ماجة ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة ﷺ « ... **أن**

---

(١) انظر : مقدمة في فقه أصول الدعوة أحمد سلام ص ٦٢ ـ ٦٣ دار ابن حزم بيروت ، ودار الهجرة صنعاء ط١ ١٤١٠ هـ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(٣) السجل والذنوب : الدلو الكبير الممتلئ ماء . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣٢٤/١ مرجع سابق) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد ٦١/١ مرجع سابق .

الرسول ﷺ قال للأعرابي : إنَّ هذا المسجد لا يبال فيه . وإنما بُني لذكر الله وللصلاة » [1] . ومما سبق يتبين لنا أمور علَّمها الرسول ﷺ الأعرابي : ـ

١ ـ علَّمه وجوب احترام المسجد والأمور التي بنيت المساجد من أجلها .

٢ ـ تُشترطُ طهارة المكان المعد للصلاة .

٣ ـ الكيفيةُ التي تزالُ بها نجاسةُ الأرضِ إذا كانت سائلةً . قال ابن حجر : (وفيه أن الأرض تطهر بصب الماء عليها ولا يُشترط حفرها) [2] .

ثانياً : ـ تعليمُهم الوضوءَ عملياً

روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن عمرو بن شعيب رضي الله عنه [3] عن أبيه عن جده ، قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الوضوء . فأراه ثلاثاً ثلاثاً ، ثمَّ قال : هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء** [4] **أو تعدَّى** [5] **أو ظلمَ** [6] » [7] .

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب الأرض يصيبها البول ١/١٧٦ ، وصححه الألباني صحيح سنن ابن ماجة ١/٨٦ مرجعين سابقين .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/٣٢٥ مرجع سابق .

(٣) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله صاحب الرسول ﷺ بن عمرو بن العاص الإمام المحدِّث الفقيه المعروف . أما عمرو فقد حدَّث عن أبيه وأكثر ، وعن سعيد بن المسيب وغيره . قال ابن حجر : صدوق . مات سنة ١١٨ هـ . (انظر : الطبقات ابن سعد ٥/٣٣٣ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٥/١٦٥ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٤٢٣ مراجع سابقة) .

(٤) أساء : أي أساء في مراعاة آداب الشريعة .

(٥) وتعدى : تعدى في حدوده .

(٦) وظلم : أي ظلم نفسه بما نقصها من الثواب . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في حاشية السندي على سنن النسائي ١/٨٨ ـ ٨٩ مرجع سابق) .

(٧) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب ما جاء في القصد في الوضوء ١/١٤٦ ، والنسائي كتاب =

عند تأمل الحديث نرى أنه من حُسن معاملة الرسول ﷺ ، مراعاة حال الأعرابي الذي بطبيعته لا يمكث في المدينة ليتزود من العلم ، فلم يكتف بإخباره بكيفية الوضوء نظرياً كبقية أصحابه ، وإنما أراه ذلك عملياً . وزاد على ذلك تحذيره من الاعتداء في الوضوء فجعل له حداً لا يتعداه .

ثالثاً : ـ التيمم عند انعدام الماء

روى الإمام عبدالرزاق الصنعاني ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إني أكون في الرمل أربعة أشهر أو خمسة ، فتكون فينا النفساء أو الحائض أو الجنب فما ترى ؟ قال : عليك بالتراب** » [1] .

رابعاً : ـ تعليمهم أوقات الصلاة عملياً

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن سليمان بن بريدة [2] عن أبيه قال : « **جاء**

=

الطهارة باب الاعتداء في الوضوء ٨٨/١ . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٧١/١ مراجع سابقة .

(١) المصنّف للإمام عبدالرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي كتاب الطهارة باب الرجل يعزب عن الماء ٢٣٦/١ المكتب الإسلامي بيروت ط٢ ١٤٠٣ هـ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٨/٢ مرجع سابق .

قال الساعاتي : في إسناده المثنى بن الصباح قال في التقريب ضعيف اختلط بآخره وكان عابداً (انظر : الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني أحمد البنا الساعاتي ١٩٠/٢) .

وقال الهيثمي : فيه المثنى بن الصباح ، والأكثر على تضعيفه ، وروى عباس عن ابن معين توثيقه . وروى معاوية بن صالح عن ابن معين : ضعيف يُكتب حديثه ولا يترك . (انظر : مجمع الزوائد الهيثمي تحقيق عبدالله الدرويش ٥٨٨/١ دار الفكر بيروت ١٤١٣ هـ) .

(٢) سليمان بن بريدة بن الحصيب . يروي عن أبيه بريدة الصحابي وعن عائشة أم المؤمنين . قال ابن حجر : ثقة . مات سنة ١٠٥ هـ . (انظر : الطبقات ابن سعد ١٦٥/٧ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٥٢/٥ تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٥٠ مراجع سابقة) .

رجلٌ إلى رسول الله ﷺ ، فسأله عن وقت الصلاة . فقال : أقم معنا هذين اليومين ، فأمر بلالاً فأقام عند الفجر فصلّى الفجر ، ثمَّ أمره حين زالت [(١)] الشمس فصلى الظهر ، ثمَّ أمره حين رأى الشمس بيضاء [(٢)] فأقام العصر ، ثمَّ أمره حين وقع حاجب الشمس [(٣)] فأقام المغرب ، ثمَّ أمره حين غاب الشفق فأقام العشاء ، ثمَّ أمره من الغد فنوَّر [(٤)] بالفجر ، ثمَّ أبرد [(٥)] بالظهر وأنعَمَ أن يُبرِدَ ، ثمَّ صلى العصر والشمس بيضاء ، وأخَّرَ عن ذلك ، ثمَّ صلى المغرب قبل أن يغيب الشفق ، ثمَّ أمَره فأقام العشاء حين ذهب ثلث الليل فصلاها ، ثمَّ قال : أين السائل عن وقت الصلاة ؟ وقت صلاتكم ما بين ما رأيتم » [(٦)] .

راوي الحديث لم يصرح بأعرابية السائل ، و لم أقف على اسمه . لكن الذي يظهر أنه أعرابي ، ومما يؤيد ذلك أن الرسول ﷺ أمره أن يقيم معهم في المدينة يومين ، ليعلمه الأوقات بالفعل ليكون أبلغ إيضاحاً . والله تعالى أعلم .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (فيه البيان بالفعل فإنه أبلغ في الإيضاح ، والفعل تعم

---

(١) زالت الشمس : زالت وتحركت عن كبد السماء إلى الغرب .

(٢) الشمس بيضاء : لضعف قوة أشعتها ، وقد ضعفت حرارتها .

(٣) حاجب الشمس : طرف قرصها .

(٤) نوَّر بالصبح : أي أسفر .

(٥) أبرد بالظهر وأنعم : أي أطال الإبراد وأخر الصلاة . يُقال : أنعم الفكر في الشيء إذا أطال التفكر فيه . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في شرح السيوطي وحاشية السندي على سنن النسائي ١/٢٥٨ ـ ٢٥٩ مرجع سابق) .

(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب أوقات الصلوات ٢/١٠٦ ، ورواه النسائي كتاب المواقيت باب أول وقت المغرب ١/٢٥٨ واللفظ له مرجعين سابقين .

فائدته السائل وغيره ، وفيه تأخير البيان إلى وقت الحاجة) [(١)] .

خامساً : ـ تعليمهم الصلاة

روى الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن رفاعة بن رافع ﷺ [(٢)] « **أن رسول الله ﷺ بينما هو جالسٌ في المسجد يوماً ونحن معه إذ جاءه رجل كالبدوي ، فصلى ، فأخفَّ صلاته ، ثمَّ انصرف فسلَّم على النبي ﷺ ، فقال : وعليك ، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ . فرجع فصلى ، ثمَّ جاء فسلَّم عليه . فقال : وعليك ، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ . ففعل ذلك مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك يأتي النبي ﷺ فيسلِّم فيقول النبي ﷺ : وعليك ، فارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ . فعاف الناس** [(٣)] **وكبر عليهم أن يكون من أخفَّ صلاته لم يصل ، فقال الرجل في آخر ذلك : فأرني وعلِّمني ، فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ ، فقال : أجل ، إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ كما أمرك الله به ، ثمَّ تشهد فأقم أيضاً ، فإن كان معك قرآن فاقرأ ، وإلا فاحمد الله وكبّره وهلِّله ، ثمَّ اركع فاطمئنَّ راكعاً ، ثمَّ اعتدل قائماً ، ثمَّ اسجد فاعتدل ساجداً ، ثمَّ اجلس فاطمئن جالساً ، ثمَّ قم ، فإذا فعلت ذلك فقد تمت صلاتك ، وإن انتقصت منه شيئاً انتقصت من صلاتك . قال : وكان هذا أهون عليهم من الأولى ، أنه من انتقص من ذلك شيئاً انتقص من صلاته ولم**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/١١٤ مرجع سابق .

(٢) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان ، الأنصاري الخزرجي ، من أهل بدر ، وشهد مع أبيه العقبة ، والمشاهد . مات في أول خلافة معاوية ﷺ . (انظر : الطبقات ابن سعد ٣/٤٤٧ ، أسد الغابة ابن الأثير ٢/٢٢٥ ، الإصابة ابن حجر ١/٥٠٣ مراجع سابقة) .

(٣) فعاف الناس : أي كرهوا وعَظُم عليهم ذلك . (انظر : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري ٢/٢٠٦ مرجع سابق) .

تذهب كلها » [1] .

الأعرابي بطبيعته وجهله تعجَّل في أداء صلاته ، وعندما أُمِرَ بالإعادة وتكرر ذلك لم يستطع أن يحسنها ، حتى اعترف أنَّ هذه كيفية صلاته دائماً . وقال للرسول ﷺ : علِّمني . فعلَّمه الرسول ﷺ الطمأنينة في الصلاة .

سادساً : ـ تعليمهم السنن

روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : « **جاء سُليك الغطفاني** [2] **ورسول الله ﷺ يخطب فقال له : أصليت شيئاً ؟ قال : لا . قال : صلِّ ركعتين تجوَّز فيهما** » [3] .

وروى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ « **أنَّ رجلاً من أهل البادية سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل . قال : مثنى مثنى ، والوتر ركعة من آخر الليل** » [4] .

---

(١) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في وصف الصلاة ١٠٠/٢ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٩٥/١ مرجعين سابقين .

(٢) سُليك بن عمرو الغطفاني ، من قبيلة غطفان التي تنزل شرق المدينة جهة نجد ، ورد ذكر القصة في البخاري بغير الاسم . وقعت له هذه القصة مع الرسول ﷺ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٤١/٢ ، الإصابة ابن حجر ٢٧١/٢ ، مرجعين سابقين) .

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب إذا دخل الرجل والإمام يخطب ٢٩١/١ ، وهو مروي عند البخاري بغير ذكر الاسم كتاب الجمعة باب إذا رأى الإمام رجلاً وهو يخطب ٢٢٣/١ مرجعين سابقين .

(٤) سنن النسائي أبواب الوتر باب كم الوتر ٢٣٢/٣ ، وصححه الألباني في صحيح النسائي ٣٧٠/١ مرجعين سابقين .

وروى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : « **يا أهل القرآن أوتروا ، فإن الله وتر يحب الوتر . فقال أعرابي : ما تقول ؟ فقال : ليس لك ولا لأصحابك** »[1] .

في الحديث الأول قطع الرسول ﷺ الخطبة وسأل سُليكاً ثمَّ أمره أن يصلي ركعتين يتجوّز فيهما . فهذا دليل على أهميتها فعلّمه إياها ، لأن الحال يتطلب الأمر بأدائها ، حيثُ تواجُدُ الناس ، فلو ترك البيان لقَلَّ الاهتمام .

أما الحديث الثاني فقد أجاب الأعرابي بنحوٍ من سؤاله عن عدد صلاة الليل ، ومعلوم أن السائل عن النافلة لأبُدَّ أنه مؤدٍ للفريضة .

أما الحديث الثالث : فقد صرّح للأعرابي أن الوتر الذي حثَّ أهل القرآن عليه ليس له ولا لقومه ، لأن هذا الأمر يتطلب الإطالة في الصلاة والقراءةَ ولا يستطيعه إلا الخاصة .

نجد عند التأمل أن الرسول ﷺ كان يعلّمهم السنن حسب أهميتها ، وبقدر استطاعتهم التي تؤهلهم لأدائها ولا تنفرّهم من الفرائض .

---

(١) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب استحباب الوتر ٦١/٢ ، وابن ماجة كتاب الصلاة باب ما جاء في الوتر ٣٧٠/١ . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١٩٣/١ مراجع سابقة .

المطلبُ الرابعُ :.

الأمرُ بأداءِ الزكاةِ

١ ـ تعريفُها وأهميتُها : ـ

الزكاة لغة : النماء والزيادة .

شرعـــاً : حق واجب في مال خاص ، لطائفة مخصوصة ، في زمن مخصوص [١] .

وهي الركن الثالث من أركان الإسلام ، وهي عبادة مالية تضع عن الموسرين أوزار الإفراط في حب المال ، وتزكي أنفسهم من الآثام . قال تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٢] . وتقضي حاجة المعسرين ، فتقوى بها الروابط الاجتماعية من التكافل والتعاون وقضاء الحوائج . ومَن أنكر وجوبها متعمداً فهو مرتدٌ [٣] .

وقد بيّن الرسول ﷺ للأعراب أهمية الزكاة . يدل على ذلك ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « **أنَّ أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الهجرة . فقال : ويحك [٤] إن شأنها شديد ، فهل لك من إبلٍ تؤدي**

---

(١) حاشية الروض المربع عبدالرحمن بن قاسم ١٦٤/٣ ط٢ ١٤٠٥ هـ . وانظر : المغني مع الشرح الكبير للإمامين ابني قدامة ٤٣٣/٢ دار الكتاب العربي بيروت بعناية جمع من العلماء سنة ١٤٠٣ هـ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(٣) انظر : المغني مع الشرح الكبير ٤٣٥/٢ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣١٦/٣ مرجعين سابقين .

(٤) ويح : كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكةٍ لا يستحقها ، وقد يقال بمعنى المدح والعجب . انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٢٣٥/٥ مرجع سابق) .

صدقتها ؟ قال : نعم . قال : فاعمل من وراء البحار فإنَّ الله لن يتِرَكَ من عملك شيئاً [(1)] » [(2)] .

في الحديث يتبين أن الهجرة أمرها عظيم ، ولا يتحملها ويصبر على لأوائها مِنْ ترك المال والأهل والبلد إلا الخاصة . لكن هناك أمر أهم منها ، ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة ، يخرجها المسلم في أي مكان ، والأعراب جُلّ أموالهم الإبل . فسأل الرسول ﷺ الأعرابي : ألك إبلٌ ؟ فأجاب بنعم . ثمَّ : هل تخرج زكاتها ؟ فقال : نعم . وبعدما اطمأن الرسول ﷺ على أن الأعرابي يخرجُ الزكاة بيَّنَ له أنّ الإتيانَ بالركنِ شرطٌ على ثبوتِ الإسلامِ ، وكذلك شرطٌ على قبولِ الأعمالِ الصالحةِ .

٢ ـ تعليمُ الرسول ﷺ للأعراب كيفية أداء الزكاة : ـــ

روى أبو داود ـ رحمه الله ـــ بسنده عن أُبي بن كعب رضي الله عنه [(3)] قال : « **بعثني رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً ، فمررت برجلٍ ، فلما جمع لي ماله لم أجد عليه فيه إلا**

---

(١) لن يتِرَك من عملك شيء : أي لن ينقصك من عملك شيء . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥/٢٤٦ مرجع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الزكاة باب زكاة الإبل ٢/١٢٣ مرجع سابق .

(٣) أُبي بن كعب بن قيس النجاري الخزرجي الأنصاري ، أبو منذر المقرئ البدري ، شهد العقبة . كان رأساً في العلم والعمل ، قرأ عليه النبي ﷺ وقال له : « **إن الله أمرني أن أقرأ عليك** » ، وقال فيه أيضاً : « **خذوا القرآن من أربعة** ـ وذكر منهم ـ **أُبي بن كعب** » صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ٤/٢٨٨ مرجع سابق ، وكان من كتاب الوحي . مات سنة ٣٠ هـ كما جزم بذلك أبو نعيم . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١/٦١ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ١/٣٨٩ ، الإصابة ابن حجر ١/٣١ مراجع سابقة) .

ابنة مخاضٍ [1] ، فقلتُ له : أدِّ ابنة مخاض ، فإنها صدقتك . فقال : ذاك ما لا لبن فيه ولا ظهر ، ولكن هذه ناقةٌ فتيَّةٌ عظيمةٌ سمينةٌ فخذها ، فقلت له : ما أنا بآخذٍ ما لم أومر به ، وهذا رسول الله ﷺ منك قريب ، فإن أحببت أن تأتيه فتعرض عليه ما عرضت عليَّ فافعل ، فإن قَبِلَهُ منك قبلتُهُ وإن ردَّهُ عليك رددتُهُ . قال : فإني فاعل ، فخرج معي ، وخرج بالناقة التي عرض عليَّ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فقال له : يا نبي الله أتاني رسولك ليأخذ مني صدقة مالي ، وأيمُ الله ما قام في مالي رسول الله ولا رسولُه قط قبله فجمعت له مالي ، فزعم أن ما علي فيه ابنة مخاض ، وذلك ما لا لبن فيه ولا ظهر ، وقد عرضت عليه ناقةً عظيمةً فتيةً ليأخُذَها فأبى عليَّ ، وهاهي ذه قد جئتك بها يا رسول الله ، خذها . فقال له رسول الله ﷺ : ذاك الذي عليك ؛ فإن تطوعت بخير آجَرَك الله فيه وقبلناه منك . قال : فها هي ذه يا رسول الله قد جئتُك بها فخذها . قال : فأمر رسول الله ﷺ بقبضها ودعا له في ماله بالبركةِ » [2] .

علَّمه ﷺ الواجب عليه ، وإن زاد برضا منه قُبلت ، وجباةُ الزكاة يُعلّمون أصحاب الأموال الواجب عليهم . ويظهر في الحديث سخاء الأعرابي في زيادة القدر الواجب في الزكاة . وهذا دليل صدق إيمانه .

---

(١) بنت مخاض : هي التي أتى عليها حول ودخلت في السنة الثانية . (انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ٤٦٦/٤ مرجع سابق) .

(٢) سنن أبي داود كتاب الزكاة باب زكاة السائمة ١٠٣/٢ ، وصححه العلامة شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود ٤٦٧/٤ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٢٩٨/١ مراجع سابقة .

٣ ـ إلزامُهم بطاعة جُباةِ الزكاةِ :ـ

روى الإمام النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن جرير ﷺ [١] قال : « **أتى النبي ﷺ ناسٌ من الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله ! يأتينا ناسٌ من مُصَدِّقيك يظلمون . قال : أرضوا مصدِّقيكم . قالوا : وإن ظلم . قال : أرضوا مصدِّقيكم . ثمَّ قالوا : وإن ظلم . قال : أرضوا مصدِّقيكم . قال جرير : فما صدر عني مصدِّقٌ منذ سمعت من رسول الله ﷺ إلا وهو راضٍ** » [٢] .

قال الإمامُ السنديُ في حاشيته على سنن النسائيِ : (عَلِم ﷺ أن عامليه لا يظلمون ، ولكن أرباب الأموال لمحبتهم للأموال يعدون الأخذ ظلماً ، فقال لهم ما قال ، فليس فيه تقرير للعاملين على الظلم ، ولا تقرير للناس على الصبر عليه وعلى إعطاء الزيادة على ما حدَّ الله في الزكاة) [٣] .

---

(١) جرير بن عبدالله بن جابر البجلي ، صحابي مشهور ، وجهه الرسول ﷺ إلى ذي الخلصة فهدمه . مات سنة ٥١ هـ . (انظر : الطبقات ابن سعد ٢٩٩/٦ ، الإصابة ابن حجر ٢٣٣/١ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ١٣٩ مراجع سابقة) .

(٢) سنن النسائي كتاب الزكاة باب إذا جاوز في الصدقة ٣١/٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٥٢٠/٢ مرجعين سابقين .

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٣١/٥ مرجع سابق .

المطلبُ الخامسُ :.

الأمرُ بالصيامِ

الصوم ركن من أركان الإسلام ، من جحد وجوبه كفر . وفيه تظهر معاني العبودية لله . حيث يحبس الصائم نفسه عن شهواتها ، ويفطمها عن مألوفاتها ، ويمنع جوارحه من الآثام والذنوب إرضاءً لمعبوده ، ورجاءً في ثوابه .

علّم الرسول ﷺ أصحابه صيام هذا الشهر وفضله . وعلّم الأعراب بما يناسب حالهم من قول أو فعل عند تعليمهم أركان الإسلام . ومن الأدلة الخاصة بالأعراب على الأمر بصيام الشهر ما يلي : ـ

١ ـ قبول شهادة الأعرابي في دخول الشهر ، والنداء بالصيام على الفور بيان لأهمية الشهر وفرضية صيامه . فقد روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : إني رأيت الهلال ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : نعم . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : يا بلال أذن في الناس فليصوموا غداً** » [١] .

٢ ـ التمييز بين صوم الفرض والنافلة : قال ﷺ للأعرابي عندما يقول هل عليَّ غيره ـ صوم رمضان ـ فيقول النبي ﷺ : **لا إلا أن تطوع** [٢] . وفي هذا تمييز بين الفرض والنافلة .

---

(١) سنن أبي داود كتاب الصوم باب شهادة الواحد على رؤية الهلال ٣٠٢/٢ مرجع سابق . ورواه بقية الثلاثة والدارمي . وسبق الكلام عليه ص (٩٠) .

(٢) انظر : ص (١٠٦) .

المطلبُ السادسُ :.

الأمرُ بأداء الحجِ وتعليمُهم أصولَ مناسكِه

الحجُ هو الركن الخامس من أركان الإسلام . وهو عبادة مالية بدنية معنوية . وقد كان الرسول ﷺ يشترط على الأعراب أداء الحج إذا علّمهم أركان الإسلام . وقد ورد في السنة مواقف خاصة بالحج منها :ـ

ما رواه ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالرحمن بن يعمر الديلمي رضي الله عنه [(١)] قال : « **شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة ، وأتاه ناسٌ من أهل نجد . فقالوا : يا رسول الله ، كيف الحج ؟ قال : الحج عرفة ، فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تمَّ حجُه . أيام منى ثلاثة . فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومَن تأخر فلا إثم عليه . ثمَّ أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بهن** » [(٢)] .

وروى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن عروة بن مضرِّس الطائي رضي الله عنه [(٣)] ، « **أنه**

---

(١) عبدالرحمن بن يعمر الديلمي ، عُدَّ من الصحابة ، روى له الترمذي والدارمي وابن ماجة ، نزل الكوفة ، وقيل : مات بخراسان . (انظر : الطبقات ابن سعد ٢٦٠/٧ ، أسد الغابة ابن الأثير ٥٠٣/٣ ، الإصابة ابن حجر ٤١٧/٢ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٣٥٣ مراجع سابقة) .

(٢) سنن ابن ماجة كتاب المناسك باب من أتى عرفة قبل الفجر ١٠٠٣/٢ ، ١٠٠٤ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١٧٣/٢ مرجعين سابقين . ورواه بقية الثلاثة جميعهم في باب من أتى عرفة قبل الفجر .

(٣) عروة بن مُضَرِّس الطائي ، من قبيلة طيء ، صحابي ، كان سيداً في قومه ، وكان يناوئ عدي بن حاتم في الرئاسة . ليس له إلا هذا الحديث . بعثه خالد بن الوليد رضي الله عنه حارساً لعيينة بن حصن عندما ارتد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٣/٤ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٣٩٠ ، الإصابة ابن حجر ٤٧١/٢ مراجع سابقة) .

حجَّ على عهد رسول الله ﷺ فلم يدرك الناس إلا وهم بجمع [1] . قال : فأتَيت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله إني أنضيت راحلتي [2] ، وأتعبتُ نفسي ، والله إن تركت من حبل [3] إلا وقفت عليه ، فهل لي من حجٍّ ؟ فقال النبي ﷺ : من شهد معنا الصلاة ، وأفاض من عرفات ، ليلاً أو نهاراً ، فقد قضى تفثه [4] ، وتمَّ حجُّه » [5] .

نجدُ أن الرسول ﷺ أعلن للسائلين أن إدراك الحج والأمن من فواته الوقوف بعرفة ، وبيَّن وقت ذلك الذي ينتهي بفجر يوم النحر ، كما أخبرهم بأيام منى الثلاثة [6] . وما أعلمهم بدقائق السنن والمستحبات مراعاةً لحالهم ، لأن السائل أعرابيٌّ قادمٌ من ديار طيء . لقضاء فريضة الحج مع الرسول ﷺ .

هذا وإن الله قد منَّ عليَّ بالإطلاع على مواقف أخرى من سنة الرسول ﷺ مع الأعراب ، في البيوع ، والطب ، والتداوي ، والصيد ... وغيرها . لكنني اكتفيت بذكر بعض ما ورد في أركان الإسلام لأنَّ الرسول ﷺ كان يعطيها أكثر الاهتمام .

وقد فطن أصحاب الرسول ﷺ إلى هذه المسائل ، فكانوا يحرصون على تعليم

---

(١) جمع : اسم للمزدلفة لاجتماع الناس فيها .

(٢) أنضيت راحلتي : أتعبتها . يقال ناقة قد أنضتها الأسفار : أي أهزلتها .

(٣) حبل : هو المستطيل من الرمل .

(٤) التفث : الوسخ ، والمراد إزالة أوساخه لانقضاء حجه ، من قص للشارب ونتف للإبط ... الخ . (انظر معاني ألفاظ الحديث في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري ٣/٦٣٣ - ٦٣٦ مرجع سابق) .

(٥) سنن ابن ماجة كتاب المناسك باب من أتى عرفة قبل الفجر ٢/١٠٠٤ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢/١٧٣ مرجعين سابقين ، ورواه أيضاً بقية الثلاثة .

(٦) انظر : شرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي على سنن النسائي ٥/٢٦٤ ، ٢٦٥ ، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي المباركفوري ٣/٦٣٣ - ٦٣٥ مرجعين سابقين .

الأعراب عزائم العبادات وأصولها . ويتركون الرخص خشية الالتباس والتعارض في أنظارهم . يدل على ذلك ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن الزهري [(١)] « أن عثمانَ بن عفان أتمَّ الصلاة بمنى من أجل الأعراب ، لأنهم كثروا عامئذٍ فصلّى بالناس أربعاً ليعلّمهم أن الصلاة أربع » [(٢)] .

وروى الصنعاني عن ابن جريج قال : « بلغني أن عثمان ﷺ أوفى أربعاً بمنى قطُّ ، من أجل أن أعرابياً ناداه في مسجد الخيف بمنى يا أمير المؤمنين ! ما زلت أُصليهما ركعتين منذ رأيتك عام أول صليتها ركعتين ، فخشي عثمان أن يَظُنَّ جهالُ الناسِ إنما الصلاةُ ركعتين وإنما كان أوفاها بمنى قطُّ » [(٣)] .

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب القرشي الزهري ، أبو بكر ، فقيه حافظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، تابعي . مات سنة ١٢٥ هـ بفلسطين . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٣٢٦/٥ ، الطبقات ابن سعد ٣٤٨/٥ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٠٦ مراجع سابقة) .

(٢) سنن أبي داود كتاب الحج باب الصلاة بمنى ١٩٩/٢ ـ ٢٠٠ . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٦٩/١ مرجعين سابقين .

(٣) المصنّف الإمام الصنعاني ٥١٩/٢ مرجع سابق .

وقد ذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ رواية البيهقي : أن عثمان ﷺ أتمّ بمنى ، ثمَّ خطب ، فقال : إنَّ القصر سنة رسول الله ﷺ وصاحبيه ، ولكنه حدث طغام فخفت أن يستنوا . ثمَّ ذكر رواية ابن جريج ، وقال : وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ، ولا مانع أن يكون هذا أصل سبب الإتمام (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٧١/٢) .

وقد ذكر العلماء تأويلات لإتمام عثمان ﷺ الصلاة بمنى أربعاً ، على خلاف فعل النبي ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ . من هذه التأويلات كثرة الأعراب ذاك العام وإرادة تعليمهم صلاة القصر والإتمام . ومنشأ هذه التأويلات هو الاختلاف في مسألة القصر للمسافر هل هو واجبٌ أو سنة ؟

(يُنظر للاستفادة في هذه المسألة المراجع التالية : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٦٩/٢ ـ ٥٧٢ ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني ١١٤/٦ ـ ١١٦ ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٨٥/٢٤ ـ ١٠٥ مراجع سابقة ، زاد المعاد ابن القيم تحقيق / شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط ٤٦٤/١ ـ ٤٧٣ مؤسسة الرسالة بيروت ط٨ ١٤٠٥ هـ ، الروضة الندية شرح الدرر البهية محمد صديق حسن خان تحقيق / محمد صبحي حلاّق ٣٧٣/١ ـ ٣٧٥ دار الأرقم برمنجهام بريطانيا ومكتبة الكوثر الرياض ط٢ ١٤١٣ هـ .

المبحثُ الثالثُ :.

دعوةُ النبيِ ﷺ للأعرابِ في مجالِ الأخـلاقِ .

وفيه أربعةُ مطالبَ

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ الأخلاقِ وأهميتُها .

المطلبُ الثاني :.

أخلاقٌ امتدحها النبيُ ﷺ وأثنى على أصحابها وحثَّ عليها .

المطلبُ الثالثُ :.

أخلاقٌ قوّمَها النبي ﷺ .

المطلبُ الرابعُ :.

أخلاقٌ ذمَّها النبيُ ﷺ وأنكرَ على أهلها وحذّرَ منها .

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ الأخلاقِ وأهميتُها

١ ـ الأخلاقُ في اللغةِ :ـ

الخليقةُ : الطبيعةُ ، هذه خليقته التي خُلِق عليها : أي طبيعته ، ويقال : إنه لكريم الطبيعة [(١)].

الخُلُق : العادة . ومنه قول الله تعالى : ﴿ إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ خُلُقُ الأوّلِينَ ﴾ [(٢)] [(٣)] .

الخُلُق : السجية . وهو ما خُلِق عليه من الطبع .

الخُلُق : المروءة . جمعها أخلاق ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهـي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة [(٤)] .

نجد أن كلمة خُلُق وردت في اللغة بعدة معانٍ منها :ـ

السجية ، الطبع ، العادة ، المروءة .

٢ ـ الأخلاقُ في الاصطلاحِ :ـ

قال العلامة العيني : (الخُلُق : هي القوى والسجايا المدركة بالبصيرة) [(٥)] .

---

(١) انظر : تاج العروس الزبيدي ٢٥/٢٥٤ مرجع سابق ، والكليات أبي البقاء ٢/٣٠٣ دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط٢ ١٤١٣ هـ ، القاموس المحيط الفيروزآبادي مادة (خلق) ص ١١٣٧ مرجع سابق .

(٢) سورة الشعراء الآية ١٣٧ .

(٣) تاج العروس الزبيدي ٢٥/١٦٣ مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع ٢٥/١٥٧ ، وانظر لسان العرب ابن منظور مادة (خلق) ١٠/٩١ مرجع سابق ، معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق د / عبدالسلام هارون ٢/٢١٤ دار الجيل بيروت ط١ ١٤١١ هـ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني ١٨/١٥٧ مرجع سابق .

وقال القرطبي : الخُلُق : (هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب ، ويسمى خُلُقاً لأنه يصير كالخِلقة فيه . أما ما طُبع عليه فهو الخِيم . فيكون الخُلُق الطبع المُتَكلَّف) [1] .

وقال عبدالله بن المبارك : (حسن الخُلُق : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى) [2] . وهذا تعريف خاص بالأخلاق الحسنة .

وقال الغزالي : (الخُلُق : عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية) [3] .

وقال الدكتور / علي عبدالحليم محمود : (الخُلُق : نعني به القيم الخلقية ، التي يجب أن تحكم سلوك الإنسان في المجتمع) [4] .

وقال الدكتور / عبدالكريم زيدان : (الخُلُق : مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ، ومن ثمَّ يقدم عليه أو يحجم عنه) [5] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٤٩/١٨ مرجع سابق .

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ١٤٣/٦ مرجع سابق .

(٣) إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي ٥٣/٣ دار الندوة الجديدة بيروت بدون تاريخ .

(٤) فقه الدعوة إلى الله د/ علي عبدالحليم محمود ١٢٨/١ دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط٢ ١٤١١ هـ .

(٥) أصول الدعوة إلى الله د . عبدالكريم زيدان ص ٧٥ دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر الإسكندرية ط٣ .

٣ ـ هل الخُلُق جبلّيٌّ أم مكتسبٌ ؟ : ـ

عند البحث والتأمل نجد أن الخُلُق منه ما هو جبلّي غريزي مفطور عليه الإنسان ، وهو ما يُسمى بالخِيم وهو ما طُبع عليه الإنسان [١] ، فيكون صفةً ملازمةً له ويكون حسناً أو قبيحاً .

ومنه ما هو مكتسب وهو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب [٢] . وما يروض نفسه عليه حتى تعتاده ، ويصبح سجيّة ملازمةً له . يدل على ذلك ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ في الأدب المفرد عن أشج عبدالقيس ﷺ [٣] قال : « **قال النبي ﷺ : إن فيك لخلقين يحبهما الله . قلت : وما هما يا رسول الله ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : قديماً كان أو حديثاً ؟ قال : قديماً ، قلت : الحمدُ لله الذي جَبَلَني على خلقين أحبهما الله** » [٤] . قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (ترديده السؤال وتقريره عليه يُشعر بأنَّ في الخلق ما هو جبلي ، وما هو مكتسب) [٥] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى**

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٨/١٤٩ مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) المنذر بن عائذ بن المنذر العَصَري القيسي . مشهور بهذا اللقب (الأشج) ، وفد على رأس قومه على النبي ﷺ سنة الوفود ، ومدحه النبي ﷺ بهاتين الصفتين . نزل البصرة ومات بها . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١/١١٦ ، الإصابة ابن حجر ١/٦٦ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ١١٢ ، ٥٤٦ مراجع سابقة) .

(٤) صحيح الأدب المفرد الألباني باب التؤدة في الأمور ص ٢١٩ دار الصديق الجبيل ط١ ١٤١٤ هـ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠/٤٥٩ مرجع سابق .

﴿ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] : (معنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً تطَبَّعَه وترك طبعه الجبلّي ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل) [2] .

٤ ـ أهميـةُ الأخـلاقِ : ـ

إنّ الباحث يجد حشداً هائلاً من النصوص التي تحضُّ على كل خُلق رفيع ، مما يدل على عناية الإسلام في تكوين شخصية المسلم ، حيث يقف على كل جزئية من جزئيات الأخلاق الإسلامية ويحضُّ عليها كالشجاعة والكرم والسخاء والحلم والأناة والحياء والصدق والصبر والعدل وغيرها الكثير من الأخلاق والآداب . وفي المقابل يحذّر من الأخلاق الذميمة في كل جزئيةٍ من جزئياتها كالغضب ، والحقد ، والكراهية ، والحسد ، والكذب ، والتجسس ، والبخل ... وغيرها الكثير من الأخلاق الذميمة .

وكان الرسول ﷺ يهتمّ ببناء الأخلاق فيُقوِّم معوجَّها ويحذّر منه ، ويُثبِّت الخلق القويم ويحث عليه ويُثني على صاحبه . ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « **أنَّ رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني . قال : لا تغضب . فردد مراراً قال : لا تغضب** » [3] . أورد ابن حجر أقوال العلماء في الحديث ومنها : (لعل السائل كان غضوباً ، وكان النبي ﷺ يأمر كل أحدٍ بما هو

---

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٣٥٢/٤ مرجع سابق .

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ٩٩/٧ ، ١٠٠ مرجع سابق .

أولى به فلهذا اقتصر في وصيته له على ترك الغضب) [1] . عندما رأى الرجل مغضباً ظهر له من ترديد السؤال أن الغضب صفة له ، فأراد ﷺ أن يحذّره منه .

وروى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ أيضاً في الأدب المفرد عن أشج عبدالقيس قال : « **قال النبي ﷺ : إنّ فيك لخُلقين يحبهما الله . قلت : وما هما يا رسول الله ؟ قال : الحلم والحياء ، قلت : قديماً كان أو حديثاً ؟ قال : قديماً ، قلت : الحمدُ لله الذي جَبَلني على خلقين أحبهما الله** » [2] . في قوله ﷺ : « **يحبهما الله** » مبالغة عظيمة في مدح صاحب هاتين الصفتين والثناء عليه ، وهذا مما يزيده تمسكاً بهما .

وهذا الاهتمام النبوي ببناء الأخلاق ، جعل المسلم قبل أن يقدم على فعل أو يحجم عنه يزنه بميزان الإسلام ، فإن كان حميداً فعله ، وإن كان ذميماً تركه ، وكل ذلك بفعل ما استقرّ في النفس وما طُبعت عليه أو تطبعت به من خلق كريم .

وبما أنّ الأعراب يمثلون جزءاً كبيراً من المجتمع الذي كان يهتم النبي ﷺ ببناء أخلاقه ، فقد منحهم اهتمامه في هذا الجانب ، فأوصى بحسن الخلق . روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن أسامة بن شريك رضي الله عنه [3] قال : « **شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ : أعلينا حرجٌ في كذا ؟ أعلينا حرجٌ في كذا ؟ فقال لهم : عباد الله !**

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠/٥٢٠ مرجع سابق .

(٢) صحيح الأدب المفرد الألباني باب التؤَدة في الأمور ص ٢١٩ مرجع سابق .

(٣) أسامة بن شريك الثعلبي ، صحابي ، لم يذكر له إلا هذا الحديث . قيل إنه من غطفان . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١/٨١ ، الإصابة ابن حجر ١/٤٦ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٩٧ مراجع سابقة) .

وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئاً فذاك الذي حَرِج [1] . فقالوا : يا رسول الله هل علينا جناح أن لا نتدواى ؟ قال : تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داءً إلا وضع معه شفاء إلا الهرم . قالوا : يا رسول الله ما خيرُ ما أعطي العبد ؟ قال : خُلق حسن » [2] .

ومن خلال هذا المبحث يتبين لنا ـ بإذن الله ـ الأخلاق التي قوّمها النبي ﷺ عند الأعراب ، فبعض الأخلاق امتدحها وأثنى على أصحابها وحث عليها ، وبعض الأخلاق ذمها وأنكر على أهلها وحذّر منها .

---

(١) اقترض من عرض أخيه : أي نال منه وقطعه بالغيبة . حَرِج : أَثِم . (انظر : تعليقات محمد فؤاد عبدالباقي على سنن ابن ماجة ١١٣٧/٢ مرجع سابق) .

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الطب باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء ١١٣٧/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢٥٢/٢ مرجعين سابقين .

المطلبُ الثاني :.

أخلاقٌ امتدحَها النبيُ ﷺ وأثنى على أصحابها وحثَّ عليها

١ ـ الكرمُ وطيبُ الكلامِ

روى الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن علي ﷺ قال : « **قال رسول الله ﷺ : إنَّ في الجنَّة لغرفاً تُرى ظهورُها من بطونها ، وبطونُها من ظهورها . فقال أعرابي : لمن هي يا رسول الله ؟ فقال : لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وصلَّى بالليل والناس نيام** » [١] .

الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ... وبهذا الوصف النبوي لها ، جعل النفوس تشتاق إليها ، وتسأل عن الأسباب الموصلة إليها . فكان الجواب على الأعرابي جامعاً شاملاً لأمور كثيرة ، منها : طيب الكلام الذي يشمل كل ما يتفوه به الإنسان في عبادة أو معاملة ، وكذلك من الأفعال الكرم ، والسخاء ، والإنفاق في سبيل الله .

٢ ـ الصدقُ والوفاءُ

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن شداد بن الهادي ﷺ [٢] « **أنَّ رجلاً من**

---

(١) سنن الترمذي أبواب صفة الجنة باب ما جاء في صفة غرف الجنة ٤/٥٨١ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢/٣١١ مرجعين سابقين .

(٢) شداد بن أسامة (الهادي) بن عمرو الليثي . صحابي ، سُمي أبوه الهادي لأنه كان يوقد النار =

الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثمَّ قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة ، غَنِم النبي ﷺ سبياً فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ؛ ولكنِّي اتبعتك على أن أُرمى إلى ههنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ، ثمَّ نهضوا في قتال العدو ، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : أهوَ هوَ . قالوا : نعم . قال : صدقِ الله فصدقه ، ثمَّ كفّنه النبي ﷺ في جبته ، ثمَّ قدَّمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته ، اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً أنا شهيد على ذلك » [1] .

في الحديث أمور عظيمة شملت أقوالاً وأفعالاً للنبي ﷺ هي : ـ

١ ـ إن تصدق الله يصدقك .

٢ ـ صدق الله فصدقه الله .

٣ ـ تكفينه في جبته .

=

ليلاً للسارين . شهد الخندق ، وسكن المدينة ، وتحول إلى الكوفة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٥٠٩/٢ ، الإصابة ابن حجر ١٤٠/٢ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٦٤ مراجع سابقة) .

(١) سنن النسائي كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء ٦٠/٤ ، ٦١ مرجع سابق ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ .

٤ ـ الصلاة عليه ، والدعاء له .

٥ ـ الشهادة له بالجنة .

كل هذه الأقوال والأفعال تدل على بالغ الثناء على ما اتصف به هذا الأعرابي من خلق عظيم وهو الصدق الذي بلّغه منزلة الشهداء في الجنة .

المطلبُ الثالثُ :.

خلقٌ قوّمَه النبيُ ﷺ عند الأعراب

الشجاعة

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ [1] قال : « **جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : الرجل يُقاتل ليُذكر ، ويُقاتل ليغنم ، ويُقاتل ليُرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** » [2] .

الشجاعة من صفات الأعراب التي يتفاخرون بها ، وهي في أصلها خلق كريم ، لكنها تُذم وتُمدح في غايتها وهدفها ، فإن كانت الشجاعة هدفها إعلاء كلمة الله ، وقول الحق والثبات عليه ، وإغاثة المظلومِ ، وقهرُ الظالمِ ، فذاك خلق نبوي ممدوح ، وإن كان هدفها وغايتها الاعتداء ، والسمعة ، والرياء ، والحمية في الباطل فذاك خلق مذموم . لذلك نرى أن الرسول ﷺ قوَّم الهدف والغاية التي من أجلها يقاتل الأعرابيُ ، فلا بُدَّ أن تكون الغايةُ ساميةً شريفةً ، ولا أسمى ولا أشرف من القتال لإعلاء كلمة الله ، وإقامة الحق .

---

(١) عبدالله بن قيس بن سليم بن حَضَّار الأشعري ، أبو موسى . صحابي جليل ، فقيه مقرئ . استعمله الرسول ﷺ على اليمن ، أمَّره عمر ثمَّ عثمان ـ رضي الله عنهما ـ وهو أحد الحكمين في صفين . مات سنة ٥٠ هـ . (انظر : الطبقات ابن سعد ٧٨/٤ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٣٨١/٢ ، الإصابة ابن حجر ٣٥١/٢ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٣١٨ مراجع سابقة) .

(٢) سنن النسائي كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢٣/٦ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٦٥٨/٢ مرجعين سابقين .

المطلبُ الرابعُ :.

أخلاقٌ ذمَّها النبيُ ﷺ وأنكر على أهلها وحذّر منها

١ ـ الغيبـةُ

روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن أسامة بن شريك ﷺ قال : « **شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ أعلينا حرجٌ في كذا ؟ أعلينا حرجٌ في كذا ؟ فقال لهم : عباد الله ! وضع الله الحرج إلا من اقترض من عرض أخيه شيئاً فذاك الذي حَرِج** » [(١)] .

٢ ـ المِنَّةُ والطمعُ

روى الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **أنّ أعرابياً أهدى لرسول الله ﷺ بكرةً ، فعوّضه منها ستّ بكراتٍ فتسخطَها ، فبلغ ذلك النبيَ ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : إنَّ فلاناً أهدى إليَّ ناقةً فعوضتُهُ منها ستَّ بكراتٍ فَظَلَّ ساخطاً ، ولقد هممتُ أن لا أقبلَ هديةً إلا من قرشيٍّ أو أنصاريٍّ أو ثقفيٍّ أو دوسيٍّ** » [(٢)] .

---

(١) سبق تخريجه ص (١٢٨) .

(٢) سنن الترمذي كتاب المناقب باب في ثقيف وبني حنيفة ٦٨٦/٥ مرجعين سابقين ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٢٥٢/٣ مرجع سابق . وفي رواية أخرى للحديث : « **وأيم الله لا أقبل بعد مقامي هذا من رجل هدية إلا من ..** » . انظر : نفس المرجع .

استقلّها الأعرابي ولم يرض بها . فذمّ النبي ﷺ هذا الخُلق علانية ، وأقسم ألا يقبل هدية إلا ممن عُرِفوا بالكرم وسخاء النفس ، وعلو الهمة ، وقطع النظر عن الأعواض [1] .

٣ ـ قسوةُ القلبِ وقلّةُ الرحمةِ

روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ [2] قالت : « **قَدِمَ ناسٌ من الأعراب على النبي ﷺ فقالوا : أتقبلون صبيانكم ؟ قالوا : نعم . فقالوا : لكنّا والله ! ما نُقبِّل . فقال النبي ﷺ : وَأَمْلِكُ أَنْ كان الله قد نزع منكم الرحمة ؟** » [3] . وفي رواية الترمذي قال ﷺ : « **إنه من لا يرحم لا يُرحم** » [4] .

فالرسول ﷺ بيّن لهم : أنه لا يملك أن يجعل الرحمةَ في قلوبهم ، لأن الله ينزعها من قُساةِ القلوبِ ، وهذا بالغ الذم والتحذير من هذا الخُلُق . وقال للأقرع بن حابس [5] كما في رواية الترمذي السابقة : « **إنه من لا يرحم لا يُرحم** » أي محروم

---

(١) انظر : تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٣٠٨/١٠ مرجع سابق .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أم المؤمنين ، عقد عليها النبي ﷺ في مكة وهي بنت سبع سنين ، ودخل بها في المدينة وهي بنت تسع سنين ، وتوفي عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة . تكنّت بأم عبدالله بأمر الرسول ﷺ ، وعبدالله هو ابن الزبير ابن أختها . كانت وعاءً للعلم ، حافظة للسنة ، وأحبّ نساء النبي ﷺ إليه . ماتت بالمدينة سنة ٥٨ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ومعه الاستيعاب ابن عبدالبر ٣٤٨/٤ مرجع سابق) .

(٣) سنن ابن ماجة كتاب الأدب باب بر الوالدين والإحسان إلى البنات ١٢٠٩/٢ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٢٩٥/٢ مرجعين سابقين .

(٤) سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة الولد ٢٨٠/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١٧٨/٢ مرجعين سابقين .

(٥) الأقرع بن حابس التميمي ، كان رئيساً في بني تميم ، من المؤلفة ، شهد مع الرسول ﷺ فتح مكة وحنيناً وحضر الطائف . فلما قدم وفد تميم كان معهم . وهو الذي نادى : يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين

من رحمةِ اللهِ مَن كان متصفاً بذلك الخلقِ الذميمِ .

ثمرةُ هذا المبحث : ـ

من خلال ما ذكرنا من نصوص يتجلى لنا أمور منها : ـ

١ ـ اهتمام النبي ﷺ ببناء أخلاق الأعراب وتقويمها ، والنهي عن ذميمها .

٢ ـ تكوين شخصية المسلم المرتبطة بالتكوين الأسري والاجتماعي تسودها المحبة والوئام والصلة .

٣ ـ ترجمة الأخلاق سلوكياً كما صاغها الإسلام .

٤ ـ الأخلاق الجبلية الفاضلة لا يزيدها الإسلام إلا رسوخاً .

٥ ـ أن الأخلاق الفاضلة دعوة إلى الإسلام في كل زمان ومكان .

٦ ـ أن الخلق الفاضل الممدوح في أصله ، والمذموم في غايته كالشجاعة إذا كانت رئاءً وسمعة وحمية جاهلية ذمَّ الرسول ﷺ تلك الغاية ، وهدّد أصحابها ، وأمر بتصحيح الغاية لتكون في سبيل الله وقول الحق ونصر المظلوم .

٧ ـ أن الأخلاق الجبلية الذميمة أنكرها الإسلام وحذّر منها .

٨ ـ أن من الأخلاق ما يُكتسب بالتدريب والمران .

٩ ـ أن موضوع الأخلاق ذو أهمية بالغة في كيان المجتمع المسلم ، وأصل من أصول الدعوة الإسلامية الشاملة التي نهجها الرسول ﷺ .

= فنزلت فيه آيات من سورة الحجرات ، وكان فيه جفاء الأعراب وقسوتهم مما دعاه إلى استغراب تقبيل الرسول ﷺ الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ ، فعاب عليه الرسول ﷺ هذا الخلق . قيل إنه قتل في اليرموك . (انظر : صحيح البخاري كتاب الأدب باب رحمة الولد ٧/٧٥ ، أسد الغابة ابن الأثير ١/١٢٩ ، الإصابة ابن حجر ١/٧٢ مراجع سابقة) .

الفصلُ الثاني

وسائلُ دعوةِ النبيِ ﷺ للأعرابِ

- تمهيــدٌ .

- المبحثُ الأولُ :

عرضُ نفسهِ ﷺ على قبائل الأعراب.

- المبحثُ الثاني :

البعوثُ والسرايا .

- المبحثُ الثالثُ :

الوفودُ .

تمهـــيدٌ :ـ

أولاً : ـ تعريفُ الوسـيلةِ في اللغـةِ

الوسيلةُ : القربة . وَسَّل فلان إلى الله وسيلةً إذا عمل عملاً تقرب به إليه [1] .

الوسيلةُ : ما يُتقرب به إلى الغير والجمع (الوُسُلُ والوسائل) [2] .

وســـل : الرغبةُ والطلب ، والواسل الراغب إلى الله [3] .

نرى أنها وردت بمعنى الرغبة ، القربة ، الطلب ، الوصلة وهـو مـا يتوصـل بـه إلى الشيء .

ثانيـاً : ـ تعريـفُ الوسـيلةِ في الاصطـلاح

١ ـ أقوالُ المفسرين في معنى الوسيلة : ـ

تناولها المفسرون عند تفسيرهم لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُـمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [4] .

أ ـ الأئمة الطبري والبغوي والقرطبي : ـ

الوسيلة : القربة . ومنه سلت : أي طلبت . فالأصل الطلب ، والوسيلة القربـة

---

(١) القـاموس المحيـط للفيروزآبـادي ص ١٣٧٩ ، لسـان العـرب ابـن منظـور ٧٢٤/١١ مرجعـين سابقين .

(٢) نفس المرجع ٧٢٥/١١ ، مختار الصحاح الجوهري ص ٧٢١ مرجع سابق .

(٣) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ١١٠/٦ مرجع سابق .

(٤) سورة المائدة الآية ٣٥ .

التي ينبغي أن يطلب بها [1] .

ب ـ الإمام ابن الجوزي : ـ

قال فيها قولان :

١ ـ القربة : ـ توسلت إليه تقربت إليه . وهو قول ابنِ عباس ﷺ .

٢ ـ المحبة : ـ تحببوا إليه . وهو قول ابن زيدون [2] .

جـ ـ فخر الدين الرازي : ـ

الوسيلةُ : التي يُتوسّل بها إلى المقصود [3] .

د ـ ابن كثير : ـ

الوسيلةُ : هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود [4] .

هـ ـ ابن عاشور : ـ

الوسيلة : أُريد بها ما يُبْلَغ به إلى الله . ما يُقرِّب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه [5] .

---

(١) انظر : جامع البيان الطبري ٥٦٧/٤ مرجع سابق ، معالم التنزيل الإمام البغوي تحقيق محمد النمر وآخرون ٥١/٣ دار طيبة الرياض ط١ ١٤٠٩ هـ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٠٤/٦ مرجع سابق .

(٢) زاد المسير ابن الجوزي ٣٤٨/٢ المكتب الإسلامي بيروت ط٤ ١٤٠٧ هـ .

(٣) التفسير الكبير فخر الدين الرازي ١٧٣/١١ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٤٨/٢ مرجع سابق .

(٥) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٨٧/٤ مكتبة ابن تيمية بدون تاريخ .

٢ ـ أقوالُ أهلِ الحديثِ : ـ

أ ـ ابن الأثير : ـ

الوسيلة : ما يتوصل به إلى الشيء ويُتقرب به [١] .

ب ـ ابن حجر : ـ

الوسيلة : هي ما يتقرب به إلى الكبير ، يُقال : توسلت أي تقربت ، وتطلق على المنزلة العلية . ويمكن ردها إلى الأول بأن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها [٢] .

جـ ـ السندي : ـ

الوسيلة : المنزلة عند الملك . فيكون كالوزير بحيث لا يخرج رزق إلا على يديه وبواسطته [٣] .

٣ ـ تعريفات الكتّاب المعاصرين : ـ

من خلال الإطلاع على بعض كتابات المعاصرين ، الذين تحدّثوا عن وسائل الدعوة وأساليبها ومناهجها من أمثال : ـ

الدكتور / عبدالكريم زيدان في كتابه « أصول الدعوة » ، والدكتور / أحمد غلوش في كتابه « الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها » ، والدكتور / توفيق الواعي في كتابه

---

(١) النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ١٨٥/٥ مرجع سابق .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٩٥/٢ مرجع سابق .

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٢٦/٢ مرجع سابق .

« الدعوة إلى ا لله الرسالة . الوسيلة . الهدف » ، والأستاذ / محمد خير يوسف في كتابه « الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب » . نلحظ ما يلي : ـ

أ ـ أنهم لم يعرِّفوا الوسيلة والأسلوب تعريفاً علمياً دقيقاً .

ب ـ أنه لم يتضح في كتاباتهم الفرق بين الوسيلة والأسلوب وكأنهما في أنظارهم مترادفان ، مع أن كلاً منهم تحدّث عن كلٍ من الوسيلة والأسلوب في مبحث أو فصل مستقل .

إلا أننا نجد أن الأستاذ / محمد خير يوسف كان أكثر دقة في التمييز بين الوسائل والأساليب من خلال ذكر نماذج لكل منهما . فذكر من وسائل الدعوة المباشرة : المسجد ، الحج ، الجهاد ، الأسواق ، المناداة . ثمَّ ذكر بعض الأساليب ، منها : الدعوة بالقدوة ، الحوار ، الوعظ والدرس والندوات [1] .

أما البعض الآخر فقد حددوا تعريفات علمية للوسائل والأساليب ، والذي سنتطرق إليه في هذا الفصل : الوسائل . أما الأساليب فسيأتي الكلام عليها في الفصل الثالث ـ إن شاء ا لله تعالى ـ وهم من أمثال : ـ

١ ـ الدكتور / علي جريشة ، قال : ـ

الوسائل : هي القنوات أو أدوات التوصيل لهذه الأساليب .

ثمَّ قال : ثمَّ إن الوسائل من حيث الترتيب تأتي في القاع وأعلى منها

---

(١) انظر : الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب محمد خير يوسف ص ١٠ ـ ١٢٧ دار طويق للنشر الرياض ط٢ ١٤١٤ هـ .

الأساليب ، وفي القمة المناهج [1] .

٢ ـ الدكتور / محمد البيانوني ، قال : ـ

الوسيلة : ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية [2] .

٣ ـ الدكتور / علي عبدالحليم محمود ، قال : ـ

الوسيلة : هي العملُ الذي يحقق أهداف الدعوة إلى الله [3] .

وعند تأمل هذه التعريفات أرى أن أدقّها هو تعريف الدكتور / علي جريشة .

ونخلص بذلك إلى تعريف الوسيلة مفردة ، وتعريفها مضافة إلى الدعوة . فنقول : ـ

الوسيلة : هي الأداة الموصلة إلى غاية .

الوسيلةُ الدعويةُ : هي الأداة المنضبطة شرعاً ، الموصلة إلى غاية منضبطة .

شرحُ التعريفِ وبيانُ محترزاتهِ :

قلت : **المنضبطةُ شرعاً** : لتخرج المحرمة أو المشبوهة التي تؤثر على شرف الغاية .

وقلت : **غايةٌ منضبطةٌ** : لتخرج الغاية المحرمة ، أو المبتَدَعة المخالفة لمنهج الكتاب والسنة .

---

(١) مناهج الدعوة وأساليبها د / علي جريشة ص ١٦ دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط١ ١٤٠٧ هـ.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة د / البيانوني ص ٤٩ مرجع سابق .

(٣) فقه الدعوة د / علي عبدالحليم محمود ١/٢٣٤ مرجع سابق .

ثمَّ إنه بقولنا : **منضبطة** نؤكد على وجوب شرف الوسيلة تبعاً لشرف الغاية ؛ أخذاً بقاعدة (للوسائل أحكام المقاصد) [1] . وبذلك نبطل دعوى أن الغاية تبرر الوسيلة .

ملحوظة : ـ

لا أعني بالأداة المنضبطة : السالمة من جميع العيوب والأخطاء . فهذا أمرٌ متروك لمستخدم الوسيلة ، لأنه يجب مراعاة قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح ، ودفع أحد الضررين بأخفهما . والتأمل فيما يترتب على الموقف الدعوي من نتائج . وما لا يُدرك كله لا يُترك جُلّه .

وسأحصر الكلام في هذا الفصل على ثلاث وسائل ، ظهر من خلال البحث والدراسة أن الرسول ﷺ استخدمها في دعوته للأعراب . ولا أعني أنه اقتصر عليها فقط ، ولكن هذه الوسائل هي التي أيدها الدليل .

---

(١) قواعد الأحكام عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي ٤٦/١ دار المعرفة بيروت ، أعلام الموقعين ابن القيم ١٤٧/٣ المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٧ هـ ، القواعد والأصول الجامعة ابن سعدي مجموعة الفقه ٢٥/٢ مركز صالح بن صالح للثقافة عنيزة ١٤١١ هـ ، شرح القواعد الفقهية أحمد الزرقا ص ٢٠٥ دار القلم دمشق ط٢ ١٤٠٩ هـ .

المبحثُ الأولُ :.

عرضُ النبيِ ﷺ نفسَه على قبائل الأعراب

وفيه : تمهيدٌ ، ومطلبانِ ، ثمَّ نتيجةُ المبحثِ .

المطلبُ الأولُ :.

الأسواقُ

المطلبُ الثاني :.

الحجُ

تمهيـــــد :.

لم يدعِ الرسولُ ﷺ فرصةً للاجتماع بالناس وتبليغهم الدعوةَ تفوتهُ ، فكان يعرض الإسلام على القبائل في الأسواق وأيام الحج ويدعوهم إلى التوحيد .

قال ابن هشام : (كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم . إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويمنعوه حتى يبين لهم ما بعثه الله به) [1] . وكان رسول الله ﷺ يقف على كل قبيلة ويقول : « **يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا** » [2] . ومع هذا فقد كان في عزٍّ ومنعة مع عمه أبي طالب ، برغم ما يلاقي من أذى ، إلا أنَّ الأذى تفاقم واشتد الابتلاء في السنة العاشرة من النبوة وهي السنة التي مات فيها عمه أبو طالب [3] . فجدَّ الرسول ﷺ في البحث عن مأوى يأوي إليه ، وناصرٍ ينصره ، ليبلِّغ رسالة ربه ، فخرج إلى الطائف وقوبل بالإيذاء وعدم النصرة . فعاد إلى مكة ، وازداد استحكام العداوة بينه وبين قريش ، فلم يكن له بدٌّ حينئذٍ من أن يتجه إلى قبائل العرب الأخرى في موسم الحج ، والأسواق كعادته ، ليعرض عليهم الدعوة التي حملت طابعاً

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام م٤٢٢/١ مرجع سابق ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٩٣/٢ مطبعة نهضة مصر نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ط٢ ١٤٠٧ هـ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤٩٢/٣ ، ٣٤١/٤ ط دار صادر بيروت بدون تاريخ ، وقال الساعاتي : سنده جيد . انظر : الفتح الرباني ٢١٦/٢٠ ـ ٢١٧ دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

(٢) الطبقات الكبرى ابن سعد ١٦٨/١ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٩٣/٢ ، ورواه الإمام أحمد بألفاظ مختلفة . انظر : مسند الإمام أحمد ٤٩٢/٣ ، ٦٣/٤ ، ٣٧١/٥ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن مدرك . وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات ١٩/٦ مراجع سابقة .

(٣) رجَّح الشيخ / صفي الرحمن المباركفوري وفاة أبي طالب في شهر رجب سنة عشر من النبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر . (انظر الرحيق المختوم المباركفوري ص ١٠٣ مرجع سابق) .

آخرَ غير طابعها قبل موت عمه . فقد كان يدعو إلى التوحيد والتصديق به والمنعة ـ كما مرَّ معنا ـ أما بعد موت عمه فقد اتسمت دعوته بأربع سمات هي : ـ

١ ـ الدعوةُ إلى التوحيد .

٢ ـ طلبُ الإيواءِ .

٣ ـ طلبُ النصرةِ .

٤ ـ أنه لا إكراه على الدخول في الإسلام ، وإنما يطلب الإيواء والنصرة فقط .

« **كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب في كل موسم ، ويكلّم كل شريف قوم لا يسألهم مع ذلك إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول : لا أُكره أحداً منكم على شيء ، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك ، ومن كرهه لم أكرهه ، إنما أريد أن تحرزوني [1] مما يراد بي من القتل ، حتى أبلغ رسالات ربي وحتى يقضي الله ﷻ لي ولمن صحبني بما شاء الله** » [2] .

وذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ قول الرسول ﷺ لعمه العباس ﷺ [3] يقول

---

(١) تحرزوني : تحفظوني وتحرسوني . يقال : حرزه : أي حفظه . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٦٥٣ مرجع سابق) .

(٢) دلائل النبوة البيهقي تحقيق د / عبدالمعطي قلعجي ٤١٤/٢ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ ، تاريخ الإسلام الذهبي تحقيق / عمر تدمري ٢٨٢/١ دار الكتاب العربي بيروت ط٢ ١٤٠٩ هـ .

(٣) العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ، عمّ الرسول ﷺ ، يُكنى أبا الفضل ، شهد مع الرسول ﷺ بيعة العقبة لِيُشدِّد له العقد ، وكان حينذاك مشركاً . خرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً ، وأوصى الرسول ﷺ : أن مَنْ وجده فلا يقتله ، ثمَّ أسلم وكتم إسلامه ، وهاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد الفتح ، وثبت مع الرسول ﷺ يوم حنين . مات سنة ٣٢ هـ بالمدينة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٦٤/٣ ، الإصابة ابن حجر ١٦٣/٢ ، مرجعين سابقين) .

العباس ﷺ : « **قال لي رسول الله ﷺ : لا أرى عندك ، ولا عند أخيك - يريد أبا لهب - منعةً ، فهل أنتم مخرجيَ إلى السوق غداً حتى نَقَرَّ في منازل قبائل الناس ؟** »[1] .

واجتماع قبائل العرب في مكان واحد لا يكون إلا في مناسبتين هما :-

١ - الأسواق السنوية المشهورة بحسب أماكنها وأزمانها[2] .

٢ - وقت وفادتهم إلى مكة لأداء الحج .

وسأفرد - بإذن الله تعالى - مطلباً لكلٍ منهما لكونهما وسيلتين من وسائل دعوة الرسول ﷺ للأعراب .

---

(١) البداية والنهاية ابن كثير ١٣٨/٣ مرجع سابق . وقال د/ محمد أبو شهبة : رواها أبو نعيم بسنده عن العباس ﷺ . (انظر : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د / محمد محمد أبو شهبة ٤٢٩/١ دار القلم دمشق ط٢ ١٤١٢ هـ) .

(٢) من هذه الأسواق :

سوق ذي المجاز : كانت بناحية عرفة على مسافة فرسخ منها ، ويقال أنها كانت لهذيل .

سوق مجنّة : موضع قريب من مكة . وهو الذي عناه بلال ﷺ وهو مصاب بالحمى في المدينة بقوله :

وهل أردنْ يوماً مياه مجنة ∴ وهل يبدونْ لي شامةٌ وطفيل

سوق عكاظ : وهو من أعظم أسواقهم ، ويقع بين نخلة والطائف ، وهو إلى الطائف أقرب بنحو عشرة أميال . وهو المكان الذي عُلّقت فيه القصائد السبع المشهورة .

وقد ذكر الآلوسي مجموعة أخرى في الجزيرة كسوق دومة الجندل ، وسوق هَجَر ، وسوق المشقر ، وسوق صحار ، وغيرها . (انظر : بلوغ الأرب الآلوسي ٢٦٤/١ - ٢٧٠ مرجع سابق) .

لكن الذي ثبت بالدليل مجيء الرسول ﷺ إليها هي الأسواق الثلاثة : ذي المجاز ، ومجنة ، وعكاظ .

المطلبُ الأولُ :.

الأســواقُ

عُـرف عنـد العـرب في جـاهليتهم أسـواقٌ يجتمعـون فيهـا ، ومـن خـلال الدارسـة والبحث نستطيع أن نجمل أغراضها فيما يلي : ـ

١ ـ التبادلُ التجاريُ .

٢ ـ تناقلُ الأخبارِ والأحداث الواقعة خلال عام كامل .

٣ ـ المفاخرةُ بين الشعراء والخطباء (١) .

٤ ـ المحاكماتُ ، وردُّ المظالم ، وفداء الأسرى (٢) .

ولم يكن الرسول ﷺ ليدع هذه الحشود من غير بـلاغ ، فاجتمـاعهم هـذا وسـيلة دعوية هامة ، يُبلغ دعوته عبرها . فتردد ﷺ على هذه الأسـواق في كـل عـام منـذ أن أُمِرَ بإعلان دعوته . يقف على كل قبيلة ويعرض عليهم الدين الجديد ، ويرغبهم فيه ،

---

(١) وفي ذلك يقول حسان بن ثابت ﷺ :

سأنشـرُ إن حييـتُ لهـم كلامـاً ∴ ينشّـر في المجـامع مـن عُكـاظ

انظر : ديوان حسان بن ثابت ﷺ ص ١٤١ طبع دار بيروت ١٤٠٣ هـ ، بلوغ الأرب الآلوسي ٢٦٧/١ مرجع سابق .

(٢) وكان الذي يقوم بأمر الحكومات في سوق عكاظ أناس من بـني تميـم . وفي ذلـك يقـول طريـف بـن تميـم العنبري :

أو كلّمـا وردتْ عكـاظ قبيلـةٌ ∴ بعثـوا إليّ عريفهـم يتوسَّـمُ

انظر : نفس المرجع والصفحة .

ويعدهم ويبشرهم بالتمكين في الأرض والسيادة وقهر العجم ، وبلوغ المكانة العالية في الجنة . والعربي بطبيعته لا يرضى الذل ، ويُنافس على السيادة . والجزم من الرسول ﷺ بحصولها لمن آمن به وصدّقه دافع قوي من دوافع استجابة الأعرابي لهذه الدعوة . قال ابن سعد : « أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ، ثمَّ أعلن في الرابعة فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافي المواسم كل عام يتبع الحاجّ في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز [1] يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربّه ولهم الجنة ، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : « **يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة** » وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب ، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد ، ويؤذونه ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ، ويُكلمونه ويجادلونه ويُكلمهم ويدعوهم إلى الله ويقول : « **اللهم لو شئتَ لم يكونوا هكذا** » ـ ثمَّ سمّى القبائل الذين أتاهم الرسول ﷺ وعرض نفسه عليهم ـ وهم بنو عامر بن صعصعة ، وفزارة ، وغسان ، ومرة ، وسليم ، وعبس ، وبنو نضر ، وبنو البكاء ، وكندة ، وكلب ، وهوازن » [2] .

---

(١) سبق التعريف بهذه الأسواق ص ١٤٦ .

(٢) الطبقات ابن سعد ١٦٨/١ ، وروى نحوه الإمام أحمد في المسند ٤٩٢/٣ ، ٦٣/٤ ، ٣٧١/٥ ، وروى بعضه الحاكم في المستدرك ٦١٢/٢ عن طارق بن عبدالله المحاربي وقال : هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه . ووافقه الذهبي مراجع سابقة . وانظر تسمية القبائل التي عرض النبي ﷺ نفسه عليهم في تاريخ الذهبي ٢٨٢/١ ـ ٢٨٦ مرجع سابق ، تاريخ الطبري ٥٥٥/١ ـ ٥٥٧ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٧ هـ ، والسيرة النبوية ابن هشام م٤٢٤/١ ، والبداية والنهاية ابن كثير ١٣٦/٢ ـ ١٤٤ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٩٣/٢ مراجع سابقة .

وروى الطبراني ـ رحمه الله ـ عن طارق بن عبدا لله ﷺ [1] قال : « **إني بسوق ذي المجاز إذ مرَّ رجلٌ عليه حُلَّة من بُرْد أحمر وهو يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا . ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا : غلام بني هاشم الذي يزعم أنه رسول الله وهذا عمه عبدالعزى** » [2] .

---

(1) طارق بن عبدا لله المحاربي ، صحابي له حديثان أو ثلاثة . أخرج له الثلاثة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٧١/٣ ، الإصابة ابن حجر ٢١٢/٢ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٨١ مراجع سابقة) .

(2) المعجم الكبير الطبراني تحقيق حمدي السلفي ٣١٤/٨ طبع وزارة الأوقاف العراقية ط٢ ١٤٠٥ هـ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٦١٢/٢ وقال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي .

المطلبُ الثاني :

الحجُ

كان العرب يُيمِّمون وجوههم تلقاء مكة في موسم الحج ، ويتنقلون في المشاعر على طريقة تنسكهم ، ويزورون أصنامهم حول الكعبة . وتستعد قريش لاستقبال الحجاج ، وتُعِّد لهم العدة من السقاية والرفادة .

وقد وجد الرسول ﷺ نفسه أمام فرصة عظيمة ، ووسيلةٍ هامة تصل إليه من غير جَهَد سفر وعناء . فقرر استثمار هذه الوسيلة ليعرض دعوته من خلالها . فعرض نفسه على القبائل في الحج كما كان يفعل في الأسواق . والذي يظهر أن وسيلة الحج في ذاك الوقت تختلف عن الأسواق من حيث الأهمية وإمكانية الاستجابة ، حيث أن العرب في أمكنةٍ وأزمنةٍ يقدّسونها وهي المشاعر وأشهر الحج ، فلربما كانوا أقرب للاستجابة ، وأَقلَّ أذىً للرسول ﷺ تقديساً للزمان والمكان . ومما يؤيد ذلك أن بداية لقاء الرسول ﷺ بالأنصار كان في الحج ، وتتابعت اللقاءات في سنتي الحج التاليتين حتى تمت بيعة العقبة المشهورة ، ولم يواعدهم الرسول ﷺ في الأسواق التي يأتي زمنها في منتصف العام أو قبل الحج بأيام .

وخلاصة القول أن الرسول ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل في الحج يدعوهم للإسلام وللنصرة والإيواء .

ذكر ابن هشام قول ابن إسحاق « عن حسين بن عبدا الله بن عبيدا الله بن عباس [1]

---

(١) حسين بن عبدا الله بن عبيدا الله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي المدني ، مات سنة ١٤١ هـ . ضعّفه ابن حجر . (انظر : تقريب التهذيب ابن حجر ص ١٦٧) .

قال : سمعت ربيعة بن عبّاد [1] قال : إني لغلام شاب مع أبي بمنى ، ورسـول ا لله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : **يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا مـا تعبـدون مـن دونـه من هـذه الأنـداد ، وأن تؤمنـوا بـي ، وتصدّقـوا بـي ، وتمنعونـي ، حتـى أُبيّـن عن الله ما بعثني به** » [2] .

وقد ذكرتْ كتبُ التاريخ والسِّير قصة عرض الرسول ﷺ نفسه علـى قبيلتـين مـن الأعراب هما ذُهـل ، وشـيبان بـن ثعلبـة [3] ، ظهـر فيهـا حسـن أخلاقهـم ، وجميـل ردّهم ، وفرط ذكائهم ، وقـوة جدالهـم . وهـذه القصـة فيمـا يظهـر واقعـةٌ في السـنة الحادية عشرةَ ، ومما يؤيد ذلـك قـول علي ﷺ في آخـر القصـة : فدفعنـا إلى مجلـس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول ا لله ﷺ . وهـذا هـو اللقـاء الأول مـع الستة النفر الذين أسلموا ووعدوا الرسول ﷺ بعرض الإسلام على أهل يثرب . وهـذا

---

(١) ربيعة بن عبّاد . وقيل : بن عِباد الدئلي ، كان جاهلياً فأسـلم ، عُمِّرَ طويـلاً ، واختُلف في زمـن وفاتـه . (انظر أسد الغابة ابن الأثير ٢/٢١٣ ، الإصابة ابن حجر ١/٤٩٦ مرجعين سابقين) .

(٢) السـيرة النبويـة ابـن هشـام م١/٤٢٣ ، تـاريخ الطـبري ١/٥٥٦ ، عيـون الأثـر ابـن سـيد النـاس ١/٢٥٧ ، البداية والنهاية ابن كثير ٣/١٣٦ . وروى الخبر الحـاكم في المستدرك وصححـه ، ووافقـه الذهبي ١/١٥ مرجع سابق .

(٣) ذُهل : هم ذهل بن شيبان ، قبيلة من بكر بن وائل ، من العدنانية ، تنسب إلى ذهل بن شيبان بن ثعلبة بـن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

وذهل هذه فرع من شيبان بن ثعلبة الكبيرة . تسكن شمال الجزيرة ، سيدهم في الجاهلية مُرَّة بن ذهل بـن شيبان ، كان له عشرة من الولد نسلوا عشر قبائل ، أشهرهم : همـام وجسـاس . (انظر : معجـم قبـائل العرب محمد رضا كحالة ١/٤٠٦ مرجع سابق) .

ما أيّده صفي الرحمن المباركفوري [١] . وهذه رواية القصة كما رواها البيهقي : « عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب ، خرج وأنا معه ، وأبو بكر ﷺ ، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدّم أبو بكر ﷺ وكان مقدماً في كل خير ، وكان رجلاً نسابة فسلّم ، وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من ربيعة . قال : وأيُ ربيعة أنتم ؟ أمن هامها أم من لهازمها [٢] ؟ فقالوا : من الهامة العظمى ، فقال أبو بكر : وأي هامتها العظمى أنتم ؟ قالوا : من ذهل الأكبر ، قال : منكم عوف الذي يقال له : لا حُرَّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم جسّاس بن مرة حامي الذمار ، ومانع الجار ؟ قالوا : لا . قال فمنكم بسطام بن قيس : أبو اللواء . ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أخوال الملوك من كندة ؟ قالوا : لا . قال : فمنكم أصحاب الملوك من لخم ؟ قالوا : لا . قال أبو بكر : فلستم من ذهل الأكبر ، أنتم من ذهل الأصغر ، قال : فقام إليه غلام من بني شيبان يقال له دَغْفَل حين تبيّن [٣] وجهه فقال :

إن على سائلنا أن نسأله ∴ والعبء لا نعرفه أو نجهله

يا هذا قد سألتنا فأخبرناك ، ولم نكتمك شيئاً فمَن الرجل ؟ قال أبو بكر : أنا من

---

(١) الرحيق المختوم المباركفوري ص ١٥٣ مرجع سابق .

(٢) لهازمها : حاشيتها وأطرافها ، يعني القبيلة . (انظر : تعليقات محققي البداية والنهاية ابن كثير د/ أحمد أبو ملحم وآخرون ١٤٠/٣ مرجع سابق) .

(٣) تبين : أي ظهر شعر لحيته . (انظر : مختار الصحاح الرازي ص ٧٢ مرجع سابق) .

قريشٍ ، فقال الفتى : بخٍ بخٍ ، أهل الشرف والرئاسة ، فمن أي القرشيين أنت ؟ قال : من ولد تيم بن مرة ، فقال الفتى : أمكنتَ وا لله الرامي من سواء الثغرة [١] . أمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر فكان يدعى في قريش مجمّعاً ؟ قال : لا ، قال : فمنكم هشام الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف [٢] ؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبة الحمد عبدالمطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الظلماء ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الإفاضة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل السقاية أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الندوة أنت ؟ قال : لا . قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟ قال : لا . قال علي ﷺ : فاجتذب أبو بكر ﷺ زمام الناقة راجعاً إلى رسول ا لله ﷺ ، فقال الغلام :

صادف در السيل دراً يدفعه ∴ يهضِبه حيناً وحيناً يصدعه [٣]

ثمَّ قال : أما وا لله لو ثبتّ لأخبرتك مَنْ قريش ، قال : فتبسّم رسول ا لله ﷺ ، قال علي : فقلت : يا أبا بكر ! لقد وقعت من الأعرابي علي باقعة [٤] ، قال : أجل أبا الحسن ما من طامة إلا وفوقها طامة ، والبلاء موكلٌ بالمنطق ، قال : ثمَّ دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدّم أبو بكر فسلّم ، فقال : ممن القوم ؟ قالوا :

---

(١) الثغرة : الحفرة التي في الصدر ، والمعنى : أمكنتني من إفحامك . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦٠٤/٢ مرجع سابق) .

(٢) مسنتون : مجدبون ، جائعون بدون طعام . عجاف : ذهب الجوع بلحمهم . (انظر : تعليقات محققي البداية والنهاية ابن كثير ١٤٠/٣ مرجع سابق) .

(٣) در السيل : سرعته وقوة اندفاعه ، يعني أنه أفحم أبا بكر ﷺ . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٥٠٠ مرجع سابق) .

(٤) الباقعة : الرجل الداهية الذكي . (انظر نفس المرجع ص ٩٠٩) .

من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر [1] الناس ، وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك [2] ، وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكانت له غديرتان [3] تسقطان على صدره وكان أدنى الناس مجلساً ، فقال أبو بكر : كيف العدو فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لنزيد على ألف ، ولن تغلب ألفٌ من قلّة . فقال أبو بكر : وكيف المنعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجَهْد ولكل قوم جَد [4] . فقال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاءً حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله ؛ يُديلنا [5] مرة ويُديل علينا

---

(١) غرر : جمع غُرَّة : يعني السيد . فلان غرة قومه أي سيدهم . (انظر : مختار الصحاح الرازي ص ٤٧١ مرجع سابق) .

(٢) مفروق بن عمرو ، وهانئ بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك .
رؤساء بني شيبان وساداتهم .
أما المثنى فوفد على الرسول ﷺ في المدينة وأسلم ، استأذن أبا بكر ﷺ في قتال الفرس فأذن له ، وأرسل إليه خالد بن الوليد ﷺ . كان شهماً شجاعاً حسن الرأي . مات ﷺ قبل القادسية في خلافة عمر ﷺ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٥٩/٥ ، الإصابة ابن حجر ٣٤١/٣ مرجعين سابقين) .
أما الثلاثة الآخرون فمُختَلف في إسلامهم . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٥١/٥ ، ٣٣٣ ، والإصابة ابن حجر ٥٣٢/٣ مرجعين سابقين) .

(٣) غديرتان : الذوائب من الشعر تجمع وتسدل على جانبي الرأس . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٥٧٦ مرجع سابق) .

(٤) الجهد : الطاقة . الجَدّ : الحظ ، والمعنى علينا بذل الطاقة وليس علينا أن يكون لنا الظفر . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦٠٢/٢ مرجع سابق) .

(٥) يديلنا : ينصرنا . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٢٩٣ مرجع سابق) .

أخرى ، لعلك أخا قريش ؟ فقال أبو بكر : قد بلغكم أنه رسول الله ، ألا هو ذا ، فقال مفروق : بلغنا أنه يذكر ذاك ، فإلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدّم رسول الله ﷺ فجلس وقام أبو بكر يُظلّه بثوبه ، فقال رسول الله ﷺ : **أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وإلى أن تؤوني وتنصروني ، فإن قريشاً قد ظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد** .فقال مفروق : وإلى ما تدعونا يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلاماً أحسن من هذا ، فتلا رسول الله ﷺ **﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** [١] . فقال مفروق : وإلى ما تدعونا يا أخا قريش ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض . فتلا رسول الله ﷺ **﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾** [٢] .

فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ،

---

(١) سورة الأنعام الآيات ١٥١ ـ ١٥٣ .

(٢) سورة النحل الآية ٩٠ .

ولقد أَفِكَ [1] قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك . وكأنه أحبَّ أن يشركه في الكلام هانئ ابن قبيصة ، فقال : وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا ، فقال هانئ : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش ، إني أرى إنَّ تَرْكَنا ديننا وإتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر أنه زلل في الرأي ، وقلة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً ، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر . وكأنه أحبَّ أن يشركه المثنى بن حارثة ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى بن حارثة : سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتك على دينك ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيْن : اليمامة والسمامة [2] ، فقال رسول الله ﷺ : **ما هذان الصريان ؟** . فقال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان مما يلي مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً ، وإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا قرشي مما يكره الملوك ،

---

(١) أَفِكَ : كذب ، والإفك هو البهتان والظلم . والمعنى أي صُرِف عن الحق ومُنِع منه . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١٢٠٣ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦٠٣/٢ مرجعين سابقين) .

(٢) الصري : الماء الذي يحضره الناس . أي بين مجمع مائين يجتمع على كلٍ منهما جماعة من الناس .

اليمامة : اسم من أسماء الحمام . وهي أرض قبل نجد ، بينها وبين البحرين عشرة أيام ، وتسمى جوًّا ، والعروض ، وهي أرض مسيلمة ، فتحها خالد بن الوليد ﷺ أيام الردة .

السمامة : اسم من أسماء الطيور ، و لم أجد مكاناً بهذا الاسم ، وأظنها : السماوة : وهي البادية التي بين الكوفة والشام . وقيل : هي ماء لكلب . وهي الأقرب للصواب . لأنه قال : نحن بين صريين أي ماءين ، ماء قبل نجد في اليمامة . وماء الشام . (انظر المراجع التالية : معجم البلدان الحموي ٢٧٨/٣ ٥٠٥/٥ مرجع سابق ، الموسوعة العربية الميسرة ١٠١٢/١ دار نهضة لبنان للطبع ١٤٠٧ هـ) .

فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : **ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه ، أرأيتم أن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدّسونه ؟** . فقال النعمان بن شريك : اللهم فلك ذلك ، قال فتلا رسول الله ﷺ ﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً .، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً** ﴾ (١) . ثمَّ نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر وهو يقول : **يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها ! بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم** .

قال علي ﷺ : فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ وقد سُرَّ بما كان من أبي بكر ومعرفته بأنسابهم » (٢) .

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) دلائل النبوة البيهقي ٤٢٢/٢ ــ ٤٢٧ ، ورويت القصة بألفاظ متقاربة في الروض الأنف السهيلي ٦٠/٤ ـ ٦٤ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٢٥٨/١ ـ ٢٦٠ ، البداية والنهاية ابن كثير ١٣٩/٣ ـ ١٤٣ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٩٦/٢ ــ ٥٩٨ مراجع سابقة) . قال محقق دلائل النبوة د/ عبدالمعطي قلعجي : رواه الحاكم . ـ ولم أجده عند الحاكم ـ ثمَّ قال : وقال القسطلاني في المواهب : أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن .

نتيجةُ عرضِ الرسول ﷺ نفسَه على القبائل :

١ ـ طارت القبائل بخبر النبي ﷺ حتى لم يعُد حيٌّ من أحياء العرب إلا وهو حديث مجالسهم .

٢ ـ ظهر عجز قريش في التعتيم على نور الإسلام خارج مكة .

٣ ـ فُضحت قريش بظهور موقفها الظالم من الضعفاء . وفي ذلك يقول مفروق : قد أَفِكَ قومٌ كذّبوك وظاهروا عليك . وقد ذكرنا القصة كاملة آنفاً .

٤ ـ اشرأبت نفوس القبائل في الجزيرة العربية إلى معرفة حقيقة هذه الدعوة .

٥ ـ إسلام بعض أفراد هذه القبائل أو تحديث النفس بالإسلام . ومما يؤيد ذلك ، أن ميسرة بن مسروق العبسي بعد عرض النبي ﷺ نفسه على بني عبس حثّ قومه على الإسلام وعرض الخبر على يهود فدك ، وبعدما أخبروه بصفات الرسول ﷺ أسلم [١] .

وأصغر القوم من كندة حثّ قومه على الإسلام بعد أن عرض عليهم الرسول ﷺ نفسه ، وقال لقومه : اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تُسبقوا عليه [٢] .

٦ ـ معرفة أخلاق وصفات القبائل ، وأيهم أقرب مؤازرة للدعوة وأرجى استجابة لها ، وذلك من خلال استقراء انطباعهم ومواقفهم تجاه الدعوة قبل وبعد

---

(١) انظر : البداية والنهاية ابن كثير ١٤٤/٣ ، سبل الهدي والرشاد الصالحي ٥٩٣/٢ مرجعين سابقين .

(٢) انظر نفس المرجع ٦٠٠/٢ .

ظهورها . قال ﷺ لبني شيبان في نهاية الحوار معهم : « **أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه** ؟ » فقال النعمان بن شريك : اللهم فلك ذلك[1] .

٧ - إسلام الأنصار وإيواء الرسول ﷺ ونصرته أعظم نتيجة لعرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل .

---

(١) انظر : ص١٥٧ .

المبحثُ الثاني :.

البعـوثُ والســــــرايا

وفيه ثلاثة مطالب :.

المطلبُ الأولُ :.

معنى البعثِ والسرية والفرق بينهما

المطلبُ الثاني :.

أثرُ الجهادِ في نشر الدعوة

المطلبُ الثالث :.

نماذجُ من بعوثِ الرسولِ ﷺ للأعراب

المطلب الرابع :.

نماذجُ من سـرايا الرسولِ ﷺ وبعوثه للأعراب

المطلبُ الخامس :.

أهدافُ سرايا الرسولِ ﷺ وبعوثهِ للأعراب

المطلبُ السادس :.

تساؤلٌ والإجابة عليه

المطلبُ الأولُ :.

معنى البعثِ والسريةِ والفرق بينهما

١ ـ البعثُ : ـ

بعَثه : أرسله وحده .

والبعثُ : بعث الجند إلى الغزْو .

والبعثُ: الجيش ، والبعوث : الجيوش .

والبعثُ: القوم المشخصون .

والبعثُ: الإرسال [١] .

ومبعوثُك الذي بعثته : أي أرسلته [٢] .

٢ ـ السَّرِيَّة : ـ

القطعة من الجيش ما بين خمسمائة إلى ثلاثمائة .

يُقال : سرَّى قائد الجيش سرية إلى العدو إذا جردها وبعثها إليهم ، وسميت القطعة من الجيش سرية لأنها تسري ليلاً في خفية لئلا يُنذر بهم العدو [٣] .

قال ابن حجر : السرية : هي التي تخرج بالليل . وسميت بذلك لأنها تُخفي

---

(١) لسان العرب ابن منظور مادة (بعث) ١١٦/٢ ، تاج العروس الزبيدي ١٦٨/٥ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (بعث) ص ٢١٠ مراجع سابقة .

(٢) النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ١٣٨/١ مرجع سابق .

(٣) لسان العرب ابن منظور ٣٨٣/١٤ مرجع سابق .

ذهابها . وهي قطعة من الجيش تخرج منه ثمَّ تعود إليه . وهي من مائة إلى خمسمائة .

وما افترق من السرية يُسمى بعثاً [1] .

وقال ابن الأثير : السرية : طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة وسموا بذلك لأنهم خُلاصة العسكر وخيارهم ، من الشيء السَّريِّ النفيس [2] .

وقد ورد في الحديث وعند أهل السِّير تسمية السرية بعثاً ، والبعث سرية ، فلا يَكاد يُفرق بينهما . كما روى البخاري - رحمه الله - بسنده عن ابن عمر ﷺ قال : « **بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها** » [3] .

قال الحلبي : (وربما سموا الواحد سرية ، وربما سموا الاثنين فأكثر بعثاً) [4] .

وقال أبو تراب الظاهري في اختلاف العلماء في عدد سرايا الرسول ﷺ وبعوثه : (وسبب ذلك - عندي — اعتبار البعوث للتعليم والزكاة سرايا ، وإسقاط بعضها وإثبات بعضها) [5] .

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٦/٨ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ١٢/٦ ، ١٣ ، شرح النووي على صحيح مسلم ٣٧/١٢ مراجع سابقة .

(٢) النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣٦٢/٢ مرجع سابق .

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب السرية التي قبل نجد ١٠٦/٥ ، وورد في سيرة ابن هشام قوله : (وبعث ﷺ عبيدة بن الحارث في ستين راكباً) وما بعدها من السرايا . السيرة النبوية ابن هشام م٢٣٤/٢ وما بعدها ، وعيون الأثر ابن سيد الناس ٣٥٤/١ وما بعدها . وقال : (وبعث عبيدة في ستين أو ثمانين راكباً) وقال سرية سعد بن أبي وقاص وبعثه في عشرين من المهاجرين . وقال سرية عبدا لله بن جحش ومعه ثمانية رهط . مراجع سابقة .

(٤) نقلاً من (سرايا الرسول ﷺ أبو تراب الظاهري ص ١٥ مطبوعات تهامة جدة ط١ ١٤٠٤ هـ) .

(٥) نفس المرجع ص ١٧ .

لكن الذي عليه اتفاق المحدِّثين وأهل السِّير وكُتّاب التاريخ التفريق بين الغزوة والسرية .

فالغزوة : المجموعة أو الجيش الذي يقوده الرسول ﷺ بنفسه .

والسرية : المجموعة أو الجيش الذي يقوده أحد أفراد المسلمين و لم يحضره الرسول ﷺ [1] .

ومن هذا يظهر لنا عدم التفريق الواضح بين البعث والسرية ، إلا أن رُسل الكتب والتعليم والصدقات تسمى بعثاً ولا تُسمى سرايا .

وفي بحثي هذا أعني **بالبعث** : بعث التعليم ، أو المبعوث الواحد حتى ولو كان لقتل أحدٍ من المشركين أو لترصد خبر العدو .

أما **السرايا** : فهي ما كان عددها أكثر من ذلك وكانت للجهاد والبلاغ وترصد أخبار العدو .

---

(١) نفس المرجع ص ١٤ ، وانظر : الرحيق المختوم المباركفوري ص ١٧٧ ، والسيرة النبوية د / محمد أبو شهبة ٢/٦٧ ، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د / مهدي رزق الله أحمد ص ٣٢٦ مراجع سابقة .

المطلب الثاني :.

أثر الجهاد في نشر الدعوة

ما الجهاد إلا وسيلة عظيمة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية . فحكمته تعبيد الناس لله وحده ، وإعادة ما انحرف من الفطرة إلى توحيد الله الخالص وإذعان أهل الأرض لسلطان الإسلام عقيدة ومنهجاً [1] . فإن لم يدينوا به ، أُلزِموا بدفع الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، وأُجري حكم الله فيهم .

قال تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [2] .

قال الشوكاني - رحمه الله - : (فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين لله ، وهو الدخول في الإسلام ، والخروج عن سائر الأديان المخالفة له . فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله) [3] .

وروى البخاري - رحمه الله - بسنده عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : « **قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله** » [4] .

---

(١) انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة د / علي العلياني ص ١٥٨ وما بعدها دار طيبة الرياض ط١ ١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٣ .

(٣) فتح القدير الشوكاني ١٩١/١ دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ .

(٤) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ ﴾ ١١/١ ، ١٢ مرجع سابق .

وأكثر الطغاة والمعاندين لا ينقادون للحق إلا بقوة تحملهم عليه ، وهذه سنة الله الجارية في الصراع الدائم بين الحق والباطل . قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (١) .

قال ابن كثير في تفسير الآية : (وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده من بعد قيام الحجة عليه ، ولهذا أقام الرسول ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة تُوحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف . شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده) (٢) .

فقد مكث الرسول ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة ، لم يألُ جهداً في تبليغ الدين والصبر على البأساء والضراء ، ويؤيده ربه بالمعجزات والآيات المحكمات ، فما استجاب له إلا النزر اليسير من السابقين الأولين إلى الإسلام .

فلما هاجر وأُذِن له بالقتال اقترنت الآيات والمعجزات بسيوف المؤمنين ، تضرب الأعناق ، وتقطع البنان ، وأيديهم تشد الوثاق ، عند ذلك انقادت القبائل المتمردة للإسلام ، وأذعنت وخضعت وزالت عنهم غشاوة الجاهلية ، ولما تتابعت الغزوات والسرايا والبعوث ظهر الإسلام وانتشر انتشاراً بالغاً ودخل الناس في دين الله أفواجاً

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٢٧٦/٤ مرجع سابق .

حتى حجّ معه ﷺ مائة ألف أو يزيدون .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (وبعثه بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يُعبد سبحانه وحده لا شريك له وجعل رزقه تحت ظلِّ سيفه ورمحه ــ إلى أن قال ـ فإن الله أقام دين الإسلام بالحجة والبرهان ، والسيف والسِّنان فكلاهما في نصره أخوَان شقيقان)[1] .

وصدق القائلُ :

دعا المصطفى دهراً بمكةَ لم يُجَبْ ∴ وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيفُ صلتٌ بكفهِ ∴ له أسلموا واستسلموا وأنابوا[2]

فلا شك أن الجهاد له الأثر البالغ في نشر الإسلام ، وهو ذروة سنامه ، ومظهر عزةِ وقوةِ أتباعه ، وبالجهاد يمكنهم الله في الأرض .

وهو وصية نبي الإسلام ﷺ لأتباعه . فقد استحضر الصحابة رضوان الله عليهم أهدافَ الجهادِ الساميةَ ، وآثارَه البالغةَ في نشر الدعوة ، فقدموا أرواحهم على أكفهم ، ونشروا الإسلام بالحجة والبيان والسيف والعنان . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن جبير بن حية[3] قال : « فندبَنَا عمرُ ، واستعمل علينا النعمان

---

(١) الفروسية ابن القيم تحقيق مشهور بن سلمان ص ٨٣ ، ٨٤ دار الأندلس حائل ط١ ١٤١٤ هـ .

(٢) مجموع فتاوى سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن باز جمع د/ محمد بن سعد الشويعر ٢٠٤/٣ طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ط١ ١٤١٠ هـ .

وقد نُسِب إلى حسان بن ثابت ﷺ و لم أجده في ديوانه الذي طبعته دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ .

(٣) جبير بن حَيّة بن مسعود الثقفي ابن عم المغيرة بن شعبة . شهد الفتوح في عهد عمر ﷺ ، وهذا دليل على =

ابن مقرّن [1] ، حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعينَ ألفاً ، فقام ترجمان فقال : ليكلمني رجل منكم . فقال المغيرة : سل عما شئت . قال : ما أنتم ؟ قال : نحن أناس من العرب ، كنا في شقاء شديد ، وبلاء شديد ، نمص النوى والجلد من الجوع ، ونلبس الوبر والشعر ، ونعبد الشجر والحجر ، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرض تعالى ذكره وجلّت عظمته إلينا نبياً من أنفسنا ، نعرف أباه وأمه ، فأمر نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده ، أو تؤدوا الجزية ، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة ، في نعيم لم يرَ مثلَها قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم » [2] .

=

أنه لم يكن صغيراً زمن النبي ﷺ . فيكون صحابياً ، لأن ثقيفاً لم يبق منهم في عهد النبي ﷺ ممن كان موجوداً إلا أسلم . فأقل أحواله كما قال ابن حجر أن له رؤية . مات في خلافة عبدالملك . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٢٣/١ ، الإصابة ابن حجر ٢٢٧/١ ، وتقريب التهذيب ابن حجر ص ١٣٨ مراجع سابقة) .

(١) النعمان بن مُقرِّن المزني ، صحابي جليل ، كان حامل لواء مزينة يوم الفتح ، خرج في الفتوحات ، كان أمير المسلمين في نهاوند . قال عند بداية القتال : « اللهم ارزقني الشهادة بنصر المسلمين ، وافتح عليهم » ، قتل في تلك المعركة . ونعاه عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر وبكى . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٤٢/٥ ، الإصابة ابن حجر ٥٣٥/٣ مرجعين سابقين) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجزية باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ٦٣/٤ مرجع سابق .

المطلبُ الثالث :.

نماذجُ من بعوث الرسولِ ﷺ للأعرابِ

١ ـ بعثُ عبدالله بنِ أنيسٍ ﷺ [1] إلى سفيانَ بن خالدٍ الهذليّ

بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد الهذلي وكان ينزل عرنة [2] يجمع الجموع ضد رسول الله ﷺ ، فبعث عبدالله بن أنيس ليقتله فقال « صفه لي يا رسول الله ، قال : « **إذا رأيته هِبتَه وفرِقت منه ، وذكرتَ الشيطان** » . قال : وكنت لا أهاب الرجال ، واستأذنت رسول الله ﷺ أن أقول [3] فأذِن لي ، فأخذت سيفي وخرجت أعتزي [4] إلى خُزاعة حتى إذا كنت ببطن عُرَنَة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش [5] ومن ضوى إليه ، فعرفته بنعت رسول الله ﷺ وهبته فرأيتني أقطُر [6] ، فقلت : صدق الله ورسوله ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك . قال : أجل إني لأجمع له ، فمشيت معه وحدّثته واستحلى حديثي

---

(١) عبدالله بن أنيس الجهني . حليف بني سلمة من الأنصار ، صحابي جليل ، شهد العقبة ، وأحداً . مات سنة ٥٤ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٧١/٢ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٩٦ مرجعين سابقين) .

(٢) عُرَنَة : وادٍ بحذاء عرفات . (انظر : معجم البلدان ياقوت الحموي ١٢٤/٤ مرجع سابق) .

(٣) أقول : أفتعل كذباً أحتال به . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٩/٦ مرجع سابق) .

(٤) أعتزي : أنتمي . (انظر : نفس المرجع ٦١/٦) .

(٥) الأحابيش : حبشي جبل بمكة ، وسموا الأحابيش به لأنهم احتمعوا وتحالفوا قائلين : إنا ليد واحدة على غيرنا ما سجى ليل ووضح نهار ، وما رسا حبشي مكانه . فسموا الأحابيش ، وهم قريش وبني المصطلق وبني الهون بن خزيمة . (انظر : معجم البلدان الحموي ٢٤٧/٢ مرجع سابق) .

(٦) أقطر : أتفصد عرقاً .

حتى انتهى إلى خبائه [1] وتفرّق عنه أصحابه ، حتى إذا هدأ الناس وناموا اغتررتُه [2] فقتلته وأخذت رأسه ، ثمَّ دخلت غاراً في الجبل ، وضربت العنكبوت عليَّ ، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين . ثمَّ خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار حتى قدمت المدينة ، فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ، فلمّا رآني قال : « **أفلح الوجه** » . قلت : أفلح وجهك يا رسول الله ! فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري ، فدفع إليّ عصاً وقال : « **تخصّر [3] بهذه في الجنة** » . فكانت عنده فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدرجوها في كفنه ففعلوا » [4] .

٢ ـ بعث القراء

قدم عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة الكلابي [5] على رسول الله ﷺ ودعاه للإسلام فلم يقرب و لم يُبعد ، وطلب من الرسول ﷺ أن يبعث معه نفراً من أصحابه يدعون قومه للإسلام ويعلّمون ويقرئون القرآن مَن أسلم منهم . فقال الرسول ﷺ : إني أخاف عليهم أهل نجد . فقال عامر بن مالك : أنا لهم جارٌ إن يعرض لهم أحد .

---

(١) خبائه : الخِباء . بيت الأعراب لا يكون إلا من صوف أو وبر . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦٢/٦ مرجع سابق) .

(٢) اغترته : أخذته في غفلة . (انظر : نفس المرجع والصفحة) .

(٣) تخصّر : أي اتكئ عليها في الجنة ، وكان من شعار الملوك الإمساك بعصا إذا ظهروا للناس (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣٦/٢ مرجع سابق) .

(٤) الطبقات ابن سعد ٣٩/٢ ، السيرة النبوية ابن هشام ٢٦٥/٤ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٧/٦ . ورواها باختصار أبو داود في السنن كتاب الصلاة باب صلاة الطالب ١٨/٢ مراجع سابقة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات ٣٠٢/٦ مرجع سابق .

(٥) عامر بن مالك العامري الكلابي . عمّ عامر بن الطفيل . جزم ابن حجر وابن الأثير بعدم إسلامه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٤٠/٣ ، الإصابة ابن حجر ٤٩/٢ مرجعين سابقين) .

« فبعث معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الأنصار شَبَبَةً يُسمون القـراء ، وأمـرَّ عليهم المنذرَ بنَ عمرو الساعدي [1] ، فلما نزلوا بئر معونة [2] ، نزلوا عليها وعسكروا بها وسرحوا ظهرهم ، وقدموا حرام بن ملحان [3] بكتـاب رسـول الله ﷺ إلى عـامر ابن الطفيل [4] فوثب على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر [5] فأبوا وقـالوا : لا يُخفر جوار أبي براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من سُليم - عُصيةَ ورعلاً وذكوان [6] ــ فنفروا معه ورأسوه . واستبطأ المسلمون حراماً فأقبلوا في أثره فلقيهـم القـوم فأحـاطوا بهم فكاثروهم فتقاتلوا ، فقُتِل أصحاب رسول الله ﷺ . وجاء رسـول الله ﷺ خـبر أهل بئر معونة . ودعا على قَتَلَتهم بعد الركعة من الصبح فقال : **اللهم اشـدد وطـأتك على مضر ! اللهم سنين كسـني يوسف ! اللهم عليك ببنـي لحيـان [7] وعضـل**

---

(١) المنذر بن عمرو الساعدي الخزرجي الأنصاري . من النقباء . قارئاً . استشـهد يـوم بئر معونـة . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٤٠/٣ مرجع سابق) .

(٢) بئر معونة : ماء بـين أرض بـني عـامر وأرض بـني سـليم . (انظر : معجـم البلـدان الحمـوي ١٨٦/٥ مرجع سابق) .

(٣) حـرام بـن ملحـان الأنصـاري . مـن القـراء . استشـهد يـوم بئر معونـة . (انظر : الإصابـة ابـن حجـر ٣١٨/١) .

(٤) عامر بن الطفيل : من رؤساء بني عامر . خيّر الرسول ﷺ بين ثلاث : يكـون لـك أهـل السـهل ولي أهـل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان . فدعا عليـه الرسـول ﷺ ، ومـات كـافراً . (انظـر : معجم قبائل العرب كحالة ٧٠٨/٢ ، وانظر : صحيح البخاري كتاب المغازي باب غـزوة الرجيـع ٤٢/٥ مرجعين سابقين) .

(٥) بني عامر : قبيلة كبيرة تنسب إلى عامر بن صعصعة ، ديارهم جهـة نجد . (انظر : معجـم قبـائل العرب كحالة ٧٠٨/٢ مرجع سابق) .

(٦) رعل وذكوان وعصية : قبائل من بني سُليم . (انظر : نفس المرجع ٤٣٦/٢ ، ٤٠٤/١ ، ٧٨٦/٢) .

(٧) بني لحيان : قبيلة من هذيل . (انظر : الأنساب السمعاني ١٣١/٥ مرجع سابق) .

والقارة [1] ـ وهم الذين قتلوا أهل الرجيع ـ وزِغب [2] ورعل وذكوان وعصية فإنهم عصوا الله ورسوله » [3] .

٣ ـ بعثُ الرجيعِ

بعد مقتل سفيان بن خالد الهذلي ، مشت بنو لحيان إلى عُضَل والقارة ، وجعلوا لهم فرائض أن يقدموا على رسول الله ﷺ ، ويتظاهروا بالإسلام ، ويكلّموه ليخرج معهم نفراً من أصحابه يعلمونهم الإسلام . فإذا جاءوا قتلنا من نشاء وسرنا بمن نشاء إلى قريش فنصيب به ثمناً . فقدموا المدينة .

قال ابن هشام : « فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً . فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث معهم نفراً من أصحابه وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه [4] ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع [5] ، غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذيلاً

---

(١) عضل والقارة : بطنان من بني الهون بن خزيمة بن مدركة . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٧٨٧/٢ ، ٩٣٥/٣ مرجعين سابقين) .

(٢) زِغب : بطن من سليم . (انظر : الأنساب السمعاني ١٥٧/٣ مرجع سابق) .

(٣) الطبقات ابن سعد ٤٠/٢ ، السيرة النبوية ابن هشام ١٣٧/٣ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٦٧/٢ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٩١/٦ ، زاد المعاد ابن القيم ٢٤٧/٣ ، وروى القصة البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ومعونة ٤٠/٥ مراجع سابقة) .

(٤) مرثد بن كنّاز أبي مرثد الغنوي ، هو وأبوه حلفاء لحمزة بن عبدالمطلب ، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً . كان مشهوراً بشدته وقوته فكان يحمل الأسرى من مكة إلى المدينة . استشهد يوم الرجيع . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٣٨/٥ مرجع سابق) .

(٥) الرجيع : ماء لهذيل بين مكة والطائف . (انظر : معجم البلدان الحموي ٣٣/٣ مرجع سابق) .

فقتلوهم وساقوا خبيباً ﷺ [1] إلى مكة ... » [2] .

هذه ثلاثة نماذج من بعوث الرسول ﷺ للأعراب ، منهم مَن بعثه لقتل سفيان بن خالد الهذلي الذي يؤلب الناس ضد المؤمنين ، ومنهم مَن بعثهم ليدعوا الأعراب للإسلام ويفقهوهم في الدين ، ويقرئوهم القرآن ، ويعلموهم شرائع الإسلام ، وقد تعرضوا فيها للقتل والإيذاء وتكبدوا المخاطر لتبليغ الإسلام ، ولم يتوقف الرسول ﷺ عن إرسال البعوث لنشر الدعوة الإسلامية بين قبائل العرب ، وإنما أكتفي بما ذكرت تجنباً للتطويل .

---

(١) خبيب بن عدي بن مالك الأوسي الأنصاري ، شهد بدراً ، كان أحد أهل الرجيع ، وقع في الأسر وباعه بنو لحيان لقريش لبني الحارث بن عامر بن نوفل لأنه قتل الحارث بن عامر يوم بدر ، فعذّبوه ، وقتلوه وصلبوه ، وهو أول من سنّ ركعتين قبل القتل . قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ∴ على أي جنبٍ كان في الله مصرعي

(انظر : الإصابة ابن حجر ٤١٨/١ مرجع سابق) .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام ١٢٣/٣ ، الطبقات ابن سعد ٤٢/٢ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦٣/٦ مراجع سابقة . وروى القصة بتغيير في الألفاظ البخاري كتاب المغازي باب غزوة الرجيع وبئر معونة ٤٠/٥ مرجع سابق .

المطلبُ الرابع :.

نماذجُ من سرايا الرسولِ ﷺ للأعراب

١ ـ سرية عكاشةَ بنِ محصنٍ رضي الله عنه [١] إلى غمْرِ مرزوقٍ [٢]

بعثه ﷺ في أربعين رجلاً ، فخرج يغذ السير ، ونذر بهم القوم ، فهربوا من مالهم ، فنزلوا علياء بلادهم ، فانتهوا إلى الماء ، فوجدوا الدار خلوفاً ، ووجدوا ربيئة [٣] لهم ، فأخذوه وهو نائم ، وطلب الأمان لنفسه ويخبرهم بنعمٍ للقوم فأمنوه فأخبرهم بها فوجدوا نعماً رواتع فأغاروا عليها وأصابوها وهربت الأعراب في كل وجه ، ونهى عكاشة عن الطلب ، واستاقوا مائتي بعير ، فحدروها إلى المدينة ، وأرسلوا الرجل ، وقدموا على رسول الله ﷺ ، ولم يُصب منهم أحد ولم يلقوا كيداً [٤] .

---

(١) عكاشة بن محصن الأسدي ، حليف بني عبدشمس ، من السابقين الأولين ، شهد بدراً ، وشهد له الرسول ﷺ بالجنة في حديث السبعين ألفاً ، استشهد في قتال أهل الردة في قتال مسيلمة . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٨٧/٢ مرجع سابق) .

(٢) غمر مرزوق : ماء لبني أسد جهة نجد من المدينة . (انظر : معجم البلدان الحموي ٢٣٩/٤ مرجع سابق) .

(٣) ربيئة : العين الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ١٢٣/٦ مرجع سابق) .

(٤) انظر نفس المرجع ١٢٣/٦ ، الطبقات ابن سعد ٦٥/٢ مرجع سابق .

٢ ـ سرية غالب بن عبدالله الليثي (١) إلى بني المُلَوّح (٢) بالكَدِيد (٣)

« بعثه ﷺ في سرية وأمره أن يشن الغارة عليهم ، يقول جندب الجهني رضي الله عنه (٤) ـ وهو أحد أفراد السرية ـ : ثمَّ سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكمنّا في ناحية الوادي وبعثني أصحابي ربيئةً لهم ، فخرجت حتى أتيت تلاً مشرفاً على الحاضر يُطلعني عليهم حتى إذا أسندت عليهم فيه علوتُ على رأسه ثمَّ اضطجعتُ عليه ، قال : فإني لأنظر إذ خرج رجلٌ من خباءٍ له فقال لامرأته : إني أرى على هذا الجبل سواداً ما رأيته أول من يومي هذا فانظري إلى أوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً . قال : فنظرت فقالت : والله ما أفقد من أوعيتي شيئاً . قال : فناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسَه وسهمين معها ، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ بين عينيّ ، قال : فانتزعته وثبتّ مكاني ، ثمَّ أرسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته فوضعته وثبتّ مكاني ، فقال لامرأته : والله لو كانت ربيئة لقد تحركت بعد ! والله لقد خالطها سهماي لا أبا لَكِ ! فإذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب ، قال : ثمَّ دخل وراحت (٥) الماشية من إبلهم وأغنامهم ، فلما احتلبوا وعطنوا واطمأنوا فناموا شنّنا

---

(١) غالب بن عبدالله الكلبي الليثي . بعثه النبي ﷺ عام الفتح ليُسهل لهم الطريق . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٣٦/٤ ، الإصابة ابن حجر ١٨١/٣ مرجعين سابقين) .

(٢) بني الملوح : بطن من بني ليث . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ١١٣٧/٣ مرجع سابق) .

(٣) الكديد : موضع بالحجاز بين مكة والمدينة على بعد اثنين وأربعين ميلاً من مكة . (انظر : معجم البلدان الحموي ٥٠١/٤ مرجع سابق) .

(٤) جندب بن مكيث بن عمرو الجهني ، بعثه رسول الله ﷺ على صدقة جهينة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٦٢/١ ، الإصابة ابن حجر ٢٥٢/١ ، الاستيعاب المطبوع مع الإصابة ابن عبدالبر القرطبي ٢١٨/١ مراجع سابقة) .

(٥) راحت : من الرواح وهو عودة الماشية عند آخر النهار وبداية الليل . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٢٨٣ مرجع سابق) .

عليهم الغارة واستقنا النَّعَمَ . قال : فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء ما لا قِبَلَ لنا به ، فخرجنا بها نحدرها ، فأدركنا القوم حتى نظروا إلينا ما بيننا وبينهم إلا الوادي ونحن موجّهون في ناحية الوادي إذ جاء الله بالوادي من حيث شاء يملأُ جَنَبَتَيه ماءٌ ، والله ما رأينا يومئذٍ سحاباً ولا مطراً ، فجاء بما لا يستطيع أحدٌ أن يجوزه ، فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندناها في المسيل نحدرها ، وفُتناهم فوتاً لا يقدرون فيه على طلبنا » (١) .

وفي جريان الوادي بالمياه للحيلولة بين المسلمين والمشركين كرامةٌ عظيمة تُعدُّ دافعاً قوياً من دوافع الاستجابة لمن أراد الله هدايته .

٣ ـ سرية الضحّاك بن سفيان الكلابي ﷺ (٢) إلى بني كلاب (٣)

« بعث ﷺ جيشاً إلى القُرَطاء (٤) عليهم الضحاك بن سفيان ، ومعه الأصيد بن

---

(١) الطبقات ابن سعد ٩٤/٢ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٢١٧/٦ ، وأشار إلى أصل القصة أبو داود في السنن كتاب الجهاد باب في الأسير يوثق ٥٦/٣ مراجع سابقة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجاله ثقات ٣٠٠/٦ .

(٢) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كلاب الكلابي ، شجاعاً قوياً ، قيل : إنه كان يقف على رأس الرسول ﷺ بالسيف . وجعله على صدقات قومه . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٩٨/٢ مرجع سابق) .

(٣) بني كلاب : بطن عظيم من بني عامر بن صعصعة . ديارهم حِمى ضريه جهة نجد . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٩٨٩/٣ مرجع سابق) .

(٤) القرطاء : بطن من بني بكر بن كلاب . وهم قُرط ، وقَريط ، وقُريط ، كانوا ينزلون قريب البكرات (جبال شُمخٌ يقال لها البكرات بناحية ضرية) . (انظر : معجم البلدان الحموي ٥٦٢/١ مرجع سابق) . وضريّة : أرض بنجد ، فيها حِمَى ضريّة ، ماؤها عذب ، وأرضها خصبة . قال أعرابي عندما سُئل : من أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، من حمى ضرية ، أرض لعمرُ الله ما نريد بها بدلاً عنها ولا حولاً ، ليس فيها أذى ولا قذى ولا عك ... (انظر : نفس المرجع ٥٢٠/٣) .

سلمة بن قرط [1] ، فلقوهم بالزُّجّ زجّ لاوَه [2] فدعوهم إلى الإسلام فأبوا ، فقاتلوهم فهزموهم فلحق الأصيد أباه سلمة ، وسلمة على فرس له في غدير الزّج ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبّه وسبّ دينه ، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه ، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء ثمَّ استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله و لم يقتله ابنه » [3] .

٤ ـ وبعث ﷺ سرية إلى رِعية السُّحيمي [4]

ذكر الصالحي « أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً إلى رعية السحيمي في أديم أحمر . فأخذ كتاب رسول الله ﷺ فرقع به دلوه ، فبعث إليه الرسول ﷺ سرية فلم يدعَوا له سارحة ولا رائحة ولا أهلاً ولا مالاً إلا أخذوه ، وانفلت عرياناً على فرس له حتى انتهى إلى ابنته وهي متزوجة في بني هلال وقد أسلمت وأسلم أهلها . فقالت له : مالك ؟ قال : كل الشر نزل بأبيك ، ما تُرك له رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال . قالت : دُعيتَ إلى الإسلام ؟

قال : أين بَعلُك ؟ قالت : في الإبل . فأتاه . قال : مالك ؟ قال : كل الشر نزل بي . ما تُرِكَت لي رائحةٌ ولا سارحةٌ ولا أهلٌ ولا مالٌ ، وأنا أريد محمداً قبل أن

---

(١) الأصيد بن سلمة بن قريظ (أو قرط) بن كلاب الكلابي ، أسلم وبعثه الرسول ﷺ في سرية الضحاك إلى قومه بني كلاب . (انظر : الإصابة ابن حجر ٦٨/١ مرجع سابق) .

(٢) زج لاوَه : موضع في نجد . (انظر : معجم البلدان الحموي ١٥٠/٣ مرجع سابق) .

(٣) الطبقات ابن سعد ١٢٣/٢ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٣٢٩/٦ مرجعين سابقين .

(٤) رُعْية السحيمي : وقيل : رِعْية . من سُحيمة فرع من عُرينة . سيد قومه . أسلم كما في القصة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٢٣/٢ مرجع سابق) .

يقسم أهلي ومالي . قال : فخذ راحلتي برحلها . قال : لا حاجة لي فيها . قال : فخذ قعود الراعي ، وزوّدَه إداوة من ماء . قال : وعليه ثوب إذا غطّى به وجهه خرج إسته وإذا غطّى به إسته خرجَ وجهه ، وهو يكره أن يعرف ، حتى انتهى إلى المدينة ، فعقل راحلته .

ثمَّ أتى رسول الله ﷺ فكان بحذائه حيث يُقبل . فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح قال : يا رسول الله ابسط يدك أُبايعك ، فبسطها . فلما أراد أن يضرب عليها قبضها إليه رسول الله ﷺ - فعل ذلك رسول الله ﷺ ثلاثاً ويفعله .

فلما كانت الثالثة قال : مَن أنت ؟ قال : أنا رِعية السُّحيمي . قال : فتناول رسول الله ﷺ عَضُده ثمَّ رفعه ، ثمَّ قال : **يا معشر المسلمين هذا رعية السحيمي الذي بعثت إليه كتابي فرقع به دلوه** . فأخذ يتضرع إليه . قال : يا رسول الله أهلي ومالي . قال : **أما مالك فقد قُسِّم ، وأما أهلك فَمَن قدرت عليه منهم** . فخرج فإذا ابنه قد عَرَف الراحلة وهو قائم عندها ، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله هذا ابني . قال : **يا بلال اخرج معه فَسَلْهُ أبوك هو ؟ فإذا قال : نعم فادفعه إليه** . فخرج إليه فقال : أبوك هذا ؟ قال : نعم . فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما رأيت أحداً منهما استعبر لصاحبه . قال ﷺ : « **ذاك جفاء الأعراب** » [1] .

هذه نماذج من سرايا الرسول ﷺ وبعوثه للأعراب ، ما هي إلا أمثلة يسيرة من

---

(١) سبل الهدى والرشاد الصالحي ٣٦٨/٦ ، وروى القصة الإمام أحمد في المسند ٢٨٦/٢ . مرجعين سابقين . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح ، وهو هذا ٣٠٤/٦ .

حركته الدائبة . منذ شرع الله الجهاد في سبيله . والتي اتخذت من الوسائل ما يتناسب مع واقعها ، فالدعوة بالبيان لتصحيح العقائد ، وتعليم الراغبين في الإسلام . والدعوة بالقوة لإزالة العوائق من طريق الدعوة ، وحماية الدعاة من غدر الغادرين واعتداء الطغاة .

وقد حققت بعوث الرسول ﷺ وسراياه جميع أهدافها . فأظهرت قوة المسلمين ، وهابهم الأعداء ، وسيطروا على طرق التجارة القرشية . وتمرّس المسلمون على القتال ، وذاقوا لذّة الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه ، فكوَّن بهم الرسول ﷺ قوةً دينية وسياسية واقتصادية وعسكرية يُشار إليها بالبنان . حتى ذُهِلَ منها العرب قاطبة . فلم يجدوا بدّاً من الدخول تحت لوائها ، فتتابعوا في الدخول في دين الله أفواجاً . وتوالت وفودهم على رسول الله ﷺ يعلنون الإسلام ، ويتعلمون تعاليمه ، ويطلبون الصفح عمّا بَدَر منهم .

وهذا ما سيتضح جليّاً في المبحث الثالث ـ إن شاء الله تعالى ـ .

المطلب الخامس :.

أهداف سرايا الرسول ﷺ وبعوثه للأعراب

بعد أن حطت رحال المصطفى المهاجر ﷺ بالمدينة ، واستقبلته بالبشر والترحاب ، بدأ في تكوين المجتمع المسلم اجتماعياً وسياسياً وعسكرياً . فآخى بين المهاجرين والأنصار ، وأبرم المعاهدات مع اليهود ، وجَدَّ في تأديب الأعراب الطاعنين المتمردين حول المدينة ، واهتمَّ بتبليغهم الدين مع أخذ الاحتياطات اللازمة لحماية أصحابه من غدرهم .

فبعث السرايا في كل وجه حول المدينة ، تنذر الأعراب عقبى طيشهم وتحرُّشهم بالمسلمين ، وتُبلِّغ الإسلام مَنْ قَبِلَه منهم .

ونستطيع أن نجمل أهداف سرايا الرسول ﷺ وبعوثه للأعراب في الأهداف التالية : ـ

١ ـ الدعوةُ إلى التوحيد وتبليغ الدين وتعليم الداخلين فيه ، يدل على ذلك سرية ابن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه [1] إلى بني سُليم « بعثه ﷺ إليهم ، فخرج إليهم ، وتقدّمه عين لهم كان معه ، فحذّرهم فجمّعوا ، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له ، فدعاهم إلى الإسلام فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا ، فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية ، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى

---

(١) ابن أبي العوجاء السلمي . لم أقف على اسمه . إلا أنه صحابي بعثه الرسول ﷺ في غزوة إلى بني سليم فَغُدِر بهم وقتلوا ، وتحامل هو على نفسه حتى أتى الرسول ﷺ . (انظر : الطبقات ابن سعد ٢٠٨/٤ ، أسد الغابة ابن الأثير ٢٣٤/٦ مرجعين سابقين) .

قتل عامتهم ، وأصيب ابن أبي العوجاء ثمَّ تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ » [1] .

وبعث ﷺ سبعين من أصحابه مع عامر بن مالك الكلابي إلى بئر معونة . بعثهم ليدعوهم ويعلموهم الإسلام . بعدما قطع عامر على نفسه عهداً بحمايتهم . ولكن غُدِرَ بهم وقُتلوا [2] .

وبعث عشرة من أصحابه إلى عضل والقارة عندما قدم رهطٌ منهم المدينة وادّعوا الإسلام وطلبوا من الرسول ﷺ أن يبعث معهم نفراً من أصحابه يفقهوهُم ويعلموهُم شرائعَ الإسلام ومنهم خبيب فغدروا بهم [3] .

٢ ـ إظهار قوة المسلمين وسيطرتهم على المدينة وما حولها .

٣ ـ حماية المدينة وسرحِها من العدوان الخارجي

فقد روى ابن سعد قصة سرية أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ [4] إلى ذي القصة [5] قال : « أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ، ووقعت سحابة بالمراض إلى تَغْلَمَين ـ والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة ـ فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار [6] إلى

---

(١) الطبقات ابن سعد ٩٤/٢ ، دلائل النبوة البيهقي ٣٤١/٤ مرجعين سابقين .

(٢) سبق ذكر بعث بئر معونة وتخريجه ص ١٧٠ .

(٣) سبق ذكر بعث الرجيع وتخريجه ص ١٧١ .

(٤) أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح القرشي الفهري ، أحد العشرة ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها . أمين هذه الأمة . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٤٣/٢ مرجع سابق) .

(٥) واد على مسافة أربعة وعشرين ميلاً من المدينة جهة نجد . (انظر : معجم البلدان الحموي ٤١٦/٤ مرجع سابق) .

(٦) بنو محارب : قبيلة تنسب إلى محارب بن خصفة بن قيس عيلان ، منهم طارق بن عبدالله المحاربي الصحابي . (انظر : الأنساب لأبي سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني تعليق عبدالله عمر البارودي ٢٠٧/٥ دار الجنان بيروت ط١ ١٤٠٨ هـ) .

=

تلك السحابة ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفاء ـ موضع على سبعة أميال من المدينة ـ فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا المغرب ، فمشوا إليهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح ، فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم وتركه ، فأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورِثَّةً (١) من متاعهم ، وقدم بذلك المدينة ، فخمّسه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم » (٢) .

٤ ـ تأديب الأعراب المتمردين المناوئين للمسلمين ، ذكر ابن سعد : أن رسول الله ﷺ بعث زيدَ بن حارثة رضي الله عنه (٣) إلى أُمّ قِرفة (٤) بناحية وادي القرى (٥) ،

=

ثعلبة : قبيلة من قبائل غطفان نسبة إلى ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن غطفان . (انظر : نفس المرجع ١/٥٠٥) .

أنمار : قبيلة من قبائل غطفان أيضاً . نسبة إلى أنمار بن بغيض بن ريث بن غطفان . (انظر : نفس المرجع ١/٢٢٣) .

(١) رِثّة من متاعهم : رديء من متاعهم . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٢١٧ مرجع سابق).

(٢) الطبقات ابن سعد ٢/٦٦ ، تاريخ الطبري ٢/٦٤١ مرجعين سابقين .

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي ، حبّ الرسول ﷺ . استُلِبَ من أمه في الجاهلية ، وعرض للبيع فاشترته خديجة ـ رضي الله عنها ـ وأهدته للنبي ﷺ . وجاء أبوه وعمه ليفديانه فاختار البقاء مع الرسول ﷺ . فأعلن تبنّيه أمام قريش ليطمئن أبوه وعمه ، وبقي ابناً للنبي ﷺ حتى حرّم الله التبني في الإسلام . قاد الكثير من السرايا ، أشهرها مؤتة التي مات فيها شهيداً رضي الله عنه . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/٥٤٥ مرجع سابق) .

(٤) أُمُّ قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، من فزارة من غطفان ، وكان بنو بدر يقطعون الطريق . أما أم قرفة فكانت في بيت شرف من قومها . تُعلّق في بيتها خمسين سيفاً لرجالٍ كلهم لها ذو محرم . حتى ضرب مثل عربي (لو كنت أعزَّ من أم قرفة) . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦/١٥٨ مرجع سابق) .

(٥) وادي القرى : واد بين الشام والمدينة ، فيه قرى كثيرة وبها سُمي . (انظر : معجم البلدان الحموي ٤/٣٨٥ مرجع سابق) .

وذلك أن زيداً كان في تجارة للمسلمين إلى الشام فلقيه ناس من فِزارة فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم ، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره فبعثه إليهم فكمنوا النهار وساروا الليل ، ونذِرت بهم بنو بدر ثمَّ صبحهم زيد وأحاطوا بالحاضر وأخذوا أُمَّ قرفة ثمَّ قتلوها ومن معها ثمَّ عادوا إلى المدينة (١) .

٥ ـ **السيطرة على طرق قريش التجارية** ، والتي كانت قريش تعقد أحلافاً مع الأعراب التي تخترق قوافل قريش أراضيها ، ذكر ابن سعد : أن الرسول ﷺ بعث حمزة رضي الله عنه (٢) في سرية يعترض عير قريش ، وعندما التقوا حتى اصطفّوا للقتال مشى مجديّ بن عمرو الجهني (٣) ، وكان حليفاً للفريقين جميعاً ، حتى حجر بينهم ولم يقتتلوا (٤) .

٦ ـ **تحذير الأعراب من مساعدة قريش ، أو حماية قوافلها التجارية** . وذلك عن طريق كثرة السرايا والبعوث .

٧ ـ **إرغام بعض الأعراب على عقد معاهدات نصرة وعدم اعتداء مع المسلمين** كما فعل الرسول ﷺ مع بني ضمرة (٥) ، جاء في معاهدته معهم : « أنهم آمنون على

---

(١) انظر : الطبقات ابن سعد ٦٩/٢ مرجع سابق .

(٢) حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، عمّ الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة ، بطل صنديد . لازم الرسول ﷺ ودافع عنه . استشهد في أحد ، وأسماه النبي ﷺ سيد الشهداء . (انظر : الإصابة ابن حجر ٣٥٣/١ مرجع سابق) .

(٣) مجدي بن عمرو الجهني ، كان سيداً لقومه في زمانه ، وكان حليفاً للرسول ﷺ ، وحليفاً لقريش . (انظر : الطبقات ابن سعد ٤/٢ ، ٩ مرجع سابق) ، ولم أعثر له على ترجمة في كتب التراجم والطبقات وسير الصحابة تدل على إسلامه .

(٤) انظر : نفس المرجع ٤/٢ .

(٥) بني ضَمرة : قبيلة تنسب إلى ضمرة بن بكر بن عبدمناة بن كنانة من مضر . تُنسب إليها غفار . (انظر : =

أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصرةَ على من دَهِمَهم بظلم ، وعليهم نصر النبي ﷺ ، ما بلّ بحرٌ صوفة [1] ، إلا أن يحاربوا في دين الله ، وأن النبي إذا دعاهم لنصرهِ أجابوه » [2] .

٨ ـ قتلُ وتصفيةُ ذوي السلطةِ المؤلبين للأعراب ضد المسلمين ، كما فعل ﷺ في بعث عبدالله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي بعُرنة عندما عَلِمَ أنه يجمع الجموع لرسول الله ﷺ ، فبعث عبدالله بن أنيس ليقتله فقتله [3] .

٩ ـ دعوتهم إلى الهجرة إلى المدينة . فقد كان ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية مما يوصيه به ، أنَّ من قَبِل الإسلام يُدعى إلى التحوّل من داره إلى دار الهجرة وإلا يُحرم من الغنيمة والفيء إلا إن جاهد في سبيل الله . روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن بريدة رضي الله عنه [4] قال : « **كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً**

=

لب اللباب في تحرير الأنساب السيوطي تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز ٨١/٢ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ) .

(١) ما بلّ بحر صوفة : يعني إلى الأبد . أي ما قام في البحر ماء ولو قَطرة . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٢٦/٤ مرجع سابق) .

(٢) الطبقات ابن سعد ٢١٠/١ مرجع سابق .

وهذه المعاهدة حدثت في غزوة الأبواء ، وهي أول غزوة غزاها النبي ﷺ . (انظر : صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة العشيرة . وقال ابن إسحاق : أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء ٢/٥ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٢٧٩/٧ ، السيرة النبوية ابن هشام م٢٧٥/١ مراجع سابقة .

(٣) سبق ذكر القصة وتخريجها ص ١٦٨ .

(٤) بريدة بن الحصيب بن عبدالله الأسلمي ، أسلم بعد بدر وهاجر إلى المدينة ، غزا مع النبي ﷺ ست عشرة غزوة ، مات سنة ٦٣ هـ في مرو . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٥٠/١ مرجع سابق) .

على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومَن معه من المسلمين خيراً . ثمَّ قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغُلُّوا [1] ، ولا تغدِروا [2] ، ولا تَمْثُلُوا [3] ، ولا تقتلوا وليداً . وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكُفَّ عنهم ، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، ثمَّ ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ... » [4] . ويُلحظ أن في تحولهم إلى دار الهجرة تتحقق أهداف أخرى منها :ـ

أ ـ يحصل لهم تلقي تعاليم الإسلام مباشرةً من الرسول ﷺ .

ب ـ يحظون بالتربية النبوية الكريمة .

جـ ـ تكثير سواد المسلمين ، وزيادة أعداد المجاهدين في سبيل الله .

---

(١) لا تغلوا : من الغلول ، وهي الخيانة في المغنم .

(٢) لا تغدروا : لا تنقضوا العهد .

(٣) لا تمثلوا : لا تشوهوا القتلى بقطع الأنوف والآذان . (انظر : معاني ألفاظ الحديث في تعليقات محمد فؤاد عبدالباقي على سنن ابن ماجة ٩٥٣/٢ مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ١٣٩/٥ مرجع سابق .

د - الأمن من مكرهم ، وصرف طاقة المسلمين إلى جهات أخرى .

١٠ - **تمويل بيت مال المسلمين من الغنائم والفيء** ، وفي ذلك سد لحاجات المؤمنين الذين تركوا المال والأهل والولد وهاجروا في سبيل الله ، وإعداد القوة العسكرية الإسلامية .

المطلب السادس :.

تساؤل، والإجابة عليه

معلومٌ أن الرسول ﷺ كان لا يبعث سرية حتى يوصيهم بتقوى الله ويعلّمهم آداب الجهاد ، ويأمرهم بدعوة عدوهم إلى ثلاث خلال : الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .

لكن بعض غزوات الرسول ﷺ وسراياه كانت تغير على القبائل وهم غارّون [1] ، وقد يُهاجمونهم ليلاً .

فكيف يُجمع بين الأمرين ؟

وقد أجاب على هذا التساؤل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم ، عند ذكر غزو الرسول ﷺ لبني المصطلق [2] وهم غارُّون وأنعامهم تُسقى على الماء . قال : (وفي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري والقاضي وهي : ـ

١ ـ يجب الإنذار مطلقاً . قال مالك وغيره وهذا ضعيف .

٢ ـ لا يجب الإنذار مطلقاً . وهذا أضعف منه أو باطل .

٣ ـ يجب الإنذار إن لم تبلغهم الدعوة ، ولا يجب إن بلغتهم ، لكن يُستحب .

---

(١) غارُّون : أي غافلون . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/٣٦ مرجع سابق) .

(٢) بني المصطلق : بطن من خزاعة ، تسكن بين مكة والمدينة ، منهم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث ـ سيدهم ـ رضي الله عنها ، وقعت في الأسر . أعتقها النبي ﷺ ونكحها . (انظر : لب اللباب السيوطي ٢/٢٦٠ مرجع سابق) .

وهذا هو الصحيح ، وبه قال نافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث والشافعي وأبو ثور وابن المنذر والجمهور . وقال ابن المنذر : وهو قول أكثر أهل العلم ، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه فمنها هذا الحديث ، وحديث قتل كعب بن الأشرف ، وحديث قتل أبي الحقيق) ا.هـ (١) .

وخبر دعوة الرسول ﷺ قد ذاع في أطراف الجزيرة العربية ، فما من قبيلة إلا وقد سمعت بدعوته ، وشاهدُ ذلك عرض نفسه ﷺ على القبائل في الأسواق والحج منذ بداية دعوته الجهرية المكية ، وكذلك أخبار هجرته وتكوين المجتمع الإسلامي في المدينة .

وكانت بعض سرايا الرسول ﷺ تدعوهم إلى الإسلام قبل القتال (٢) .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٣٦/١٢ مرجع سابق .

(٢) مثل سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم ، وقد ورد ذكرها ص ١٧٩ ، وسرية الضحاك إلى بني كلاب في نجد حيث دعاهم إلى الإسلام قبل القتال . وقد ورد ذكرها ص ١٧٥ .

المبحثُ الثالثُ :.

الوفـــود

المطلبُ الأولُ :.

معنى الوفد

المطلبُ الثاني :.

زمنُ وفادة العرب على الرسول ﷺ

المطلبُ الثالث :.

نماذجُ من وفود الأعرابِ على الرسول ﷺ

١ ـ في العهد المكيّ

٢ ـ في العهد المدني قبلَ الفتحِ

٣ ـ في العهد المدني بعدَ الفتحِ

المطلبُ الرابع :.

منهجُ النبي ﷺ في استقبال الوفودِ

المطلبُ الخامس :.

آثار و فادة الأعرابِ على لرسول ا لله ﷺ

المطلبُ الأولُ :.

معنى الوفدِ

١ ـ المعنى اللغويُ :ـ

وفَدَ إليه ، وعليه ، يَفِدُ وفداً ووفوداً ووِفادةً ، أي : قدم ووَرد .

والوفد : ذروةُ الحبلِ من الرملِ المشرف [1] .

وَفَدَ فلان يَفِدُ وِفادةً إذا خرج إلى ملك أو أمير [2] .

وفد : الواو والفاء والدال : أصل صحيح يدل على إشراف وطلوع . منه الوافد : القوم يَفِدون [3] .

٢ ـ أقوال المفسرين في معنى الوفد :ـ

قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً . وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً** ﴾ [4] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (الوفد : هم القادمون ركباناً ، ومنه الوفود ، وركوبهم على نجائب من نور ، وهم قادمون على خير موفود إليه . أما المجرمون المخالفون فإنهم يُساقون عنفاً إلى النار عطاشاً) [5] .

---

(١) القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ٤١٧ مرجع سابق .

(٢) لسان العرب ابن منظور ٤٦٤/٣ ، تهذيب اللغة الأزهري ١٩٩/١٤ مرجعين سابقين .

(٣) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ١٢٩/٦ مرجع سابق .

(٤) سورة مريم الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ١٢٠/٣ مرجع سابق .

وقال السعدي ـ رحمه الله ـ : (... وأن المتقين له ... يحشرهم إلى موقف القيامة مكرّمين ، مبجلين معظمين ... والوافد لابُدَّ أن يكون في قلبه من الرجاء ، وحسن الظن بالوافد إليه ، ما هو معلوم ... فالمتقون يفدون إلى الرحمن راجين من رحمته ، وعميم إحسانه ، والفوز بعطاياه ... وأما المجرمون فإنهم يُساقون إلى جهنم ورداً ، أي : عطاشاً) (١) .

وقال ابن عاشور : (أي حشر الوفود إلى الملوك ، فإن الوفود يكونون مكرمين ، وكانت لملوك العرب وكرمائهم وفود في أوقات ، وقد اتبع العرب هذه السنة فوفدوا على النبي ﷺ لأنه أشرف السادة . أما السَّوق فهو : تسيير الأنعام قدَّام رعاتها ، يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم فلا تتفلت عليهم ، فالسوق : سير خوف وحذر . وهذا السوق يكون للمجرمين) (٢) .

أما سيد قطب ـ رحمه الله ـ فيقول : (فأما المؤمنون فقادمون على الرحمن وفداً في كرامة وحسن استقبال . وأما المجرمون فمسوقون إلى جهنم ورداً كما تساق القطعان) (٣) .

فمن خلال الجمع بين معنى الآيتين يتضح معنى الوفد الذي هو على الضد من السَّوق ، وأن الوفد له المكانة والكرامة وحسن الوفادة .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ / عبدالرحمن السعدي تحقيق / محمد زهري النجار ١٣٧/٥ طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٤ هـ .

(٢) التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور ١٦٨/٨ مرجع سابق .

(٣) ظلال القرآن سيد قطب ٢٣٢٠/٤ دار الشروق بيروت ط١٠ ١٤٠٢ هـ .

٣ ـ المعنى الاصطلاحيُ : ـ

ذكر الزبيدي في تاج العروس عدة تعريفات للعلماء ، وقال في آخر كلامه : (يمكن أن يقال : إن كلام النووي وغيره استعمال عرفي ، وكلام المصنف وغيره استعمال لغوي ، وهذه التعريفات التي ذكرها : ـ

١ ـ **الوفد** : هم القادمون مختارين للقاء العظماء .

٢ ـ **الوفد** : جماعة مختارة للتقدم في لقاء العظماء ، وهو قول النووي .

٣ ـ **الوفد** : هم القوم يجتمعون ويردون البلاد ، واحدهم وافد ، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاعٍ وغير ذلك . وهو قول ابن الأثير) (١) .

٤ ـ **الوفد** : هم الركبان المُكَرَّمون (٢) .

٥ ـ **الوفود** : هم الذين يفدون على زعماء القوم في حاجة ، ويجب في حقهم التكريم وعدم الإهانة (٣) .

أما معنى الوفود الذي أعنيه :

فهم وفود القبائل القادمة للقاء الرسول ﷺ ، لإرادة استقصاء خبره ، أو إعلان الدخول في الإسلام ، أفراداً أو جماعات ، في العهد المكي ، والمدني ، قبل الفتح وبعده .

---

(١) تاج العروس الزبيدي ٣١٦/٩ مرجع سابق .

(٢) تهذيب اللغة الأزهري ١٩٩/١٤ مرجع سابق .

(٣) الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي علي رضوان الأسطل ص ٢٢ مكتبة المنار الأردن ط١ ١٤٠٤ هـ .

المطلب الثاني :.

زمن وفادة العرب على الرسول ﷺ

قال أهلُ السير والتاريخ إن سنة تسع من الهجرة هي سنة الوفود وسميت بذلك [1] لأن العرب كانت تَلَوَّم [2] بإسلامها الفتح ، فلما وقع الفتح وانجزَ الله وعدَه ، وأظهرَ نبيه ﷺ ، وأعزَّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، زال غبش الجاهلية ، واجتُثت الوثنية من أرض الله الطاهرة . فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، واستسلموا للإسلام ، وتسابقت وفودهم إلى المدينة ، يبايعون الرسول ﷺ وهم بين راغب في الإسلام وراهب من السيف . لكنهم جميعاً انضووا تحت راية الرسول ﷺ حتى خرج في غزوة تبوك بثلاثين ألفاً ، وحجَّ معه مائة ألف أو يزيدون .

روى الإمام البخاري - رحمه الله ـ بسنده عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه [3] قال : « كنا بما ممرِّ الناس ، وكان يمرُّ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما للناس ، ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعُمُ أنّ الله أرسله ، أوحى إليه ، أو أوحى الله بكذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يُغرّى [4] في صدري ، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتح

---

(١) انظر : السيرة النبوية ابن هشام ٢٠٣/٤ ، البداية والنهاية ابن كثير ٣٧/٥ مرجعين سابقين . المنتظم ابن الجوزي ٣٥٣/٣ ، تحقيق محمد ومصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٢ هـ ، وفود الإسلام أبو تراب الظاهري ص ٥ ـ ١٠ دار القبلة جدة ط١ ١٤٠٤ هـ .

(٢) تَلَوَّم : تنتظر . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٢٣/٨ مرجع سابق) .

(٣) عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي ، صحابي ، كان يؤم قومه على عهد الرسول ﷺ رغم حداثة سنة لأنه كان أكثرهم حفظاً . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٣٤/٤ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٤٢٢ ، مرجعين سابقين) .

(٤) يُغرّى : بالتشديد وبالتخفيف أي يُلصق بالغراء . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢٣/٨ مرجع سابق) .

فيقولون اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق . فلما كانت وقعةُ أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم وا لله من عند النبي ﷺ حقاً ... » [1] .

وقد ذكر بعض أهل السير وأهل الحديث بعض الوافدين قبل الفتح ، لكن جماهيرهم وفدت بعد الفتح ، فمن وفد قبل الفتح فوِفادته هجرة لمن أقام بالمدينة وآمن وجاهد . أما بعد الفتح فقد توقفت الهجرة . روى الإمام البخاري ـ رحمه ا لله ـ بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « **قال النبي ﷺ يوم فتح مكة : لا هجرة ، ولكن جهادٌ ونيّة** » [2] . فلَزِم التمييز بين المهاجرين ، والموعودين خيراً وحسنى . قال تعالى : ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [3] . قال ابن كثير : (الجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة . لأن الحال قبل الفتح شديد ، فلم يكن يؤمن حينئذٍ إلا الصديقين ، أما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ودخل الناس في دين ا لله أفواجاً) [4] .

وكان الرسول ﷺ بعد الفتح يبايع على الإسلام والجهاد . روى الإمام

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب قال الليث : حدّثني يونس عن ابن شهاب ٥/٩٥ مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع كتاب الجهاد باب لا هجرة بعد الفتح ٤/٣٨ .

(٣) سورة الحديد الآية ١٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٤/٢٦٨ مرجع سابق .

البخاري - رحمه الله - بسنده عن مجاشع بنِ مسعودٍ ﷺ[1] قال : « **جاء مجاشعُ بأخيه مجالدِ بنِ مسعودٍ إلى النبي ﷺ فقال : هذا مجالد يبايعك على الهجرة ، فقال : لا هجرة بعد فتح مكة ، ولكن أبايعه على الإسلام** »[2] .

قال ابن حجر : (المراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون)[3] .

وعلى هذا يتأكد أن من قبائل العرب من وَفَد على النبي ﷺ قبل الفتح وبعده . أفراداً وجماعات ، لكنهم لا يستوون في الفضل والمكانة . قال الكلاعي : (ما زال آحاد الوافدين وأفذاذ الوفود من العرب يفدون على رسول الله ﷺ منذ أظهر الله دينه وقهر أعداءه ، لكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان بعد فتح مكة ، ومعظمه في سنة تسع ولذلك كانت تسمى سنة الوفود)[4] .

---

(١) مُجاشع بن مسعود بن ثعلبة بن وهب السلمي ، صحابي ، قتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ . أما أخوه مجالد فقيل : قتل معه ، وقيل : بقي إلى سنة ٤٠ هـ . (انظر ترجمتهما في الإصابة ابن حجر ٣٤٢/٣ ـ ٣٤٣ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٢٠ مرجعين سابقين) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب لا هجرة بعد الفتح ٣٨/٤ مرجع سابق .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٩٠/٦ مرجع سابق .

(٤) الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء الكلاعي تحقيق مصطفى عبدالواحد مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٧ هـ .

المطلبُ الثالث :.

نماذجُ من وفودِ الأعرابِ على الرسول ﷺ

أردتُ بالوفودِ ، وفودَ القبائلِ القادمة للقاء الرسول ﷺ ، لإرادة استقصاء خبره ، أو إعلان الدخول في الإسلام ، أفراداً وجماعات ، في العهد المكي والمدني ، قبل الفتح وبعده .

وقد خصصت هذا المطلب لذكر نماذج من وفود الأعراب ، في مكة قبل الهجرة ، وفي المدينة قبل الفتح وبعده .

١ - في العهد المكي :-

وفادةُ أبي ذر الغفاري ﷺ على الرسول ﷺ لاستقصاء خبره ثمَّ إسلامه روى البخاري - رحمه الله - بسنده عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : « **لما بلغ أبا ذرٍ مبعث النبي ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي [1] فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثمَّ ائتني ، فانطلق الأخ حتى قدِمَه وسمع منه قوله ، ثمَّ رجع إلى أبي ذر ، فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر . فقال : ما شفيتني مما أردت فتزود وحمل شنّةً [2] له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فرآه علي ﷺ**

---

(١) هذا الوادي : وادي مكة .

(٢) شنّة : وعاء للماء ، مصنوع من جلد ، وتسمى قربة .

فعرف أنه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثمَّ احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمرّ به علي رضي الله عنه فقال : أما نال [1] للرجل أن يعلم [2] منزله ؟ فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك فأقام معه ثمَّ قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لتُرشدنَّني فعلت ، ففعل ، فأخبره . قال : فإنه حق وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني إن رأيتُ شيئاً أخاف عليك قمت كأني أُريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعلَ فانطلق يقفوه [3] حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه فسمع من قوله واسلمَ مكانه فقال له النبي ﷺ : ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري . قال : والذي نفسي بيده لأصرخَنَّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ، ثمَّ قام القوم فضربوه حتى أوجعوه ، وأتى العباس فأكب عليه قال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غِفارٍ [4] وأنَّ طريق تُجَّاركم إلى الشام فأنقذه منهم ، ثمَّ

---

(١) أما نالَ : أي أما حان .

(٢) أن يعلم منزله : أي يعرف مقْصدَه .

(٣) يقفوه : يتبعه . (انظر معاني ألفاظ الحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر ٧/١٧٤ - ١٧٥ مرجع سابق) .

(٤) غِفار : قبيلة عدنانية ، بطن من كنانة . ديارهم بين مكة والمدينة ، من مياههم بدر ، ومن أوديتهم ودَّان . قال الحموي : ودَّان لضمرة وغفار وكنانة ، دعا لهم الرسول ﷺ وقال : « **غفار غفر الله لها** » . صحيح البخاري كتاب المناقب باب ذكر أسلم وغفار ٤/١٥٧ مرجع سابق . منهم أبو ذر الغفاري الصحابي الزاهد المعروف . (انظر : السيرة النبوية ابن هشام ٢/٢٣٦ ، سير أعلام النبلاء =

عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه »[1] .

من قصة أبي ذرٍ ﷺ يتبين لنا وفادته على الرسول ﷺ يستقصي خبره ، وعندما عَرض عليه الإسلام أسلم على الفور ، وأمره بالعودة إلى قومه ودعوتهم للإسلام والبقاء حتى يأتيه خبر ظهور الإسلام ، ثمَّ الوفادة مرة أخرى « **ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري** » .

فمن خلال القصةِ كما ذكرها البخاري ــ رحمه الله ــ وغيره يتضحُ أن الرسولَ ﷺ :

أ ـ استقبلَه .

ب ـ دعاه للإسلام فأسلم .

جـ ـ استضافَه أبو بكرٍ ﷺ بعد إذن الرسول ﷺ ليلاً وأطعمه من زبيب الطائف[2] مع التكتُم على أمره خوفاً من قريش ، وقد استضافه قبل ذلك علي ﷺ كما في رواية البخاري السابقة .

د ـ أمره بالعودة إلى قومه ودعوتهم للإسلام .

هـ ـ اتخذ من وفادته وسيلة لدعوته ، ونقل خبر الرسول ﷺ إلى قبيلة غِفار ودعوتها للإسلام .

=

الذهبي ٤٦/٢ ـ ٧٨ ، معجم البلدان الحموي ٤٢٠/٥ ، الأنساب السمعاني ٣٠٤/٤ ، معجم قبائل العرب كحالة ٨٩٠/٣ ، مراجع سابقة) .

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب إسلام أبي ذر ٢٤١/٤ مرجع سابق .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٧٦/٧ مرجع سابق .

٢ - في العهد المدني قبل الفتح :-

أ - قال ابن سعد : وفـد أشـجع [١] « قدمـت أشـجع علـى رسـول ا لله ﷺ عـام الخندق وهم مائة ورأسهم مسـعود بـن رخيلـة [٢] ، فـنزلوا شـعب سـلع [٣] . فخرج إليهم رسول ا لله ﷺ وأمر لهم بأحمال التمر . فقالوا : يا محمد لا نعلـم أحداً من قومنا أقرب داراً منك منّا ولا أقل عدداً ، وقد ضقنا بحربـك وبحـرب قومك فجئنا نوادعك ، فوادعهم ثمَّ أسلموا بعد ذلك » [٤] .

ب - وذكر ابن سعد وفد سليم [٥] . قال : « وقدم على رسول ا لله ﷺ رجل مـن بني سليم يقال له قيس بن نسيبة [٦] ، فسمع كلامه وسأله عـن أشـياء فأجابـه ووعى ذلـك كلـه ، ودعـاه للإسـلام فأسـلم ، ورجـع إلى قومـه وقـال لهـم :

---

(١) أشجع : قبيلة من غطفان ، كانت منازلهم ضواحي المدينة ، لذلك قدموا لموادعة الرسول ﷺ بعد الخندق ، ويبدوا أنهم كانوا مشاركين مع غطفان في الأحزاب . (انظـر : معجـم قبـائل العـرب كحالـة ٢٩/١ مرجع سابق) .

(٢) مسعود بن رخيلة بن عائذ الأشجعي ، كان قائد أشجع يوم الأحزاب مع غطفان ، أسلم فحسن إسلامه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٦١/٥ مرجع سابق) .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . (انظر : معجم البلدان الحموي ٢٦٨/٣ مرجع سابق) .

(٤) الطبقات ابن سعد ٢٣٣/١ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤١٤/٦ ، وفود الإسـلام أبـو تـراب ص ١٥٢ مراجع سابقة . ولم أعثر على قصة الوفد في كتب السنة .

(٥) سليم : سليم بن منصور قبيلة عدنانية عظيمة من قيس غيلان ، كانت منازلهم عالية نجد ، وحرة بنو سـليم بين مكة والمدينة ، غزاهم الرسول ﷺ سنة ٣ هـ ، حتى بلـغ الكـدر مـن ميـاههم ولم يلـق كيـداً ، وقصـة إسلامهم كما في قصة الوفد . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٥٤٣/٢ مرجع سابق) .

(٦) قيس بن نُشْبة (على الصحيح) السلمي ، وفد على النبي ﷺ بعد الأحزاب وسأله عن مسائل . ثـمَّ أسـلم وعاد إلى قومه يدعوهم للإسـلام . (انظـر : أسـد الغابـة ابـن الأثـير ٤٤٨/٤ ، الإصابـة ابـن حجـر ٢٤٩/٣ مرجعين سابقين) .

أطيعوني وخذوا بنصيبكم منه . فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول الله ﷺ فلقوه بقديد [1] وهم تسعمائة ، ويقال كانوا ألفاً ، فيهم العباس بن مرداس [2] وأنس بن عياض بن رعل [3] وراشد بن عبد ربه [4] ، فأسلموا وقالوا : اجعلنا في مقدمتك ، واجعل لواءنا أحمر ، وشعارنا مقدم ، ففعل ذلك بهم ، فشهدوا معه الفتح والطائف وحنيناً ـ ثمَّ ذكر قصة رجل من سليم اسمه قدر بن عمّار [5] قال ـ قدم على النبي ﷺ فأسلم ، وعاهده على أن يأتيه بألفٍ من قومه على الخيل وأنشد يقول :

شددتُ يميني إذ أتيت محمداً ∴ بخير يدٍ شُدّت بحُجزَةِ مِئزَرِ
وذاك امرؤ قاسمته نصف دينه ∴ وأعطيته ألف امرئ غيرَ أعسرِ

ثمَّ أتى قومه فأخبرهم الخبر فخرج معه تسعمائة وخلّف في الحي مائة ،

---

(١) قديد : بين مكة والمدينة ، بينها وبين الكديد ستة عشر ميلاً ، وسميت قُديد لتَقَدُّد السيول بها ، وهي لخزاعة . (انظر : معجم ما استعجم عبدالله البكري الأندلسي تحقيق مصطفى السقا ١٠٥٤/٢ عالم الكتب بيروت ط٢ ١٤٠٣ هـ) .

(٢) عباس بن مرداس السلمي ، أسلم قبل فتح مكة بيسير كما في القصة ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وممن حَسُن إسلامهم ، عندما أُعطي أقل من عيينة والأقرع قال قصيدة ، فأمر الرسول بإعطائه حتى رضي ، وكان شاعراً محسناً ، وشجاعاً مشهوراً . قيل أنه سكن البصرة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ١٦٨/٣ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٩٤ مرجعين سابقين) .

(٣) أنس بن عباس ـ وليس عياض ـ بن رعل السلمي الرعلي وهو أحد قادة سُليم الثلاثة يوم الفتح . (انظر : الإصابة ابن حجر ٨٣/١ مرجع سابق) .

(٤) راشد بن عبد ربّه السلمي ، يقال كان اسمه غوياً فسمّاه النبي ﷺ راشداً . وله قصة مع الصنم ـ سبق ذكرها ـ (انظر : نفس المرجع ٤٨٣/١) .

(٥) قدر ـ الصواب قَدَدَ بن عمّار السلمي ، أتى النبي ﷺ وأسلم ووعده ـ كما في القصة ـ ثمَّ ترحّم عليه بعدما أُخبر بوفاته . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٩٧/٤ مرجع سابق) .

فأقبل بهم يريد النبي ﷺ ، فنزل به الموت ، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه . إلى العباس بن مرداس وأمّره على ثلاثمائة ، وإلى الأخنس بن يزيد [١] وأمّره على ثلاثمائةٍ وإلى جبّارِ بنِ الحكمِ [٢] وهو الفرّار الشريدي وأمّره على ثلاثمائة وقال : ائتوا هذا الرجل حتى تقضوا العهد الذي في عنقي ، ثمَّ مات ، فمضوا حتى قدموا على النبي ﷺ فقال : « **أين الرجل الحسن الوجه الطويل اللسان الصادق الإيمان ؟** » . قالوا : دعاه الله فأجابه ، فقال : « **أين تكملة الألف الذين عاهدني عليهم ؟** » . قالوا : قد خلّف مائة بالحي مخافة حربٍ كان بيننا وبين بني كنانةَ ، قال : « **ابعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه** » . فبعثوا إليها فأتته بالهدَّة [٣] وهي مائة عليها المنقّع بن مالك [٤] . فلما سمعوا وئيد [٥] الخيل قالوا : يا رسول الله أُتينا . قال : « **لا بل لكم لا عليكم ، هذه سليم بن منصور قد جاءت** » . فشهدوا مع

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) جبّار بن الحكم السلمي ، أحد وفود بني سليم على الرسول ﷺ ، طلبوا أن يدفع لواءهم له يوم الفتح فكره ﷺ ذلك الاسم . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣١٥/١ ، الإصابة ابن حجر ٢٢١/١ مرجعين سابقين) .

(٣) الهدَّة : الخسف في الأرض ، وهو موضع بين مكة والمدينة بأعلى مر الظهران . (انظر : معجم البلدان الحموي ٤٥٥/٥ مرجع سابق) .

(٤) المنقع بن مالك بن أميَّة بن عبدالعزى السُّلمي ، كان قائد المائة التي تأخرت من سليم ثمَّ طلبها الرسول ﷺ فلحق بهم ، قال في أسد الغابة : « توفي في حياة الرسول ﷺ وترحم عليه » ، بينما الذي توفي وترحم عليه هو قدد بن عمّار . وقد مرّت ترجمته ـ والله أعلم ـ . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٧٥/٥ ، الطبقات ابن سعد ٢٣٤/١ مرجعين سابقين) .

(٥) وئيد : صوت شدة الوطء على الأرض يُسمع كالدوي من بُعد . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٢٨/٦ مرجع سابق) .

النبي ﷺ الفتح وحنيناً ، وللمنقّعِ بن مالكٍ يقول العباس بن مرداسٍ القائد :

القــائدُ المائــةُ الــتي وفّــى بهــا ∴ تِسعُ المئــينَ فتــمّ ألــفٌ أقــرَعُ » [1]

٣ - في العهد المدني بعد الفتح :-

أ - وفدُ أسد [2] . قال ابن سعد : « قدم رهـط مـن بـني أسـد في أول سـنة تسع وقالوا : أتيناك نتدرع [3] الليـل البهيـم ، في سنة شـهباء [4] ، ولم تبعـث إلينـا بعثاً ، ونحن لمن وراءنا فنزل قول الله تعالى : ﴿ **يَمُنّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُـلْ لاَّ تَمُنّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَـلِ اللّهُ يَمُـنُّ عَلَيْكُـمْ أَنْ هَداكُـمْ لِلإِيمَـانِ إِن كُنْتُـمْ صَادِقِينَ** ﴾ [5] . وكـان ممـا سـألوا عنـه يومئـذٍ العيافـة [6] والكهانـة وضـرب الحصى ، فنهاهم عن ذلك كله » [7] . وذكر ابـن سـعد « أن رسـول الله ﷺ

---

(١) الطبقات ابن سعد ٢٣٣/١ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٢٧/٦ ، وفود الإسلام أبو تراب ص ١٥٤ مراجع سابقة) . ولم أعثر على قصة الوفد هذه في كتب السنة .

(٢) أسد : قبيلة عظيمة عدنانية تنسب إلى أسد بن خزيمة ، بطونها كثيرة ، ديارهم في نجد بمجاورة طيء . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٢١/١ - ٢٣ مرجع سابق) .

(٣) نتدرع الليل البهيم : أي جعلنا الليل شديد الظلمة درعاً لنـا . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٠٧/٦ مرجع سابق) .

(٤) سنة شهباء : ذات قحط وجدب لا خضرة في أرضنا . (انظر نفس المرجع ٤٠٨/٦) .

(٥) سورة الحجرات الآية ١٧ .

(٦) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها . الكهانـة : تعـاطي خبر الكائنـات في المستقبل . (انظر نفس المرجع ٤٠٥/٦) .

(٧) الطبقات ابن سعد ٢٢٣/١ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٣٣٣/٢ ، زاد المعاد ابن القيم ٦٥٤/٣ مراجع سابقة .

وقد ذكر قصة وفادة أسد ابن حجر . قال د / مهدي رزق الله بعد أن ذكر قصة وفادة أسد الواردة في الإصابة لابن حجر : وفي هذا دليل على ثبوت وفادة بني أسد بطريق صحيح (انظر : السيرة النبويـة في ضوء المصادر الأصلية ص٦٦٤ مرجع سابق) .

قال لنقّادة الأسدي [1] : **يـا نقـادة ابـغ لـي ناقـة حلبانـةً [2] ركبانـةً [3] ولا تولهها علي ولد [4]** . فطلبها في نعمه فلم يقدر عليها ، فوجدها عند ابن عم له يقال له سنان بـن ظفـير [5] فأَطلَبَه إياهـا ، فسـاقها نقـادةُ إلى الرسـول ﷺ فمسح ضرعها ودعا نقادة ، فحلبَها حتى إذا بقّي فيها بقيةً من لبنها قال : **أي نقادة اترك داعي اللبن [6]** . فشرب رسول الله ﷺ وسقى أصحابه من لـبن تلك الناقة وسقى نقـادة سؤره وقـال : **اللهـم بـارك فيهـا من ناقـة وفيمـن منحهـا** . قـال نقـادة : وفيمــن جـاء بهـا يـا نـبي الله . قـال : **وفيمـن جاء بها** » [7] .

قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ**

---

(١) نقادة بن مالك الأسدي . له صحبة . يسكن البادية ، ثمَّ نزل البصرة . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٥٥/٥ ، الإصابة ابن حجر ٥٤٢/٣ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٦٦ مراجع سابقة) .

(٢) حلبانة : غزيرة الحليب . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٠٨/٦ مرجع سابق) .

(٣) ركبانة : ذلولة تُركب . (انظر نفس المرجع والصفحة) .

(٤) لا تولّهها على ولد : أي لا تجعلها والهة لذبحك ولدها . (انظر نفس المرجع ٤٠٩/٦) .

(٥) سنان بن ظفير الأسدي ـ صوابه ابن ظهير ـ له صحبة . وهو الذي قال له الرسول ﷺ « **دع داعي اللبن** » . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٦١/٢ ، الإصابة ابن حجر ٨٢/٢ مرجعين سابقين) .

(٦) داعي اللبن : لبن قليل يبقى في الضرع يدعو ما وراءه فينزله . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٠٩/٦ مرجع سابق) .

(٧) الطبقات ابن سعد ٢٢٣/١ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٠٥/٦ ، وأصل القصة في سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب في المكثرين ١٣٨٥/٢ مراجع سابقة . قال محمد فؤاد عبدالباقي في تعليقاته على سنن ابن ماجة في الزوائد : في إسناده البراء ، قد ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي : مجهول وباقي رجال الإسناد ثقات .

وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

قال : (نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر . وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه) (٢) .

ب ـ وفادة قيس بن عاصم (٣) إلى الرسول ﷺ :

وفد على النبي ﷺ في وفد تميم (٤) سنة تسع وأسلم .

---

(١) سورة الحجرات الآيات ١٤ ـ ١٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣٤٨/١٦ ، وانظر : جامع البيان الطبري ٤٠٣/١١ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ١١١/٦ ـ ١١٣ مراجع سابقة .

(٣) قيس بن عاصم التميمي المنقري ، وفد مع قومه بني تميم وأسلم ، وكان حليماً عاقلاً ، يُرى أنه حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية . مدحه النبي ﷺ وعلّمه كيف يتصرف في المال . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٣٢/٤ ، الإصابة ابن حجر ٢٤٢/٣ مرجعين سابقين) .

(٤) تميم : قبيلة عظيمة من العدنانية ، منازلهم بأرض نجد واليمامة ، وتاريخهم مليءٌ بالأحداث ، وفدوا على النبي ﷺ سنة تسع وهم أصحاب قصة الحجرات . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ١٢٦/١ ـ ١٣٢ مرجعين سابقين) .

يقول : « قلت يا رسول الله ، ما المال الذي ليست عليَّ فيه تبعة من ضيف ضافني أو عيال كثروا عليَّ ؟ قال : « **نعم المال الأربعون ، والأكثر الستون ، وويلٌ لأصحاب المئين إلا من أعطى من رِسلِها ونجدتها**[1] **، وأطرق فحلها ، وأفقَر**[2] **ظهرها ، ومنح غزيرتها ، ونحر سمينها وأطعم القانع والمعتر**[3] » . قال : يا رسول الله ، ما أكرم هذه وأحسنها ، إنه لا يُحلُّ بالوادي الذي أنا فيه لكثرة إبلي . فقال : « **فكيف تصنع بالطروقة**[4] **؟** » . قال : قلت تغدو الإبل ويغدو الناس ، فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به . قال : « **فكيف تصنع في الإفقار ؟** » . قلت : إني لأُفْقِر النّاب المُدبرة[5] والضرع الصغير . قال : « **فكيف تصنع في المنيحة ؟** » . قلت : إني لأمنح في كل سنة مائة . قال : « **فمالك أحبُّ إليك أم مالُ مواليك ؟** » . قلت : لا ، بل مالي . قال : « **إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو أعطيتَ فأمضيت . وسائره لمواليك** » . فقلت : وا لله لئن بقيت لأُقِلَّنَّ عَدَدَها »[6] .

---

(١) من رسلها ونجدتها : أي في الرخاء والشدة . (انظر نفس المرجع ٦/٦١٤ ـ ٦١٥) .

(٢) أفقَر ظهرها : أي أعار منها ، يقال : أفقره أي أعاره . (انظر تعليقات محقق نفس المرجع ٦/٦١٥) .

(٣) القانع والمعتر : الفقير : المتعفف ، والمعتر : السائل الذي يعتريك فيسألك . (انظر نفس المرجع والصفحة)

(٤) الطروقة : الجمل الفحل الذي يطرق الناقة . وإطراق الفحل : إعارته . (انظر : القاموس المحيط الفيروزآبادي ص ١١٦٦ مرجع سابق) .

(٥) أُفْقِر الناب المدبرة : أُعير البعير أو الناقة التي أدبَر خيرها ولم تعد تُحلَب فأعيرها لتُركب ويحمل عليها . وأُعير الضرع الصغير أي الناقة الصغيرة لتحلب . (انظر نفس المرجع ص ٥٨٨) .

(٦) سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦/٦١٣ . وقد رواها بتمامها الطبراني في المعجم الكبير ١٨/٣٣٩ ـ ٣٤٠ ، والحاكم في المستدرك ٣/٦١٢ ولم يتكلم عليه مراجع سابقة .

المطلب الرابع :.

منهج الرسول ﷺ في استقبال الوفود

عند تأمل معاملة الرسول ﷺ للوفود بحسن مخاطبتهم ، ومدحهم والثناء عليهم ، وإنزالهم منازلهم ، ومخاطبتهم على قدر فهمهم ، وبذل الجهد في إكرامهم ، وإجزال عطاياهم . نجد منهجاً نبوياً عظيماً متميزاً ، يستحق البحث والدراسة ، ليعمل به المسلمون ، ويُفيدوا به في دعوة الناس إلى الإسلام وإظهار آدابه المتميزة .

كما أن أخبار الوفود تحمل روائع الفقه والعلم وحسن السياسة وأدب المجادلة .

وسأذكر ما استطعت استنباطه ليدل على منهج النبي ﷺ في استقبال الوفود ، مما يؤيده الدليل ، أشير إليه إشارة من غير إطالة بحث : ـ

١ ـ التجمُّل للوفود

كان من هديه ﷺ لبس الثياب الجميلة المباحة ، ويأمر بلبسها من غير إسراف ولا مخيلة [١] فهي إظهار لنعمة الله وشكره . وكان له لباس يتجمّل به في الأعياد وعند استقبال الوفود .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (لبس الرفيع من الثياب يذمُّ إذا كان تكبراً وفخراً وخيلاء ، ويمدح إذا كان تجملاً وإظهاراً لنعمة الله) [٢] .

---

(١) الإسراف : مجاوزة الحد في كل فعل أو قول . والمعنيُّ به هنا الإسراف في اللباس .
المخيلة : التكبر والخيلاء . (انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠/٢٥٣ مرجع سابق) .

(٢) زاد المعاد ابن القيم ١/١٤٦ مرجع سابق .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عمر ﷺ قال : « **وجَدَ عمر ﷺ حلة إستبرق** [1] **تباع في السوق ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ابتع هذه الحلة فتجمّل بها للعيد وللوفود . فقال رسول الله ﷺ : إنما هذه لباس من لا خلاق له** » [2] .

قال ابن المنير : (... أنه ما أنكر عليه طلبه للتجمل للوفـود ، وإنما أنكـر التجمـل بهذا الصنف المنهي عنه) [3] .

وذكر الصالحي عن جندبٍ بنِ مُكيـثٍ ﷺ [4] قـال : « **كـان رسول اللـه ﷺ إذا قدِم عليه الوفد لَبِس أحسنَ ثيابه ، وأَمَرَ أصحابه بذلك ، فرأيته وقد قَدِم عليـه وفد كِندَة ، وعليه حلةٌ يمانية ، وعلى أبي بكر وعمر مثله** » [5] .

وروى ابن سعد عن عـروة بـن الزبـير [6] « **أنَّ ثـوب رسـول اللـه ﷺ الـذي كـان يخرج فيه إلى الوفـد ورداءه حضرمـي ، طولـه أربـع أذرع ، وعرضـه ذراعـان وشـبر ، فهـو عنـد الخلفـاء قـد خَلِـق وطَـوَوه بثـوب يلبسـونه يـوم**

---

(١) إستبرق : هو غَلُظ من الحرير ، وهي لفظة أعجمية معربة . (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٤٧/١ مرجع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب التجمل للوفود ٣١/٤ مرجع سابق .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٧١/٦ مرجع سابق .

(٤) جندب بن مُكيث الجهني ، مدني له صحبة ، مـات بعـد الستين (انظر : تقريـب التهذيـب ابـن حجـر ص ١٤٢ مرجع سابق) .

(٥) سبل الهدى والرشاد الصالحي ٣٩٥/٦ مرجع سابق .

(٦) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، إمام ، أحـد الفقهـاء السبعة ، حـدّث عـن أبيـه بشـيء يسـير لصغره ، وعن أمه أسماء وخالته عائشة أم المؤمنين . مات سنة ٩٤ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٤٢١/٤ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٣٨٩ مرجعين سابقين) .

الأضحى والفطر »[1] .

٢ ـ حسن استقبالهم والثناء عليهم

كان من هدي الرسول ﷺ البشاشة ورحابة الصدر وحلو المنطق . فكان يبش في وجوه الوفود ، ويقول لكل وفد كلاماً طيباً يشعرهم بمكانتهم ، ويثني عليهم بما هم أهلٌ له .

فقال لوفد أزد عمان : « **نعم الوفد الأزد ، طيّبةٌ أفواههم ، برّةٌ أيمانهم ، تقيّةٌ قلوبهم** »[2] .

وقال ﷺ لرويفع بن ثابت البلوي رضي الله عنه[3] عندما قدم بقومه على رسول الله ﷺ : « **مرحباً بك وبقومك** » . فأسلموا ، وقال لهم : « **الحمد لله الذي هداكم للإسلام** »[4] . وأخبرهم بأحكام ضآلة الغنم والإبل .

---

(١) الطبقات ابن سعد ٣٥٥/١ مرجع سابق .

(٢) مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ٣٥١/٢ مرجع سابق . وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٣/٣ رقم الحديث ١٠٣٩ المكتب الإسلامي بيروت ط٤ ١٤٠٥ هـ .

(٣) رويفع بن ثابت البلوي ، أسلم قبل قومه وسكن المدينة ، أو كان حليفاً للأنصار ، وعندما وفد قومه نزلوا عليه فذهب بهم إلى الرسول ﷺ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٥٠٧/١ ، ١١١/٤ مرجع سابق) .

وبلي : قبيلة من قُضاعة ، كانت تقع ديارها بين المدينة ووادي القرى إلى الشمال . وفدوا على الرسول ﷺ وأجازهم وحمد الله على إسلامهم بعد أن بعث إليهم عمرو بن العاص فقاتلهم ، وكانوا حلفاء للأنصار . (انظر : الأنساب السمعاني ٣٩٥/١ ، معجم قبائل العرب كحالة ١٠٤/١ مرجعين سابقين) .

(٤) الطبقات ابن سعد ٢٤٩/١ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٣٣٥/٢ ، زاد المعاد ابن القيم ٦٥٧/٣ ـ ٦٦٠ مراجع سابقة . وقد عقد ابن القيم فصلاً لما في هذه القصة من فقه .

وقال ﷺ لوفد أسلم [1] عندما قالوا له : اجعل لنا عندك منزلة تعرف العرب فضيلتها فقال : « **أسلم سالمها الله ، وَغِفار غفر الله لها** » [2] .

ومعلوم أن هذا الثناء والدعاء من الرسول ﷺ له بالغ الأثر في النفوس ، ودافع من دوافع الاستجابة والدخول في دين الإسلام رغبةً فيه .

٣ ـ دعوتُهم للإسلام ، وتعليمهم شعائرَه

ذكر ابن سعد وفد بارق [3] وأن الرسول ﷺ دعاهم إلى الإسلام فأسلموا وبايعوا ، وكتب لهم « **هذا كتابٌ من محمد رسول الله لبارق : لا تُجزّ ثمارهم ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق ، ومن مرَّ بهم من المسلمين في جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ...** » [4] .

وقَدِم عليه ﷺ وفد غامد [5] فنزلوا ببقيع الغرقد ، ثمَّ لبسوا صالح ثيابهم ، ثمَّ انطلقوا إلى رسول الله ﷺ ، فسلّموا عليه وأقرّوا بالإسلام ، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أُبي بن كعب فعلّمهم قرآناً ، وأجازهم رسول الله ﷺ كما

---

(١) أسلم : نسبة إلى أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو ، وأسلم وخزاعة أخوان . منهم جمع من الصحابة . (انظر : الأنساب السمعاني ١/١٥١ ، معجم قبائل العرب كحالة ١/٢٦ مرجعين سابقين) .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب ذكر أسلم وغفار ٤/١٥٧ مرجع سابق .

(٣) بارق : قبيلة تنسب إلى الأزد جهة اليمن . وبارق نسبة إلى جبل في ديارهم . (انظر : الأنساب السمعاني ١/٢٥٤ ، معجم قبائل العرب كحالة ١/٥٧ مرجعين سابقين) .

(٤) الطبقات ابن سعد ١/٢٦٤ مرجع سابق .

(٥) غامد بن عبدالله ، بطن من الأزد ، من بلادهم دوقّة بأرض اليمن . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٢/٨٧٧ مرجع سابق) .

يجيز الوفد وانصرفوا [1] .

٤ ـ إكرامهم وحسن ضيافتهم

الكرم وحسن الضيافة خلّة حميدة من صفات العرب ، أقرَّها الإسلام . وكان النبي ﷺ أجود الناس وأسخاهم . ومن هديه إكرام الوفود وحسن ضيافتهم .

قَدِم على رسول الله ﷺ بعد عودته من الجعرانة سنة ثمان وفد بني ثعلبة ، قال رجل منهم : « **فنزلنا دار رملة بنت الحارث [2] ، فجاءنا بلال [3] فنظر إلينا فقال : أمعكم غيركم ؟ قلنا : لا . فانصرف عنا ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتانا بجحفةٍ من ثريد بلبن وسمن ، فأكلنا حتى نهلنا . ثمَّ رحنا الظهر ، فإذا رسول الله ﷺ قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماءً ، فسلمنا عليه وقلنا : يا رسول الله نحن رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالإسلام وهم في مواشيهم وما يصلحها إلا هم ، وقد قيل لنا يا رسول الله : لا إسلام لمن لا هجرة له . فقال : حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ، ثمَّ صلى بنا وقال لنا : أين أهلكم ؟ فقلنا : قريباً يا رسول الله هم بهذه السرية ، فقال : كيف بلادكم ؟ فقلنا مخصبون . فقال : الحمد لله . فأقمنا أياماً وتعلمنا القرآن والسنن**

---

(١) الطبقات ابن سعد ٢٦٠/١ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٣٤١/٢ ، زاد المعاد ابن القيم ٦٧١/٣ مراجع سابقة .

(٢) رملة بنت الحارث الأنصارية النجاريّة ، صحابية جليلة . زوجها معاذ بن الحارث بن رفاعة . كان رسول الله ﷺ يُنزل الوفود في بيتها . وحبس فيه أيضاً بنو قريظة . (انظر : الإصابة ابن حجر ٢٩٨/٤ مرجع سابق) .

(٣) بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله ﷺ ، اشتراه أبو بكر ﷺ لما كانوا يعذبونه فأعتقه ، شهد جميع المشاهد . مات بالشام في طاعون عمواس . (انظر نفس المرجع ١٦٩/١) .

وضيافته ﷺ تجري علينا ، ثمَّ جئنا نودعه منصرفين ، فقال لبلال : أجزهم كما تجيز الوفود . فجاء بنقر [1] من فضة فأعطى كل رجل منا خمس أواقٍ وقال : ليس عندنا دراهم فانصرفنا إلى بلادنا » [2] .

٥ - إجازةُ الوفودِ [3]

كان ﷺ يجزل العطايا للوفود عند مغادرتهم المدينة ، ويميز بينهم فيعُطي كبراء القوم أكثر ، وكل ذلك ترغيباً وتأليفاً في الإسلام ، وهذا الأمر يُعدُّ من الأهمية بمكان ، حتى أنه أوصى بإجازة الوفود بقريب مما كان يجيزهم .

روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : « **أوصى الرسول ﷺ عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، ونسيت الثالثة** » [4] .

---

(١) نقر من فضة : القطع المذابة من الفضة ، أو هو ما سُبِك من الفضة مجتمعاً ثمَّ يُجزأ ، أو هو الإناء الذي توضع فيه الفضة أو الذهب يسمى نقراً . (انظر : لسان العرب ابن منظور ٥/٢٢٩ ، ٢٣٢) .

(٢) سبل الهدى والرشاد الصالحي ٦/٤٥٠ ، وذكرهم ابن سعد في الطبقات ١/٢٢٧ ، وابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/٣٣١ باختصار مراجع سابقة .
و لم أعثر على قصة الوفد في كتب السنة .

(٣) الجائزة : العطية . قال ابن حجر : كانت جائزة الواحد على عهده ﷺ وقية من فضة وهي أربعون درهماً (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٦/١٣٥ مرجع سابق) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم ٤/٣١ مرجع سابق . وقال : باب جوائز الوفد قبل هذا الباب و لم يذكر حديثاً . قال الحافظ ابن حجر : كأنه ترجم بها وأخلى بياضاً ليورد فيها حديثاً يناسبها فلم يتفق ذلك ا.هـ . قلت : الحديث يدل عليها أيضاً . فلعل الترجمتين في الأصل ترجمة واحدة .

وأعطى وفد بني ثعلبة كل رجلٍ منهم خمس أواق من فضة [1] .

وأجاز وفد مُرّة [2] بعشر أواق من فضة ، وأعطى رئيس الوفد الحارث بن عوف [3] ثنتي عشرة أوقية [4] .

---

(١) سبق إثباته قريباً في قصة وفد بني ثعلبة .

(٢) مُرّة بن عوف بن سعد بن غطفان ، مساكنها جهة نجد (انظر : الأنساب السمعاني ٢٦٨/٥ مرجع سابق) .

(٣) الحارث بن عوف الغطفاني المري ، قدم على الرسول ﷺ وأسلم . وبعث معه رجلاً من الأنصار ، فقتل قومه الأنصاري ، و لم يستطع الحارث منعه ، فهجاه حسان بن ثابت رضي الله عنه ، دفع دية الأنصاري ، واستعمله الرسول ﷺ على قومه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٠٩/١ مرجع سابق) .

(٤) انظر : الطبقات ابن سعد ٢٢٧/١ ، وفود الإسلام أبو تراب الظاهري ص ١٤٠ مرجعين سابقين) .

المطلب الخامس :.

آثار وفادة الأعراب على رسول الله ﷺ

عندما يتمعن طالب العلم قصص الوفود ، وما فيها من عجائب وغرائب ، وفصاحة وبيان ، وقساوة وغلظة ، وحُسن معاملة من الرسول ﷺ وإكرام وتعليم . يجد بُغيته من العلم والفقه ، والمناهج والأساليب والوسائل الدعوية . والتربية الجادة ، والأدب الجمّ ، والأخلاق الفاضلة .

وفي خصوص بحثي نجدُ أن الرسول ﷺ وجد في تتابع الوفود وسيلة دعوية هامة ، مُيسَّرة من غير عناء . فبلّغ رسالة ربه من خلالها ، فعلّم وفقّه ، ونصح وأوصى ، ومدح وأثنى ، وهذّب وجلى الصداً ، وأجاز وأعطى . فقفل من وُفِق للإسلام من تلك الوفود كلٌ إلى وجهته دعاةً إلى دين الله ، نجوماً أضاءها الرسول ﷺ فتلألأت في الجزيرة العربية وأضاءت بُهمة الجاهلية ، ودوىّ صوت الحق في كل مكان ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

وما أوردته من أمثلة من أخبار وفاداتهم تؤكد لنا أنهم يتصفون بصفات حميدة تدل على نقاء فطرتهم التي فطرهم الله تعالى عليها .

وفي أخبارهم ولقاءاتهم مع الرسول ﷺ علم غزيرٌ يُفيد به الداعية في نقل مبادئ الإسلام إلى المدعوين بشتى أصنافهم .

وقد عشت مع هذا الفصل من سيرة الرسول ﷺ ووسائل دعوته للأعراب لذة عظيمة ، لا يحيط بوصفها البيان ، ورأيت علماً وفوائد لا تستطيع كتابتها البنان ، فكتبت مع قلة بضاعتي جزءاً منها . أحسب أن قارئها سيجد ما وجدت ولو سبق له

قراءتها مراراً . فقراءة سيرة الرسـول ﷺ لا تُمـلّ ، وكلامـه وفعلـه لا يُعـلّ . فنقلـت بعضاً من أخبار عرض نفسه على القبائل ، وما لاقاه من العنـاء والاستهزاء ، وبعضـاً من أخبار سراياه وبعوثه للأعراب وما فيها من فدائية أصحابه ﷺ وتضحيتهم وبذلهـم أنفسهم في سبيل دعوة الحق ، وإنفاذاً لأمر نبيهم ﷺ ، وبعضاً آخر من أخبـار وفـوده وما فيها من حسن معاملة وكرم وفادة وحسن إجازة .

وهذه الوسائل نُقِل من خلالها دين الإسـلام عقيـدة وشـريعة وأخلاقـاً ، بأسـاليب تناسب أحوالها . وهذا ما يُبينه الفصل التالي إن شاء الله تعالى .

الفصلُ الثالثُ

أساليب النبي ﷺ في دعوة الأعراب

- **توطئـــــةٌ .**
- **المبحثُ الأولُ :**

اللينُ في المعاملة .

- **المبحثُ الثاني :**

المدحُ والثناءُ .

- **المبحثُ الثالثُ :**

توليةُ الإمارةِ .

- **المبحثُ الرابعُ :**

التأليفُ بالمالِ .

- **المبحثُ الخامسُ :**

الإعراضُ عن الخطأِ .

- **المبحثُ السادسُ :**

كسرُ الحِدَّة ليُتراجعَ عن الموقف .

- **المبحثُ السابعُ :**

استعمالُ القوةِ مع مراعاةِ موقفها .

توطئـــــةٌ :ـ

أولاً : ـ تعريفُ الأسلوبِ في اللغـة

الأُسْـلُوبُ : الطريق ، وعُنق الأسد ، والشموخ في الأنف [1] .

الأُسْـلُوبُ : كل طريق ممتد فهو أسلوب .

والأُسْلُوبُ : الطريق ، الوجه ، المذهب . والجمع أساليب [2] .

الأُسْـلُوبُ : الفن . يقال أخذ فلانٌ في أساليب من القول : أي في أفانين منه .

وقد سلك أسلوبه : طريقته . وكلامه على أساليبَ حسنةٍ [3] .

نجد أن من معاني الأسلوب اللغوية : ـ

الطريق ، والطريقة ، الوجه ، المذهب ، الفن .

ثانيـاً : ـ تعريفُ الأسلوبِ في الاصطـلاح

عُرِّف بعدة تعريفاتٍ : ـ

١ ـ **الأُسْلُوب** : هو الطريقـة الكلاميـة الـتي يسـلكها المتكلـم في تـأليف كلامـه ، واختيارِ مفرداتِهِ [4] .

٢ ـ **الأُسْلُوب** : هو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيـار الألفـاظ وتأليفهـا ، للتعبـير

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٥ مرجع سابق .

(٢) انظر : تهذيب اللغة الأزهري ٤٣٥/١٢ ، لسان العرب ابن منظور ٤٧٣/١ ، تاج العروس الزبيدي ٧١/٣ مراجع سابقة .

(٣) لسان العرب ابن منظور ٤٧٣/١ ، تاج العروس الزبيدي ٧١/٣ مرجعين سابقين .

(٤) خصائص القرآن د / فهد الرومي ص ١٨ بدون ذكر الناشر ط٤ ١٤٠٩ هـ .

بها عن المعاني ، قصدَ الإيضاح والتأثير [1] .

٣ ـ أسلوبُ الدعـوةِ : هـو طريقـة الداعـي في دعوتـه ، أو كيفيـة تطبيـق منـاهج الدعوة [2] .

٤ ـ أسلوبُ الدعـوةِ : هـو فـن الدعـوة . وأسـاليب الدعـوة : فنونهـا ، وهـي : الحكمة ، الموعظة ، القوة ... الخ [3] .

٥ ـ أسلوبُ الدعوةِ : هو الطريقة أو المذهـب الـذي يلجـأ إليـه الداعـي إلى الله ، ليحقق بذلك أهداف الدعوة [4] .

٦ ـ أساليبُ الدعوةِ : هي العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ ، وإزالة العوائق عنه [5] .

من مجموع هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية أقول : ـ

أسلوبُ الدعوةِ : ـ

هو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله .

وقلت : بما يتناسب مع حاله ؛ لأن طبائع الناس ومنازلَهم مختلفةٌ . فمنهم مَنْ يُدعى باللين ، ومنهم مَنْ يُدعى بالموعظة ، ومنهـم مَـنْ يُدعـى بـالقوةِ ، ومنهـم مَـنْ يُدعـى

---

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية أحمد الشائب ص ٤٤ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط٧ ١٣٩٦ هـ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة البيانوني ص ٤٧ مرجع سابق .

(٣) مناهج الدعوة وأساليبها د / علي جريشة ص ١٦ مرجع سابق .

(٤) فقه الدعوة إلى الله د / علي عبدالحليم محمود ٢١٥/١ مرجع سابق .

(٥) الحكمة في الدعوة إلى الله سعيد القحطاني ص ١٢٥ مرجع سابق .

بالهديةِ والتأليفِ ... الخ .

ثالثاً : ـ الفرقُ بين الوسيلةِ والأسلوبِ

قلت عند تعريف الوسيلة :

الوسيلةُ : هي الأداةُ الموصلةُ إلى غاية .

والوسيلةُ الدعويةُ : هي الأداة المنضبطة شرعاً ، الموصلة إلى غاية منضبطة .

وهي التي تستخدم لنقل الأفكار من الداعي إلى المدعو .

أما أسلوبُ الدعوةِ : فهو الطريقة المقنعة المؤثرة في المدعو بما يتناسب مع حاله .

وبذلك تعتبر الوسيلة أداة ناقلة للأسلوب من خلالِها .

المبحثُ الأولُ :.

اللينُ في المعاملة

وفيه :ثلاثـــةُ مطالبَ :.

المطلب الأول :.

معنى اللينِ

المطلب الثاني :.

دواعيِ استعمالِ أسلوبِ اللينِ مع الأعرابِ

المطلب الثالث :.

نماذجُ مـن لـين الرسـول ﷺ مـع أصنـاف المدعويـن من الأعراب

المطلبُ الأولُ :.

معنى اللينِ

١ ـ اللينُ في اللغة : ـ

اللِّين : ضدَ الخشونةِ .

يُقال : فلان مَلْيَنَةٌ : أي لِّين الجانب [١] .

وفي الحديث : « **يتلون كتابَ الله ليِّناً** » ، أي سهلاً على ألسنتهم [٢] .

٢ ـ أقوال المفسرين في معنى اللين : ـ

أ ـ لينُ الجانبِ وحسنُ الخلقِ وكثرةُ الاحتمالِ

قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنّ اللَّهَ يُحِبّ الْمُتَوَكّلِينَ** ﴾ [٣] .

من الآية يتضح معنى اللينِ ، لأن الله ﷻ ذكرَ ضدَ اللينِ الفظاظةَ وغلظةَ القلبِ أي قسوتَه .

وهذه أقوالُ بعضِ المفسرينَ في ذلك : ـ

ـ قال البغوي ـ رحمه الله ـ : (لنت لهم : سهلت لهم أخلاقك

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٢٢٥/٥ ، لسان العرب ابن منظور مادة (لين) ٣٩٤/١٣ مرجعين سابقين .

(٢) النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٢٨٦/٤ مرجع سابق .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

وكثر احتمالك) [1] .

- وقال ابن الجوزي - رحمه الله - : (لان جانبك وحسن خلقك وكثر احتمالك) [2] .

- وقال الرازي - رحمه الله - : (لينه ﷺ مع القوم : عبارة عن حسن خلقه مع القوم) [3] .

- وقال ابن سعدي - رحمه الله - : (... ألنت لهم جانبك وخفضت لهم جناحك ، وترققت لهم ، وحسنت لهم خلقك ، فاجتمعوا عليك وأحبوك ... - وعلى الضد منها في الآية الفظ الغليظ القلب - : أي قاسيه) [4] .

ب - المدارة والرفق

المدارة في اللغة : ملاينة الناس وحسن صحبتهم ، واحتمالهم لئلاّ ينفروا عنك ، يُقال : داريت الرجل : لاينته ورفقت به .

والمدارة في حسن الخلق والمعاشرة مع الناس يكون مهموزاً وغير مهموز ، فَمن همزه كان معناه الاتّقاء لشره .

ومَن لم يهمزه جعله من دريت الظبي : أي احتلت له وختلته حتى أصيده [5] .

---

(١) معالم التنزيل البغوي ١٢٤/٢ مرجع سابق .

(٢) زاد المسير ابن الجوزي ٤٨٦/١ مرجع سابق .

(٣) التفسير الكبير الرازي ٥٠/٩ مرجع سابق .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ابن سعدي ٤٤٤/١ مرجع سابق .

(٥) لسان العرب ابن منظور ٢٥٥/١٤ مرجع سابق .

قال تعالى : ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (١) . فقد أوصى الله رسولَه موسى وأخاه هارون عليهما السلام باللينِ والمدارةِ . وهذه أقوالُ المفسرين في الآية :ـ

ـ قال البغوي ـ رحمه الله ـ : (دارياه وارفقا به ، ثمَّ ذكر قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : لا تعنفا في قولكما ، ثمَّ قال : وقيل : أمرَ باللطافةِ في القول لما له من حقِ التربيةِ) (٢) .

ـ وقال السيوطي ـ رحمه الله ـ : (فيه الحث على اللين في القول والمداراة) (٣) .

ـ وقال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ : (أي : سهلاً لطيفاً ، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ، ولا غلظة في المقال ، أو فظاظة في الأفعال لعلّه بسبب القول اللين يتذكر) (٤) .

٣ ـ اللينُ والمدارةُ عندَ أهلِ الحديثِ والدعوةِ :ـ

ـ قال ابنُ بطالٍ ـ رحمه الله ـ : (المداراةُ من أخلاق المؤمنيَن ، وهي : خفضُ الجناحِ للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول ، وذلك من أقوى أسباب الألفةِ) (٥) .

ـ وقال الدكتور / فضل إلهي : (إنّ الليَن يتضمنُ لينَ الجانبِ ، وحسنَ الخلقِ ، وكثرةَ

---

(١) سورة طه الآية ٤٤ .

(٢) معالم التنزيل البغوي ٥/٢٧٤ مرجع سابق .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل السيوطي تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب ص ٧٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠ هـ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ابن سعدي ٥/١٥٩ مرجع سابق .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠/٥٢٨ مرجع سابق .

الاحتمالِ ، وعدمَ الإسراعِ بالغضبِ والتعنيفِ إذا بدرَ من المسلمينَ خطأً) [1] .

ويظهر من خلال أقوال أهل اللغة والمفسرين وأهل الحديث وعلماء الدعوة أن اللين والمداراة مترادفان فكلاهما يحتمل لينَ الجانبِ ، وكثرةَ الاحتمالِ ، والملاينةَ والرفقَ ، ولينَ الكلام .

مداراةُ المؤمنِ :ـ

حقٌّ على المؤمن ملاينة أخيه المؤمن والرفق به وإقالة عثرته ومناصحته ، لتدوم المحبةُ وتزدادَ الألفة ويكونوا إخواناً متحدين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً . فهي حقٌّ للمؤمن على الإطلاقِ .

روى الإمامُ أحمد ـ رحمه الله ـ عن أبي أمامةَ الباهلي ﷺ [2] قال : « **أخذ بيدي رسولُ الله ﷺ فقال : يا أبا أمامةَ إن من المؤمنين من يلينُ له قلبي** » [3] .

مداراةُ الكافرِ والمنافقِ والفاسقِ :ـ

أما الكافر والمنافق والفاسق فيُدارى لأمرين :ـ

١ ـ رجاءً في إسلامِه

كما قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ **فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ**

---

(١) من صفات الداعية اللين والرفق د / فضل إلهي ص ٧ ، ٨ دار ترجمان الإسلام باكستان ط١ ١٤١١ هـ .

(٢) صُدَيّ بن عجلان بن الحارث الباهلي ، أبو أُمامة ، مشتهر بكنيته ، كان من المكثرين في الرواية . مات بالشام سنة ٨٦ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٧٥/٢ ، أسد الغابة ابن الأثير ١٦/٦ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٧٦ مراجع سابقة) .

(٣) مسند الإمام أحمد ٢٦٧/٥ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٠٦/٥ رقم الحديث ٢٤٧٠ مرجعين سابقين .

﴿يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [1] .

أمرَهما الله بمداراةِ أطغى الطغاةِ فرعون لعله يتذكرُ أو يخشى .

وإذا كان يُدارى الكافرُ ، فالفاسقُ من المسلمين من باب أولى .

٢ ـ اتقاءَ شرّه

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **استأذن على النبي ﷺ رجل فقال : ائذنوا له فبئس ابنُ العشيرة ـ أو بئس أخو العشيرة ـ فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت له : يا رسول الله ، قلتَ ما قلتَ ثمَّ ألنتَ له في القول ! فقال : أي عائشة ، إن شرّ الناس منزلة عند الله من تركه ـ أو ودعه ـ الناس اتقاءَ فحشِه** » [2] .

قال ابن بطّال ـ رحمه الله ـ : (الرجل هو عيينة بن حصن الفزاري ، وكان يقال له : الأحمق المطاع) [3] ، وجزم عياض ثمَّ القرطبي والنووي ـ رحمهم الله ـ بذلك [4] .

قال الخطابي ـ رحمه الله ـ : (لم يجابهه بالمكروه ، لتقتدي به أمته في اتقاء شر من هذه سبيله ، وفي مداراته ليسلموا من شرّه وغائلته) [5] .

---

(١) سورة طه الآية ٤٤ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب باب المداراة مع الناس ١٠٢/٧ مرجع سابق .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٥٣/١٠ مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

(٥) نفس المرجع ٤٥٤/١٠ .

فعيينة بن حصن الفزاري كان أعرابياً جافياً وسيداً مطاعاً في قومه ، فألان له رسول الله ﷺ القول بعد أن قال : « **بئس أخو العشيرة** » . اتقاءَ فُحشِه ، ووصف من هذا حالُه بأنه من شرار الناس .

قال العيني ـ رحمه الله ـ : (وهذا الحديث أصلٌ في المداراة ، وفيه مداراةُ من يُتّقى فحشه) [1] .

قال أبو الدرداء ﷺ [2] : « إنّا لنَكْشِرُ [3] في وجوه أقوام وإنّ قلوبَنا لتلعنُهم » [4] .

الفرقُ بين المداراةِ والمداهنةِ :ـ

قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ : (وظن بعضهم أنّ المداراة هي المداهنة فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها ، والمداهنةُ محرمةٌ ، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها : معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة هي : الرفق بالجاهل في التعلم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ،

---

(١) عمدة القاري العيني ١٥٧/١٨ مرجع سابق .

(٢) أبو الدرداء عويمر أو عامر ـ وقيل : عامر اسم أبيه ـ بن مالك الخزرجي الأنصاري ، شهد ما بعد أحد ، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً ، وَلِي قضاء دمشق في خلافة عثمان ﷺ ومات قبل مقتله بسنتين . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٩٧/٦ مرجع سابق) .

(٣) نَكْشِرُ : من الكشر ، وهو ظهور الأسنان ، وأكثر ما يُطلق عند الضحك ، وكاشره إذا ضحك في وجهه ، الكشر : التبسم . (انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني ٢١٨/٨ مرجع سابق) .

(٤) رواه البخاري تعليقاً صحيح البخاري كتاب الأدب باب المداراة مع الناس ١٠٢/٧ مرجع سابق .

والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك)[1] .

وقال القرطبي وعياض ـ رحمهما الله ـ : (والفرق بين المدارة والمداهنة ، أن **المداراة** : بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أوهما معاً . وهي مباحة وربما اسُتحبت ، **والمداهنة** : ترك الدين لصلاح الدنيا ، والنبي ﷺ إنما بذل له ـ يعني عيينة بن حصن ـ من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته ومع ذلك فلم يمدحه بقول فلم يناقض قوله فيه فعله ، فإن قوله فيه قول حَق ، وفعله معه حسن عشرة)[2] .

وخلاصةُ أقوالِ العلماءِ ـ رحمهم الله ـ أن : ـ

ـ **المداراةَ** مباحةٌ . ويقصد بها تعليم الجاهل ومداراة الفاسق في أمره ونهيه ليستجيب أو يُتقى شره .

ـ أما **المداهنةُ** فهي : الرضا بفعل الفاسق والكافر ومداهنته ، ومخالطته مع عدم الإنكار عليه . فهي محرمة بدليل عدم فعلها من رسول الله ﷺ .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٢٨/١٠ مرجع سابق .

(٢) نفس المرجع ٤٥٤/١٠ .

المطلبُ الثاني :.

دواعي استعمالِ أسلوبِ اللينِ مع الأعرابِ

معلومٌ أنَّ مقصود دعوة الرسول ﷺ حصول الاهتداء للمدعوين ، إذا شاء الله . فلزم ملاينة القول والفعل وتركُ الإغلاظِ والقساوة والجفاء ليتحقق المقصود .

قال ابن عاشور : (العربُ أمةٌ عرفت بالأنفة ، وإباء الضيم ، وسلامة الفطرة ، وسرعة الفهم ، فلم تكن تليق بهم الشدة والغلظة لأول وهلة ، ولكنهم محتاجون إلى استنزال طائرهم في تبليغ الشريعة لهم ، ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعان للحق ، وصفح النبي ﷺ وعفوه كان سبباً في دخول كثير منهم الإسلام) [1] .

هذه صفة العرب في العموم ، والأعراب أشد العرب اتصافاً بهذه الصفات ، ومن خلال استقراء مواقف الرسول ﷺ مع الأعراب ، ومقارنة معاملته لهم بأسلوب اللين - مع ما جبلوا عليه من الغلظة والقسوة والجفاء - نستنتج أن ظروفهم البيئية وما فرضته عليهم من طباع هي أبرز ما دعا الرسول ﷺ إلى المبالغة في ملاينتهم والصبر على غلظتهم .

فظروف البيئة وحياة المعيشة لها تأثيرها على الناس وطباعِهم وسلوكهم وأخلاقهم . فقد تكثر السرقة والنهب في مجتمع تنتشر فيه المجاعة ، ويكثر الانحلال والبطر في مجتمع يغلب على أهله الغنى ، وتظهر علامات الفطرة السليمة والسذاجةُ

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٤٥/٣ مرجع سابق .

على مجتمع بعيد عن لوثة الحضارة وحياة الدعة والراحة والخمول .

وعند تأمل حياة الأعراب نجد أن نزعة القبلية وما ينتج عنها من تلاحم وترابط يغرس فيهم الأنفة وإباء [1] الضيم وعدم الرضا بالذل . ومما أصّل هذه الصفة في نفوسهم أيضاً طبيعة عيشهم فقد اعتادوا شظف العيش ، وكثرة الظعن ، وإبعاد النجعةِ [2] . معتمدين على الإبل في أكثر احتياجاتهم من الركوب واللبن والصوف واللحم . والإبل بطبيعتها قد أودع الله فيها صفاتٍ عظيمة لا توجد في غيرها من الحيوانات ، فهي أقواها صبراً وجلداً ، ومن أصعبها فصالاً ومخاضاً ، فتنقلوا معها متوغلين في القفار ، متقلبين بين الحرارة والبرودة ، ومن الخصب ونعيمه إلى الجدب وقسوته ، فكانوا أشد الناس توحشاً ، مكتسبين من طباع الإبل . فلازمتهم صفات الجفاء والغلظة والجلد وقسوة القلب .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي مسعود ﷺ [3] أن النبي ﷺ قال : « **الإيمان هاهنا وأشار بيده إلى اليمن ، والجفاء وغلظ القلوب في الفدّادين [4] عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان**

---

(١) الإباء : الامتناع ، يقال رجل أبي : أي ذو إباء شديد إذا كان ممتنعاً . (انظر : معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٤٥/١ ، لسان العرب ابن منظور ٥/١٤ مرجعين سابقين) .

(٢) انظر : تاريخ ابن خلدون ٢١٠/١ ـ ٢٤٢ مرجع سابق .

(٣) عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، أبو مسعود البدري ، مشهور بكنيته ، شهد بدراً . كما جزم بذلك البخاري ـ رحمه الله ـ . نزل الكوفة ، واستخلفه علي ﷺ عليها . مات بها قبل سنة ٤٠ هـ وقيل بعدها . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٨٣/٢ مرجع سابق) .

(٤) الفدّادين : الفديد هو الصوت الشديد ، والمقصود الذين تعلوا أصواتهم عند سوقهم لإبلهم ويكثر ضجيجهم (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٤١٩/٣ مرجع سابق) .

والجفاء : غلظ الطبع (انظر : نفس المرجع ٢٨١/١) .

ربيعة ومضر » [1] .

فقد وصف الرسولُ ﷺ أهلَ الإبل بأنهم أشد قسوة من غيرهم من الناس ، وأشد فخراً وعدّاً لمآثرهم ، وأشد كبراً واحتقاراً للناس [2] . وذلك لأنهم يملكون حمر النعم أفضل دوّاب العرب وأقواها ويتنقلون معها ويتفاخرون بحمايتها ومحبتها ويتفانون في طلب الماء والكلأ لها ، فازدادوا بها فخراً وتطبُّعاً بطباعها .

وغلاظة القلب المتوارثة والمكتسبة إذا تداركها الإنسان بالدين والعلم زالت عنه ، وإن لم يتداركها تصبح صفة ملازمةً له . قال الخطابي - رحمه الله - : (إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم وذلك يفضي إلى قساوة القلب) [3] .

قال القرطبي - رحمه الله - : (غلظ القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الإشفاق والرحمة ومن ذلك قول الشاعر :

يُبكى علينا ولا نبكي على أحدٍ ∴ لنحن أغلظُ أكباداً من الإبل) [4]

وقد فَطِنَ الرسولُ ﷺ لهذه المؤثرات ونتائجها على طباع الأعراب وعلم أن هذه الطباع لو قوبلت بمثلها لتنافر أهلها . فقابلها باللين والمداراة فذابت تلك الطباع الغليظة التي كانت تحول بينهم وبين قبول الحق . فتتابع دخولهم في دين الإسلام طواعية .

---

(1) صحيح البخاري كتاب المغازي باب قدوم الأشعريين ١٢٢/٥ ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن ٥١/١ مرجعين سابقين .

(2) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٣٤/٢ مرجع سابق .

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣٥٢/٦ مرجع سابق .

(4) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٤٨/٤ مرجع سابق .

المطلبُ الثالثُ :.

نماذج من لين الرسولِ ﷺ مع أصنافِ المدعوين من الأعراب

١ ـ لينُ الرسولِ ﷺ مع مسلمي الأعرابِ

أ ـ مع الخاصةِ (الملإِ) :ـ

الملأ : الأشراف ، أي من القوم وجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يُرجع إلى قولهم (١) .

الملأ : سادة القوم ، الكبراء ، الأشراف من الناس ، كأنهم ممتلئون شرفاً . وسموا بذلك لأنهم ممتلئون مما يحتاجون إليه منهم (٢) .

الملأ : يعني الجماعة يجتمعون على رأي ، فيملئون أعين الناس رواءً ومنظراً ، والنفوس بهاءً وجمالاً (٣) .

والملأ : لفظ قرآني ذكره الله في قصص كثيرٍ من أنبيائه ، وأكثر ورود لفظ **الملأ** **بمعنى** : السادة ، والكبراء ، ورؤساء القوم وأشرافهم الذين بأيديهم أزمّة الأمور ولهم الطاعة من مرؤسيهم وأتباعهم .

قال الله تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ**

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور ١٥٩/١ ، تاج العروس الزبيدي ٤٣٧/١ مرجعين سابقين .

(٢) انظر : جامع البيان الطبري ٢٨/٧ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٤٣/٣ ، التحرير والتنوير ابن عاشور ٤٥/٦ مراجع سابقة .

(٣) فقه الدعوة إلى الله د / علي عبدالحليم محمود ٩٦٥/٢ مرجع سابق .

يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

وقال الله تعالى في قصة هود عليه السلام : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) .

وقال الله تعالى في قصة صالح عليه السلام : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ (٤) .

وقال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (٥) .

وقال الله تعالى في قصة محمد ﷺ : ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٦٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية ٧٥ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٨٨ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٢٧ .

﴿وَٱصْبِرُواْ عَلَى ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [1] .

وهؤلاء الرؤساء أو الملأ كما وصفهم القرآن كثيراً ما يقفون في وجه دعوة الأنبياء ، لتصورهم أنها تنحيهم عن مكانتهم وزعامتهم .

ورؤساء الأعراب أكثر من غيرهم تمسكاً بزعامتهم بحكم نزعتهم القبلية ، وشدة تمسكهم بموروثاتهم وزعامة أجدادهم التي يحافظون عليها . وهم أيضاً موصوفون بالشجاعة والذكاء والمكر وقوة البيان ، فكان لرئيس القبيلة مطلق السيادة في توجيه القبيلة وفض نزاعاتها والدفاع عن سيادتها ، كما أن له مطلق الطاعة على أتباعه ولو أوردتهم المهالك [2] .

وهؤلاء يحتاجون إلى استنزال كبريائهم بأسلوبِ اللين ، مع إنزالهم منازلهم ، وعدم الحط من مكانتهم ، ومداراتهم ليتقبلوا الدعوة أو يُؤمن مكرهم ويُخَلُّوا بين المسلمين وأتباعهم ليعرضوا عليهم الإسلام ويعلموهم الدين بما حوى من عقيدة وفرائض .

وسيرة الرسول ﷺ زاخرةٌ بكثير من المواقف مع الملأِ من الأعراب عند استقبال وفودهم أو في غزوه إياهم أو في حالات من وقع في الأسر منهم . لكني أكتفي بذكر موقف واحد مع سيد من سادات الأعراب بعد إسلامه .

روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « **استأذن على النبي ﷺ رجل ، فقال : ائذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس**

---

(١) سورة ص الآية ٦ .

(٢) أطاعت هوازن وثقيف سيدهم مالك بن عوف عندما ساق الرجال والنساء والأموال لمواجهة المسلمين في حنين بعد أن غلَّطَه مجرب الحروب دريد بن الصمة وعرض عليه رأياً آخر . ولكنه لم يأخذ به . وأطاعه قومه فساقهم إلى الهزيمة على أيدي الرسول ﷺ وجموع المؤمنين .

أخو العشيرة . فلما دخل ألان له الكلام ، فقلت يا رسول الله : قلت ما قلت ثمَّ ألنت له في القول . فقال : أي عائشة إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاءَ فحشه » [1] .

الرجل هو : عيينة بن حصن الفزاري الغطفاني [2] ، سيد فزارة من غطفان ، عرف بجفائه وغلظته ، وقد ألان له الرسول ﷺ القول رجاءً في ثباته على الإسلام ، وإسلام قومه ، واتقاء فحشه .

ب ـ مع العامة : ـ

أعني بعامةِ الأعرابِ سوى الرؤساءِ والكبراءِ ـ الملأ ـ .

وسيرةُ الرسولِ ﷺ مَلأَى بالمواقف معهم ، وهم أولى بالملاينة والمداراة مراعاةً

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) جزم ابن بطّال وعياض والقرطبي والنووي ، أن الرجل هو عيينة بن حصن الفزاري .

شهد الفتح مسلماً ، وحنيناً والطائف . وهو من المؤلفة قلوبهم ، ومن الأعراب الجفاة . كان من الجرَّارين في الجاهلية ، يقود عشرة آلاف . سمّاه النبي ﷺ : الأحمق المطاع . كان ممن وافق طليحة الأسدي لما ادعى النبوة ، فلما غلبهم المسلمون وقع عيينة في الأسر فأُتي به أبو بكر فاستتابه فتاب . وقيل أنه قال له صبيان المدينة : يا عدو الله أكفرت بعد إيمانك ؟ فقال : ما آمنت با لله طرفة عين . له مواقف مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ـ رضي الله عنهما ـ تدل على جهله وجفائه . حاصر الطائف مع الرسول ﷺ ، وعندما نادى عمر ﷺ بالرحيل بعد إذن الرسول ﷺ . قال عيينة بن حصن : أجل وا لله مجدة كراماً ـ يعني ثقيفاً ـ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ ! فقال : إني وا لله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أطؤها لعلها تلد لي رجلاً فإن ثقيفاً مناكير . (انظر : الاستيعاب مع الإصابة ابن عبدالبر ١٦٧/٣ ، أسد الغابة ابن الأثير ٣٣١/٤ ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٢٥٧/١٣ ـ ٢٥٨ ، الإصابة ابن حجر ٥٥/٣ ، البداية والنهاية ابن كثير ٣٥٠/٤ ـ ٣٦٠ ، مراجع سابقة) .

لطباعهم ، وتقديم الدين لهم بأسلوب تقبلُه نفوسُهم . ليقلع مخطئهم عن خطيئته من غير نفور . ويثبت طائعهم ويمضي في ممارسة العبادات من غير ملل .

وهذان مثالان مع مخطئٍ ومطيعٍ من الأعراب .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : « **بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ** [1] **. قال رسول الله ﷺ : لا تزرموه ، دعوه** [2] **. فتركوه حتى بال ، ثمَّ إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنَّه** [3] **عليه** » [4] .

وفي رواية ابن ماجة ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : « **فقال الأعرابي بعد أن فقه فقام : إليَّ . بأبي وأمي . فلم يؤنب ولم يسب ، فقال : إن هذا المسجد لا يُبال فيه ، إنما بُني لذكر الله وللصلاة** » [5] .

---

(١) مه : كلمة زجر ، أصلها : ما هذا . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٣/٣ مرجع سابق) .

(٢) لا تزرموه : لا تقطعوا ، والإزرام القطع ، دعوه : اتركوه . (انظر : نفس المرجع السابق) .

(٣) شنّه : صبّه . (انظر : نفس المرجع) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ١٦٣/١ مرجع سابق .

(٥) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١٧٦/١ . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٨٦/١ مرجعين سابقين .

عامل النبي ﷺ الأعرابي باللين ، ومنع أصحابه من تعنيفه و لم يؤنبه و لم يسبه ، فكان لهذا الأسلوب بالغ الأثر في نفس الأعرابي ففداه بأبيه وأمه ، وهذا دليل خالص محبته له نتيجة ما لاقاه من لين وحسن معاملة وتعليم .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه للحديث : (وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا إيذاء) [1] .

أما المثال مع المطيع . فقد روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن أنس ﷺ « **أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام** [2] **وكان يهدي للنبي ﷺ من البادية ، فيُجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ : إن زاهراً باديتُنا ، ونحن حاضرته ، وكان النبي ﷺ يحبه ، وكان دميماً ، فأتى النبيُ ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه لا يُبصره . فقال : أرسلني مَن هذا ؟ والتفت فعرف النبي ﷺ فجعل يلصق ظهره بصدر النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يقول : من يشتري مني هذا العبد ؟ فيقول هو : إذاً تجدني كاسداً . فقال له النبي ﷺ : لكنك عند الله لست بكاسد** » [3] .

فلله هذه المعاملة ما أحسنها . لين جانب ، وحسن خلق ، وترفق وملاطفة

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٩١/٣ مرجع سابق .

(٢) زاهر بن حرام الأشجعي . كان بدوياً ، وإذا أتى المدينة لا يأتي للنبي ﷺ إلا بهدية ، وكان الرسول ﷺ يُحبه . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٤٥/٢ ، الإصابة ابن حجر ٥٢٣/١ ، وذكره الشيخ محمد جميل زينو في رسالته « قطوف من الشمائل المحمدية » ص ٩٢ مكتبة ابن تيمية القاهرة بدون تاريخ) .

(٣) مسند الإمام أحمد ١٦١/٣ مرجع سابق . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ورجال أحمد رجال الصحيح ٦١٦/٩ .

وممازحة ، فكانت من أقوى أسباب الألفة وكثرة المحبة ، فاجتمع الناس على الرسول ﷺ وأحبوه . لأن من كثُر لينه وجبت محبته .

وكما جاء في رواية الحديث أن الرسول ﷺ كان يحب الأعرابي ، لمعرفته بحسن إسلامه . فشهد له بحسن منزلته عند الله فإنه غالٍ وليس بكاسد . وهذا مما يزيده ثباتاً على الإسلام ومضياً في طاعة الله ورسوله .

٢ ـ لين الرسول ﷺ مع كافري الأعراب

يتطلب الحرص على هداية الناس ملاينتهم ، بجميع فئاتهم ، والصبر على زلاتهم . وقد ضرب الرسول ﷺ في ذلك أروع الأمثلة ، حتى مع المشركين الذين كانوا يناوئونه ويقاتلونه .

مثال ذلك ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن جابر بن عبدالله [(١)] - رضي الله عنهما ـ « **أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل** [(٢)] **رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة** [(٣)] **في وادٍ كثير العضاة** [(٤)] **فنزل رسول الله ﷺ ، وتفرّق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرةٍ** [(٥)] **فعلق بها سيفه ، قال جابر : فنمنا نومةً فإذا**

---

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن سلمة الأنصاري ، أحد المكثرين عن الرسول ﷺ ، منعه أبوه من شهود بدر وأحد . وقتل أبوه في أحد ، فشهد ما بعدها . يروي كثيراً من أحاديث المعجزات . مات بالمدينة بعد السنة السبعين . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/ ٢١٤ مرجع سابق) .

(٢) قفل : عاد .

(٣) القائلة : وسط النهار وشدة الحر .

(٤) العضاة : بكسر العين . كل شجر له شوك .

(٥) نوع من شجر العضاة ينبت في الصحاري .

رسول الله ﷺ يدعونا ، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالسٌ فقال رسول الله ﷺ : إنَّ هذا اخترط [1] سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً [2] ، فقال لي : مَن يمنعك منِّي ؟ قلت له : الله فهاهو ذا جالس ، ثمَّ لم يعاقبه رسول الله ﷺ » [3] .

منَّ عليه ﷺ لشدة رغبته في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام [4] ، وكانت نتيجة هذه المعاملة : ـ

١ ـ إسلام الأعرابي وقومه من بعده . فقد ورد في رواية ابن إسحاقَ أنه لما ولّى قال : أنت خيرٌ مني . ثمَّ أسلم بعد ، واهتدى به خلق كثير [5] .

٢ ـ الأمن من شرّه لأنه كان من شجعان غطفان . فقد ورد أنه عندما قال له ﷺ : من يمنعك مني . قال : كن خير آخذ . قال : « **لا ، أو تسلم** » قال : لا . قال : « **لا ، أو تسلم** » قال : لا ، ولكن أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك . فخلّى سبيله . فجاء إلى قومه فقال لهم : جئتكم من عند خير الناس [6] .

---

(١) اخترط سيفي : أي سَلّه من غمده .

(٢) صَلْتاً : بفتح الصاد وسكون اللام : أي مجرداً عن غمده . (انظر معاني ألفاظ الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٢٧/٧ ـ ٤٢٨ مرجع سابق) .

(٣) صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع ٥٣/٥ مرجع سابق .

(٤) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٢٧/٧ مرجع سابق .

(٥) انظر : نفس المرجع السابق والصفحة ، الإصابة ابن حجر ١٨٦/٣ مرجع سابق .

(٦) انظر : نفس المرجعين السابقين . وفيهما : أن الرجل غورث بن الحرث كما ذكر ذلك البخاري ـ رحمه الله ـ . وفي ثبوت إسلامه اختلاف لورود اختلاف الاسم في قصتين مختلفتين . في الأولى

٣ ـ لينُ الرسول ﷺ مع منافقي الأعراب

النفاقُ لغةً :

من النافقاءِ : أحد مخارج اليربوع ، يكتمها ويُظهر غيرها ، فإذا أُتِي من جهة القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق .

وقيل : هو من النفق وهو : السرب يستتر فيه (١) .

النفاق في الشرع :

إظهار الدين وإبطان خلافه (٢) .

النفاق مرض قلبي خبيث ، إذا استقرّ في القلب غيَّر الفطرة ، فاضمحلّت الفضيلة ، واستُحليت الرذيلة ، وفسد السلوك ، لعدم جدوى النصيحة والتربية لأنه لم يظهر للمربي صفات الذم ليعالجها وذلك للاختلاف بين السر والعلانية .

والمنافق أشد خطراً على الدعوة من الكافر . لأن الثاني عدوٌّ ظاهر يمكن الحذر منه . أما المنافق فعدوٌّ مستتر بالإسلام فيصعب على المسلم الحذر منه . لكن مع هذا كله فإنه قد يُعامل المنافق باللين على قدر أهمية الموقف والحال والزمان . وهذا مثالٌ من لين الرسول ﷺ مع أحد منافقي الأعراب

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « **بينا**

=

أنه دعثور ابن الحارث الغطفاني وأنه أسلم ، وقصته في غزوة أنمار . والثانية الواردة عند البخاري أنه غورث بن الحرث . قال ابن حجر : يحتمل التعدد ، أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتحاد .

(١) انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (نفق) ص ١١٩٦ ، وانظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٩٨/٥ مرجعين سابقين .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤٣/١١ مرجع سابق .

نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة [1] **وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل . قال رسول الله ﷺ : ويلك ، ومن يعدل إن لم أعدل ؟ قد خبتَ** [2] **وخسرتَ إن لم أعدل . فقال عمر بن الخطاب ﷺ : يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه . قال رسول الله ﷺ : دعه ...** » . وفي رواية جابر بن عبدالله ﷺ « **فقال عمر بن الخطاب ﷺ : دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق . فقال : معاذ الله أن يتحدّث الناس أني أقتل أصحابي . إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرميّة** » [3] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (قال ﷺ : « **معاذ الله أن يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه** » . فهذه هي العلّة ، وسلك معه مسلكه مع غيره من المنافقين الذين آذوه وسمع منهم في غير موطن ما كرهه . لكنه صبر استبقاءً لانقيادهم وتأليفاً لغيرهم لئلا يتحدث الناس أنه يقتل أصحابه فينفروا) [4] .

---

(١) قيل : اسمه حرقوص بن زهير السعدي ، وأنه شارك في الفتوحات في بلاد فارس ، وشهد مع علي ﷺ صفين ، ثمَّ صار من الخوارج ومن أشدهم ، ولما قاتلهم علي قُتِل ، ولم يصح في ذكره إلا ما قاله فيه أبو سعيد الخدري ﷺ كما في الحديث وهو رجلٌ من بني تميم . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٧٣/١ ، أسد الغابة ابن الأثير ٤٧٤/١ ، ١٧٣/٢ مرجعين سابقين) .

(٢) خبتَ وخسرتَ : قال النووي : وردت بالفتح والضم . وتقدير الفتح خبتَ أنت أيها التابع لكونك تابعاً ومقتدياً بمن لا يعدل . والفتح أشهر . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٩/٧ مرجع سابق) .

(٣) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومن يُخاف على إيمانه ١١٢/٣ مرجع سابق .

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥٨/٧ ـ ١٥٩ مرجع سابق .

المبحثُ الثاني :ـ

المدحُ والثناءُ

أولاً : معنى المدح

ثانياً : أنواعُ المدح :ـ

أ ـ المدحُ المباحُ ، وضوابطُه ، ونتيجتُه

ب ـ المدحُ المذمومُ وآفاتُه

ثالثاً : نماذجُ من مدح النبي ﷺ للأعراب ونتيجتِه الدعويةِ

أولاً :ـ معنى المدح :

المدحُ : نقيضُ الهجاءِ ، وهو : حسن الثناء .

وقيل : الوصف الجميل . وعدُّ المآثر [1] .

وقيل : هو وصف المحاسن بكلامٍ جميل [2] .

والمدَّاحون : هم الذين اتخذوا مدح الناس عادةً وجعلوه بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه [3] .

ثانياً :ـ أنواعُ المدح :ـ

أ ـ المدحُ المباحُ :

ثبتَ في السنة أن النبي ﷺ مُدِح في الشعر والخطابة والمخاطبة ولم يمنع المادح ، كمدحِ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه [4] قائلاً :

إني تفرست فيك الخير أعرفه ∴ والله يعلم أن ما خانني البصر

أنت النبي ومن يحرم شفاعته ∴ يوم الحساب فقد أزرى به القدر

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور ٥٨٩/٢ ـ ٥٩٠ ، تاج العروس الزبيدي ١١١/٧ مرجعين سابقين .

(٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٣٠٨/٥ مرجع سابق .

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ١٥٩/١٣ مرجع سابق .

(٤) عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري ، شاعر من شعراء الرسول ﷺ ، كان أحد النقباء ، وشهد بدراً وما بعدها ، نذر شعره في مدح الرسول ﷺ والحث على الجهاد ، وهو ثالث أمراء جيش مؤتة الذين استشهدوا فيها ، وشعره شديد التأثير على النفوس دليل صدق قائله . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٢٣٥/٣ ، الإصابة ابن حجر ٢٩٨/٢ مرجعين سابقين) .

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حُسنٍ ∴ تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال له النبي ﷺ : **وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة** (١) .

ومدحه كعب بن زهير رضي الله عنه (٢) في قصيدته المشهورة عندما جاء تائباً مسلماً :

إن الرسول لنور يُستضاء به ∴ مهندٌ من سيوف الله مسلول

في فتيةٍ من قريشٍ قال قائلهم ∴ ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا (٣)

وبما أن الرسول ﷺ أهلٌ للمدح ، وكل ممدوح من البشر سواه ناقص . إلا أننا نجده أرشد إلى ما يجوز من المدح ، وسد وسائل الإطراء والغلو التي تؤدي إلى الشرك في مدحه أو مدح غيره . أو تؤدي إلى فتنة الممدوح .

ومن خلال استقراء بعض نصوص السنة في المدح والثناء تتجلى ضوابط المدح المباح وهي : -

١ - الصدق :

وهو أن يكونَ الممدوح أهلاً لما يُقال فيه ، ولا يتجاوز المادح الصفاتِ الحقيقيةَ

---

(١) عبدالله بن رواحة حياته ودراسة شعره د / محمد بن سعد الشويعر ص ٢٣ دار الرفاعي الرياض ط١ ١٤٠٦ هـ .

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، شاعر مشهور ، أهدر دمه الرسول ﷺ بسبب قصيدة نال فيها منه ومن أبي بكر رضي الله عنه فكتب له أخوه بجيراً يدعوه للمسارعة بالتوبة والإسلام ، فجاء متنكراً وأسلم على يد الرسول ﷺ بعد أن طلب الأمان فأمنه ، وقال قصيدته المشهورة في مدح الرسول ﷺ ، فأهداه الرسول ﷺ بُردة له . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤/٤٧٥ ، الإصابة ابن حجر ٣/٢٧٩ مرجعين سابقين) .

(٣) زولوا : هاجروا من مكة إلى المدينة . (انظر : البداية والنهاية ابن كثير ٤/٣٧١ مرجع سابق ، شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول الله ﷺ ابن هشام الأنصاري تحقيق د/ محمود أبو ناجي ص ٢٩٠ بدون تاريخ وذكر الناشر) .

الصادقةَ في الممدوح .

أما الثناء بما يُعلم حقيقة فهو جائز ومستثنى من التمادح المكروه [(١)] .

٢ - التوسط في المدح وعدم المبالغة ومجاوزة الحد .

فالرسول ﷺ اصطفاه ربه بالرسالة ، وهو أفضل خلقه ، وكل مدح يُقال فيه صدق - إذا لم يتجاوز التأدب مع الله - ومدح الرسول ﷺ لا يتعدى كونه بشراً رسولاً ، تشرف بالعبودية لله وبَلَّغ ما كُلِّفَ به بلاغاً كافياً . فمنع المبالغة في إطرائه ورفعه أعلى من بشريته .

روى الإمام البخاري - رحمه الله - بسنده عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : « **سمعت النبي ﷺ يقول : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم .فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبدالله ورسوله** » [(٢)] .

وروى أبو داود - رحمه الله - بسنده عن مُطرِّف [(٣)] قال : « **قال أبي : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله تبارك وتعالى . قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طوْلاً [(٤)] ، فقال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرينَّكم الشيطان** » [(٥)] .

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٠/٤٧٨ مرجع سابق .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ٤/١٤٢ مرجع سابق .

(٣) مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير العامري ، عابدٌ فاضل ثقة ، يُكنى بأبي عبدالله . حدَّثَ عن أبيه الصحابي وعن جمع من الصحابة . مات سنة ٩٥ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٤/١٨٧ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٣٤ مرجعين سابقين) .

(٤) طَوْلاً : فضلاً وعلواً على الأعداء ، (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣/١٤٥ مرجع سابق) .

(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب باب كراهة التمادح ٤/٢٥٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٩١٢ مرجعين سابقين .

هؤلاء أعراب كانوا حديثي عهد بالإسلام ، وكره لهم المبالغة في مدحه ، فقال لهم : تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه ، فيستعملكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز [1] .

٣ ـ الأمن من فتنة الممدوح وحدوث الكبر والاستعلاء والفتور عن العمل الصالح.

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي بكرة ﷺ [2] « **أن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً ، فقال النبي ﷺ : ويحك قطعت عُنُق [3] صاحبك ، يقوله مراراً ، إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : احسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله أحداً** » [4] .

فالنهي في الحديث محمولٌ على المجازفة في المدح والزيادة في الوصف أو من يُخاف عليه فتنة من إعجابٍ أو كبر . أما من لا يُخاف عليه ذلك لكمال إيمانه وعقله فلا نهي في مدحه إذا لم يكن فيه مجازفة [5] .

٤ ـ تقييد المدح بقول : « أحسبه كذلك ولا أُزكي على الله أحداً »

تأدباً مع الله في رد علم السرائر إليه فهو أعلم بمن اتقى . وإنما الأحكام تجرى بالظاهر والله يتولى السرائر .

---

(١) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ١٣/١٦١ ـ ١٦٢ مرجع سابق .

(٢) نفيع بن الحرث الثقفي . لُقِّب بأبي بكرة ، لأنه تدلى في بكرة من سور الطائف في حصارها وأتى مُسلماً . كان من فضلاء الصحابة ، سكن البصرة وأنجب أولاداً لهم شهرة ، روى عن النبي ﷺ . مات بالبصرة سنة ٥١ أو ٥٢ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٣/٥٤٢ مرجع سابق) .

(٣) قطعت عُنُق صاحبك : استعير قطع العنق لهلاك الممدوح في دينه . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/١٢٧ مرجع سابق) .

(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب ما يكره من التمادح ٧/٨٧ مرجع سابق .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/١٢٦ مرجع سابق .

نتيجة المدح المباح :

إذا تحققت ضوابط المدح الآنفة الذكر ، فإن الممدوح لا يزداد بها إلا كمالاً ، إما ينشط في فعل الخير والازدياد منه ، أو الدوام عليه . خاصة إذا كان المادح من ذوي المكانة والحكمة الذين يقدِّرون الأمور بقدرها ويحرصون على درء المفاسد وجلب المصالح .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن سالم [1] عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **كنت غلاماً شاباً ، وكنت أنام في المسجد على عهد الرسول ﷺ ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطي البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار . قال : فلقينا ملك آخر فقال لي : لم ترع . فقصصتها على حفصة فقصتها على رسول الله ﷺ فقال : نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل . فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً** » [2] .

هذا مدح من معلّم الناس الخير ﷺ كانت ثمرته عظيمة للممدوح حيث أخذ على نفسه عهداً بقيامِ الليل حتى أنه كان لا ينام منه إلا قليلاً .

دعاءُ الممدوحِ :

حتى يأمن الممدوح من مداخل الشيطان والفتنة والرياء فإنه يدعو بهذا الدعاء

---

(١) سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، إمام زاهد حافظ ، يروي عن أبيه وعن أم المؤمنين عائشة وبعض الصحابة . أحد الفقهاء السبعة . مات سنة ١٠٦ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٤/٤٥٧ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٢٦ مرجعين سابقين) .

(٢) صحيح البخاري كتاب التهجد باب فضل قيام الليل ٢/٤٢ مرجع سابق .

« اللهــم اغفـر لي مـا لا يعلمـون . ولا تؤاخذنـي بمـا يقولـون . واجعلـني خـيراً ممـا يظنون »[1] .

وعليه أن يتحرز من آفة العجب أو الفتور . ويظهر كراهة المدح ويراقب نفسه .

ب ـ المدحُ المذمومُ :

وهو ما انعدمت فيه ضوابط المدح المباح . فانعدم فيه الصدق ، أوصاحبه النفـاق ، أو اتُخِذَ مهنةً للتكسب . وزادَ الممدوحَ بطراً وتكبراً وظلماً ورئاءً .

وهذا النوع هو الذي عناه الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عـن أبـي معمـر[2] قـال : « **قـام رجـلٌ يثنـي علـى أمـيرٍ مـن الأمـراء ، فجعـل المقداد**[3] ﷺ **يحثي عليه التراب . وقال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب** »[4] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (حمل المقداد ﷺ هـذا الحديـث على ظاهره ووافقـه طائفة . وقال آخرون : معناه خيبوهم فلا تعطوهم شيئاً لمدحهم ـ كـأنهم مـن الذيـن

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٧٨/١٠ نقلاً عن البيهقـي في الشعب . منسوبة إلى أبي بكر الصديق ﷺ .

(٢) عبدا لله بن سخبرة الأزدي الكوفي ، أبو معمر ، حدَّث عـن عمر ، وعلي ، وابـن مسعود ، والمقـداد ، وغيرهم . ثقة . مات في إمارة عبيدا لله بن زيـاد في خلافـة يزيـد . (انظـر : سير أعـلام النبـلاء الذهبي ١٣٣/٤ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٣٠٥ مرجعين سابقين) .

(٣) المقداد بن عمرو الكندي ، من السابقين للإسلام ، وممن أظهر إسلامه ، فارس مغوار ، تـزوج بنـت الزبير ابن عبدالمطلب ، وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها . مات سنة ٣٣ هـ . (انظـر : الإصابـة ابـن حجر ٤٣٤/٣ مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الزهد باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ٢٢٨/٨ مرجع سابق .

يتكسبون به - وقال آخرون : قولوا له بفيك التراب) [١] .

وقال الطيبي - رحمه الله - : (يحتمل أن يراد به دفعه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من تراب الدنيا استهانة به) [٢] .

وقال العلماء في الجمع بين أحاديث الإباحة والنهي : إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين ، ومعرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك فليس بحرام . وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كُرِه مدحه في وجهه كراهة شديدة [٣] .

هذا في حق الممدوح .

أما المادح فيتحمل وزر قوله إن كان كاذباً ، أو متكسباً . ويؤجر إن كان من أهل الحكمة والعلم وإرادة الخير بالناس .

آفاتُ المدحِ المذمومِ :

قال الغزالي - رحمه الله - : في المدح المذموم ست آفات [٤] ، أربع على المادح وهي : -

١ - قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كاذباً .

٢ - وقد يُظهر له من الحب ما لا يعتقده فيكون منافقاً .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٢٨/١٨ مرجع سابق .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٧٨/١٠ مرجع سابق .

(٣) انظر : رياض الصالحين النووي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص ٥٦٥ بدون ذكر للناشر ولا للتاريخ .

(٤) انظر : إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي ١٥٩/٣ - ١٦٠ مرجع سابق .

٣ ـ وقد يقول له ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الإطلاع عليه فيكون مجازفاً .

٤ ـ وقد يُفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق فيكون مناصراً لظالم .

وآفتان على الممدوح : ـ

١ ـ قد يُحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان .

٢ ـ قد يفرح فيفسد عمله . أو يفتر .

ثالثاً : ـ نماذج من مدح النبي ﷺ للأعراب ونتيجته الدعوية : ـ

إنّ المدح أسلوبٌ من أساليب الدعوة المؤثرة . وهو أشد تأثيراً فيمن اشتهروا بحب الشهرة والمفاخرة وعدِّ المآثر من أمثال الأعراب .

ونجد في سيرة الرسول ﷺ شواهد مدح لهم . إما لمسلمٍ يحثه على فعل الخير والازدياد منه إذا أُمِنت فتنته . أو لكافرٍ يتصف بصفة حميدة يُرغبه في الإسلام . ومن أمثلة ذلك .

١ ـ مدح فرد من مسلمي الأعراب

روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن أنس ﷺ « **أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام وكان يهدي للنبي ﷺ من البادية ، فيُجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ : إن زاهراً باديتُنا ، ونحن حاضرته ، وكان النبي ﷺ يحبه ، وكان دميماً ، فأتى النبيُ ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه لا يُبصره . فقال : أرسلني مَن هذا ؟ والتفت فعرف النبي ﷺ فجعل يلصق ظهره بصدر النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يقول : من يشتري مني هذا العبد ؟**

فيقول هو : إذاً تجدني كاسداً . فقال له النبي ﷺ : لكنك عند الله لست بكاسد » [1].

٢ ـ مدح القبائل من مسلمي الأعراب

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « **عن النبي ﷺ قال : أسلم سالمها الله . وغفار غفر الله لها** » [2] .

وروى أيضاً عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : « **قال النبي ﷺ : أرأيتم إن كان جهينة** [3] **ومزينة** [4] **وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد ومن بني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة ؟ فقال رجل : خابوا وخسروا . فقال : هم خيرٌ من بني تميم ومن بني أسد ومن بني عبدالله بن غطفان ومن بني عامر ابن صعصعة** » . وفي رواية « **والذي نفسي بيده إنهم لخيرٌ منهم** » [5] .

هذه القبائل الممدوحة من الأعراب الذين كانوا حول المدينة ، وكانوا من أسبق القبائل للإسلام ، فحصلوا على هذه المكانة والشرف بسبب ذلك [6] . فمدحهم الرسول ﷺ مدحاً صادقاً هم أهلٌ له لأنهم من السباقين للإسلام .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٤ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب ذكر أسلم وغفار ١٥٧/٤ ، ١٥٨ مرجع سابق .

(٣) جهينة : قبيلة عظيمة من القحطانية ، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة ، وفيها بطون كثيرة ، كانت مساكنهم ينبع ويثرب . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ٢١٦/١ مرجع سابق) .

(٤) مزينة : قبيلة كبيرة ، وهي بطن من مضر ، من العدنانية ، ديارهم بين المدينة ووادي القرى ، قدم وفدهم على الرسول ﷺ أربعمائة وأسلموا وشهدوا فتح مكة . (انظر : نفس المرجع السابق ١٠٨٣/٣) .

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب باب ذكر أسلم وغفار ١٥٧/٤ ، ١٥٨ مرجع سابق .

(٦) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٤٣/٦ ، ٥٤٥ مرجع سابق .

وروى مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : « **لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ ، سمعته يقول : هم أشد أمتي على الدجال . قال : وجاءت صدقاتهم فقال النبي ﷺ : هذه صدقات قومنا . قال : وكانت سبيّةٌ منهم عند عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال رسول الله ﷺ : أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل** » (١) .

مدح أسلم وغفار ومزينة وجهينة لأسبقيتها للإسلام ، بل صرّح بأفضليتهم على تميم وهوازن وغطفان .

ثمَّ مدح تميماً بالخلال التي يتصفون بها في ذلك الوقت . أو بالمواقف التي ستحصل منهم في المستقبل . والنسب الذي ينتسبون إليه .

وعندما يصدر هذا المدح الصادق من قائد الأمة فإنه مما يزيدهم ثباتاً على الإسلام وحباً لرسوله ﷺ وانضواءً تحت لوائه .

٣ ـ مدح الكفار من الأعراب

إنَّ مما نزل على الرسول ﷺ قول الله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ (٢) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة ١٧٨/٧ مرجع سابق .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .

وهو أول من يتمثل القرآن . وكان خلقه ﷺ القرآن . وإذا لم يكن العدل عند النبي ﷺ من البشر فعند مَنْ يكون ؟ !

وهذا العدلُ الذي تميّز به ﷺ يُعَدُّ أسلوباً مؤثراً من أساليب الدعوة . فعندما يُذكر المرء أو القوم بصفاتهم الحسنة وخلالهم الجميلة ، حتى وإن كانوا كفّاراً . فإنه مما يدعوهم لحب المادح وقبول المبادئ التي يدعو إليها .

وأقل ما في الأمر يلزمون الحياد ويمتنعون من الإيذاء .

وهذا مثال عدل في مدح قبيلة من الأعراب وهي على الكفر قبل الإسلام . قبيلة شيبان بن ثعلبة . التقى بهم الرسول ﷺ وهو يعرض نفسه على القبائل ، وكانت من أحسن القبائل رداً على الرسول ﷺ ، بل عرضت عليه المنعة مما يلي أرض العرب . ورأى فيهم حُسن الرأي والوفاء بعهدهم مع الفرس . فقال لهم ﷺ : « **ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق** » ، وأخذ منهم وعداً ليسلموا إن أظهر الله دين الإسلام . ثمَّ قال ﷺ : « **يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها ، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم** » [1] .

---

(١) دلائل النبوة البيهقي ٤٢٢/٢ ـ ٤٢٧ ، ووردت القصة بألفاظ متقاربة في : الروض الأنف السهيلي ٦٠/٤ ـ ٦٤ ، عيون الأثر ابن سيد الناس ٢٥٨/١ ـ ٢٦٠ ، البداية والنهاية ابن كثير ١٣٩/٣ ـ ١٤٣ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٤٥٣/٢ مراجع سابقة . وسبق ذكرها كاملة في عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل .

المبحثُ الثالثُ :.

توليةُ الإمارةِ

أولاً :. الشروطُ التي يجبُ توفرُها في الأمير .

ثانياً :. إعطاءُ الإمارةِ بقصدِ الدعوةِ إلى اللهِ ، وأمثلةٌ على ذلك .

ثالثاً :. نتائجُ توليةِ الإمارةِ للأعراب .

تَوليةُ الإمارةِ

جُبلت النفس البشرية على حبِّ الملذات والشهوات الدنيوية والسعي لتحصيلها ، كحب المال ، والبنين ، والسلطان ، والوجاهة . ومن هذه الملذات يبدأ الانحراف إذا لم تتطلع النفس إلى ما عند الله . قال تعالى : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ (١) .

وقد يكون تحقيق هذه الملذات والرغبات يعود بالمصلحة على النفس ، بشرط ضبطها بالشرع مع مراعاة قدرات الناس ومؤهلاتهم الشخصية .

ومن أعظم هذه الملذات والشهوات عند العرب : الوجاهة والسيادة ، ولا يتولاها إلا عظيم القبيلة ، وعلى قدر قوّته وحكمته وشجاعته قد يجعل قبيلته سائدةً على قبائل أخرى تبعاً لسيادته .

وقد فَطِنَ الرسولُ ﷺ لهذا المطلب النفسي عند الأعراب فاستثمره لصالح الدعوة . حتى غدت توليةُ الإمارة أسلوباً هاماً من أساليب دعوته ﷺ للأعراب .

أولاً : ـ الشروطُ التي يجبُ توفرُها في الأمير : ـ

استنبطتُ من خلال استقراءِ بعض نصوصِ السنةِ والسيرةِ الشروطَ التي يجبُ توفرُها في الأميرِ : ـ

١ ـ بروزُ الجانبِ القياديِ

بحيث يُرى أنه أبرزُ قومهِ أو سريته ، فيكونُ ذا حكمةٍ وحنكةٍ ، وسدادِ رأي ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٤ .

وحلمٍ ومداراةٍ ، وحسن تدبير إلى جانب الشجاعة . روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي ذر ﷺ قال : « **قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثمَّ قال : يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إلا من أخذها بحقها وأدَّى الذي عليه** » [1] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لاسيما من كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية) [2] .

وأبو ذرٍ ﷺ لا يُعاب عليه دين ولا خلق ولا شجاعة ، لكن تفرس فيه الرسول ﷺ ضعفاً أو قصوراً في الجانب القيادي لا يؤهله للإمارة والقيام بواجباتها فصارحه بذلك .

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ : (هذا محمول على ضعف الرأي ، فإنه لو ولي مال اليتيم لأنفقه كلّه في سبيل الخير ، والذي يتأمر على الناس يريد أن يكون فيه حلم ومداراة ، وأبو ذر ﷺ كانت فيه حِدَّةٌ ، وقد نصحه النبي ﷺ) [3] .

٢ ـ الأمنُ من افتتان صاحبها

فلا بُدَّ أن يكون من أهل التقوى . لتمنعه تقواه من الوقوع في المحظور والجور ، والظلم والبطش . فلا يولى من خيف عليه الكبر والغرور والفخر والخيلاء . فإنها صفات تعمي صاحبها عن قبول الحق . وتدفعه إلى التعالي والبطش والظلم . فإن

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ٦/٦ مرجع سابق .
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٠/١٢ مرجع سابق .
(٣) سير أعلام النبلاء الذهبي ٧٥/٢ مرجع سابق .

توليته الإمارة مدعاة لإفساد دينه وخلقه ، ويترتب عليها نفور الناس عنه وعدم القناعة والقبول والتصديق لقوله وطاعته .

قال المأمون في اختيار الوزير : (له صولة الأمراء ، وأناة الحكماء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، إن أُحسن إليه شكر ، وإن ابتلي صبر ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده)[1] .

٣ ـ ألاّ يكونَ من الذين يطلبونها ويحرصون عليها

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : « **دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمِّي فقال أحدهما : يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاّك الله ﷻ ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : إنّا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه** »[2] .

طالب الإمارة لا ينجو من التهمة في سوء قصده وهي أقل ما يناله . إضافةً إلى حرمانه من إعانة الله التي وعدَ بها الرسول ﷺ مَن أخَذَ الإمارة من غير مسألة ، ووكِلَ إلى نفسه ومَن وكل إلى نفسه فقد هلك .

يؤيد ذلك ما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالرحمن بن سمرة ﷺ[3] قال : « **قال لي رسول الله ﷺ : يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة فإن**

---

(١) الأحكام السلطانية الماوردي ص ٢٢ مكتبة الحلبي القاهرة ط١ ١٣٨٦ هـ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأحكام باب ما يكره من الحرص على الإمارة ١٠٦/٨ مرجع سابق .

(٣) عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي ، صحابي ، أسلم يوم الفتح وشهد تبوك ، ثمَّ شهد فتوح العراق ، سكن البصرة ومات بها سنة ٥٠ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ٣٩٣/٢ مرجع سابق) .

أعطيتها عن مسألة وكلت إليها [1] وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » [2] .

هذه أدلة بخصوص ذم الإمارة لمن طلبها وحرص عليها .

أما إذا طلبها يريد إقامة الحق والدعوة إلى الله فهنا سلمت الغاية ، وإذا سلمت الغاية التي من أجلها تطلب الإمارة ، فلا يدخل طالبها في النهي والوعيد لسلامة قصده . ومثال ذلك : إذا خشي الضياع على مصالح الأمة . أو أراد التمكن من نشر التعليم والدعوة والأخذ على يد الظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ : (إن من قام بالأمر عند خشية الضياع يكون كمن أُعطي بغير سؤال لفقد الحرص غالباً عمن هذا شأنه ، وقد يغتفر الحرص في حق مَن تعيَّن عليه بكونه يصير واجباً عليه) [3] .

وقد طلبها يوسف عليه السلام كما أخبر الله تعالى عنه ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [4] .

فقد طلبها يوسف عليه السلام ليتوصل بها إلى نشر العدل ورفع الظلم ، ودعوة أهل مصر إلى الإيمان بالله . بل وصف نفسه بالصفات التي تؤهله لها وهي صفات صدق في نبي الله يوسف عليه السلام [5] .

---

(١) وكلت إليها : أي صُرِفت إليها وحُرِمت إعانة الله . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٢٤/١٣ مرجع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب الأحكام باب من سأل الإمارة وكل إليها ١٠٦/٨ مرجع سابق .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٢٦/١٣ مرجع سابق .

(٤) سورة يوسف الآية ٥٥ .

(٥) انظر : فتح القدير الشوكاني ٣٥/٣ مرجع سابق .

ثانياً :- إعطاء الإمارة بقصد الدعوة إلى الله :-

قد يرى ولي الأمر تولية أحد الناس مع عدم أهليته لحماقته مثلاً لكن ليتألفه أو رجاءً في إسلام غيره لماله من الطاعة عليهم .

وهذا أسلوب اتخذه الرسول ﷺ في دعوته للأعراب ، وذلك مع تقديره ﷺ لكل المصالح والمفاسد المترتبة على تلك الإمارة ، فالضرر العائد على الفرد الواحد من الإمارة إذا قابله إسلام طائفة فإن هذه مصلحة راجحة على المفسدة الأولى . ومن أمثلة ذلك :

١ ـ أمَّر عيينة بن حصن الفزاري على سرية إلى بني العنبر [١] من تميم ليس معه أنصاري ولا مهاجري . ومواقف عيينة مع الرسول ﷺ معروفة ، كاستئذانه لدخول الطائف أثناء الحصار ليدعو ثقيفاً للإسلام وقال لهم : تمسّكوا بمكانكم فوا لله لنحن أذل من العبيد ، وأطلع ا لله رسوله ﷺ على كذبه فكذّبه ، وقال للرسول ﷺ : أتوب إلى ا لله . وامتنع من رد السبي لهوازن عندما ردّه أصحاب الرسول ﷺ ، وهو من الذين دعا عليهم الرسول ﷺ « **اللهم أخس سهمه** » فأوقعه ا لله في عجوز بقيت معه حتى ردّها من غير فداء [٢] ، لكن مع ذلك كله أمّره الرسول ﷺ على هذه السرية اتقاءَ شرِّه ، واستجلاباً

(١) انظر : صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة عيينة بن حصن إلى بني العنبر ١١٥/٥ مرجع سابق .

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٧٢/٥ ـ ٥٧٤ مرجع سابق ، كنز العمال للعلامة علاء الدين الهندي ٥٤٧/١٠ رقم الحديث ٣٠٢٢٤ ، ولم ينسبها لعيينة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ .

لقلوب أتباعه الذين يرضون لرضاه ويسخطون لسخطه ، حيث كان سيداً لقومه يقود جيشاً في الجاهلية يُسمى الجرّار يتجاوز عشرة آلاف مقاتل .

فكان لتوليته إمارة السرية مصلحة عظيمة رآها الرسول ﷺ .

٢ ـ استعمل الرسول ﷺ مالك بن عوف [1] ـ قائد هوازن يوم حنين ـ بعد أن ردّ له أهله وماله كما رد على من أسلم من قومه ، وعقد له لواءً واستمر يدعو للإسلام حتى انضوى إليه كثير ممن لم يسلم من قومه ومن القبائل المجاورة ودخلوا في الإسلام . وجعل يقاتل بهم ثقيفاً ويغير على سرحهم ويبعث بالخمس مما يغنم إلى الرسول ﷺ حتى أسلمت ثقيف ووفدت على الرسول ﷺ في المدينة . وبذلك تتضح المصلحة العظيمة التي تحققت من توليته الإمارة .

ثالثاً : ـ نتائج تولية الإمارة للأعراب : ـ

أعطى الله نبيّه ﷺ الحكمة وعلّمه ما لم يكن يعلم ، فحاشاه أن يفعل شيئاً إلا لحكمة . وتولية بعض الأعراب الإمارة سواءً إمارة الجهاد أو الإمارة على البلاد أسلوب هام من أساليب الدعوة ، بعد أخذ الاعتبارات والمقارنة ، وترجيح المصالح على المفاسد المترتبة على تلك الإمارة . وهي لا شك تحقق مصالح عظيمة تعود بالفائدة على الأمة والإسلام في العموم ، فإنّ جُلَّ أهل الجزيرة العربية من الأعراب .

---

(١) انظر : السيرة النبوية ابن هشام ٤٩١/٢ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٨٨/٥ مرجعين سابقين ، وستأتي ترجمته ـ إن شاء الله ـ ص ٢٥٨ . وروى القصة الطبراني ، وقال د / مهدي رزق الله : رجاله ثقات (انظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د / مهدي رزق الله ص ٦٠٠ مرجع سابق) .

وهم موسومون بصفات حميدة تميّزوا بها على غيرهم ، وهذه الصفات أبرزت دورهم الرائد في نشر الإسلام والذب عنه والجهاد في سبيل الله . ومن المصالح ما يعود بالنفع على متولي الإمارة وقومه خاصة .

وهذه بعض النتائج التي تحققت من توليتهم الإمارة : ـ

١ ـ إشباع الغريزة الفطرية والشهوة الإنسانية البارزة في بعضهم ، وهي حب الجاه والسلطان وحب القيادة . مع ما يترتب على ذلك من نفع للدعوة .

٢ ـ قيام الأمير بالدعوة إلى الإسلام ، وتمكنه من استجلاب قومه للدخول في الدين الحنيف وذلك بحكم معرفته بطباع قومه ، ومواطن القبول والرفض فيهم ، وأصحاب الحل والعقد فيهم .

٣ ـ الأمن من مكره ومكر قبيلته وما يشكّلونه من خطر على المسلمين .

٤ ـ قد يكون سداً منيعاً في وجه قبيلة أخرى تحاول الاعتداء على المسلمين .

٥ ـ تمكن الإيمان من قلبه وقلوب قبيلته لما حصل لهم من التأليفِ بتوليةِ الإمارةِ ، وإظهار المكانة بين القبائل ، وحب من أحسن إليهم وهو الرسول ﷺ (١) .

٦ ـ المشاركةُ في نشر الإسلامِ والدعوةِ إليه وتوطيدِ حكمِ الإسلامِ في إنحاء الجزيرةِ .

---

(١) ومن أمثلة ذلك : مالك بن عوف النصري من هوازن ، قائد جيش المشركين في حنين . انهزم وفرَّ إلى الطائف ، وأرسل إليه الرسول ﷺ : لئن عاد مسلماً ليردن عليه أهله وماله ، وحبس أهله وماله و لم يوزعهم مع الغنائم ، فجاء مالك بن عوف مسلماً ، وتألفه الرسول ﷺ بمائة ناقة . وقال في الرسول ﷺ .

ما إن رأيت ولا سمعت بما أرى ∴ في الناس كلهم بمثل محمد

فاستعمله الرسول ﷺ على من أسلم من قومه وعلى ناحية الطائف ، وانضم له مجموعة من القبائل وحارب بهم ثقيفاً حتى أسلموا . شهد فتح دمشق ، والقادسية . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٤٢/٣ ، الإصابة ابن حجر ٣٣١/٣ ـ ٣٣٢ مرجعين سابقين) .

المبحثُ الرابعُ :.

التأليفُ بالمالِ

وفيــه :. تمهيدٌ ، ومطلبانِ

المطلبُ الأول :. تأليفُ الخاصةِ من الأعراب .

المطلبُ الثاني :. تأليفُ العامةِ من الأعراب .

التأليفُ بالمالِ :

تمهيــــــد :

فُطر الإنسان على حب المال . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (١) .

وروى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس بن مالك ﷺ « **أن رسول الله ﷺ قال : لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » (٢) .

فالإنسان يجدُّ في طلب المال وتحصيله ويتهالك عليه . وقد يهوي به هذا الحرص في الرذيلة ويتجرد من بعض مبادئه وقيمه ، فيسرق وينهب ، ويعتدي ، ويظلم من أجل الحصول على المال . أو يدعوه هذا الحرص إلى التجرد من وازع الحياء فَيُلِّح في السؤال والطلب ، أو يظهرُ الحسدَ عندما يرى نعمة الله على غيره من الناس .

ثمَّ إذا أصابه الخير ، وحصل على المال كثُر شحه وإمساكه وبخله . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ الشَّرّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً** ﴾ (٣) . لأن الشح في كل نفس إنسانية بحكم الجبلّة والطبيعة .

قال تعالى : ﴿ **وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشّحّ** ﴾ (٤) . أما إذا خالط الإيمان قلب الإنسان ، وتمكنت التقوى من نفسه انتصر على هذه الصفة واستقامت قيمه

---

(١) سورة العاديات الآية ٨ .

(٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب ما يُتقى من فتنة المال ١٧٥/٧ مرجع سابق .

(٣) سورة المعارج الآية ١٩ - ٢١ .

(٤) سورة النساء الآية ١٢٨ .

وأخلاقه . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْراً لأنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٢) .

وكان النبي ﷺ أشد حرصاً على إسلام الناس . بل كان يشتد حزنه وأسفه من إعراض قومه . وهذا الحرص والأسف جعله لا يدع أسلوباً يراه ناجعاً يُبلّغ به دعوته إلا طرقه .

فجعل إشباع شهوة المال المستحكمة في النفوس زماماً يقود به الناس إلى الإسلام . فبذل المال الذي آتاه الله إياه يتألفهم به . حتى ظهر جليّاً أنه أسلوبٌ بارزٌ من أساليب الدعوة . فقد يُسلم الرجل طلباً للدنيا ، فيُجزل الرسول ﷺ له العطيّة ، فلا يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره للإسلام ، ويتمكن من قلبه الإيمان فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وما ذاك إلا بفضل الله ، ثمَّ بفضل الأسلوب الحكيم الذي سلكه الرسول ﷺ في دعوته .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس ﷺ « **أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين . فأعطاه إياه . فأتى قومه فقال : أي قوم ! أسلموا فوالله إن محمداً ليُعطي عطاءً ما يخاف الفقر . فقال أنس إن كان الرجل ليُسلم ما يريد**

---

(١) سورة الحشر الآية ٩ .

(٢) سورة التغابن الآية ١٦ .

إلا الدنيا . فما يسلم حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها » [1] .

ففي هذه القصة يظهر أثر المال في النفس . فإنَّ الذي يبذل المال يُملي المبادئ التي يريدها ، فيجد لها القبول والتسليم عند مَن بذل له المال .

وفيما يخص الأعراب زخرت السيرةُ النبوية بأروعِ وأعلى صور بذل المال لرؤساء الأعراب وعامتهم ، وهذا ما سأبينُه في المطلبين التاليين ـ إن شاء الله ـ

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب ما سئل ﷺ شيئاً قط فقال : لا ٧/٧٥ مرجع سابق .

المطلبُ الأولُ :.

تأليفُ الخاصةِ من الأعراب :.

أعطى الرسولُ ﷺ الطلقاء [1] ، وأشراف الناس يوم حنين المئين من الإبل والغنم . يتألفهم ويتألف بهم قومهم . وكان من أشراف الأعراب الذين أعطاهم : الأقرع بنُ حابسٍ التميميُ قائدُ بني تميم ، وعيينة بن حصن الفزاري قائد فزارة من غطفان ، وعباس بن مرداس قائد بني سليم .

روى الإمام مسلم - رحمه الله - بسنده عن رافع بن خديج ﷺ [2] قال : « **أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن والأقرع ابن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك . فقال عباس بن مرداس :**

أتجعل نهبي ونهب العُبيد [3] ∴ بين عيينة والأقرع

فما كان بدرٌ ولا حابسٌ ∴ يفوقان مرداسَ في المجمع

وما كنتُ دون امرئٍ منهما ∴ ومن تخفض اليومَ لا يُرفع

قال : فأتم له رسولُ الله ﷺ مائةً » [4] .

---

(١) الطلقاء : هم الذين أسلموا يوم الفتح ، وسموا بذلك لأن النبي ﷺ منَّ عليهم بالعفو . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٥٣ مرجع سابق) .

(٢) رافع بن خديج بن رافع الحارثي الأوسي الأنصاري ، استُصغر في بدر ، وشهد أحداً وما بعدها ، أصيب في أحد وانتقضت جراحه سنة ثلاث أو أربع وسبعين فمات بالمدينة . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/٤٨٣ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢٠٤ مرجعين سابقين) .

(٣) العُبيد : فرس عباس بن مرداس . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٧/١٥٥ مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة ومَن يُخاف على إيمانه ٣/١٠٧ مرجع سابق .

و قدم وفد هوازن يسألون رسول الله ﷺ العفو ورد الأبناء والنساء ، « **فقام رسول الله ﷺ في المسلمين . فأثنى على الله بما هو أهله ثمَّ قال : أما بعد . فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، من أحب أن يُطيِّب [1] فليفعل من أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يُفيء الله علينا فليفعل . فقال الناس : قد طيّبنا ذلك يا رسول الله** » [2].

فقد أجاب طلبهم ورد سبيهم تأليفاً لهم .

ونستنتج من القصتين الدروس الدعوية التالية : ـ

١ ـ المساواة بين الأقران في العطية ، حكمة دعوية هامّة ، حتى لا يُساء الظنّ في الرسول ﷺ وفي عدالة الإسلام . ولا يوغر صدورهم على المسلمين ، أو على بعضهم فتحدث فتنة والمسلمون بحاجة إلى الأمن ووحدة الصف ومواجهة الأعداء . ولذلك نجد أن عباسَ بنَ مرداس لم يعارض عطاء أبي سفيان وصفوان بن أمية وإنما عارض عطاءَ أقرانه من الأعراب .

٢ ـ أن هؤلاء الرؤساء حديثو عهد بإسلام ومن جفاة الأعراب . فأجزل لهم الرسول ﷺ العطاء تألفاً لهم ولقومهم .

٣ ـ أن الإسلام لم يتمكن من قلوبهم ولم تتصحح المفاهيم في أنظارهم ، حتى أن عباس بن مرداس يقول : « أتجعل نهبي » ولم يقل « سهمي » . وكأنه ما أراد من

---

(١) يُطَيِّب : بفتح الطاء وكسر وتشديد الياء : أي يعطيه عن طيب نفس من غير عوض . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣٤/٨ مرجع سابق) .

(٢) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ٥٤/٤ مرجع سابق .

خروجه مع الرسول ﷺ إلا النهب والمال . وأعرض الرسول ﷺ عن هذا القول بل أمر بإعطائه مائة من الإبل .

٤ ـ أن الرسول ﷺ ترك لهم سبيهم عندما امتنعوا من رده و لم يعنفهم على ذلك ، ويترتب على ذلك مكسب دعوي وهو كشف صورة القبائل العدائية فيما بينها وسوء مقاصدها وأن أهدافها النهب ، فكثيرٌ من غطفان كانوا مع هوازن في حنين يقاتلون في صف واحد ، ولم يرد لهم عيينة الفزاري الغطفاني نصيبه من السبي وهو أقرب لهم رحماً . بينما تجلّت أخلاق الإسلام العظيمة في رسول الله ﷺ وفي المهاجرين والأنصار حيث بادروا برد ما بأيديهم من السبي ، مظهرين أروع صور العفو والتسامح الذي يبين شرف غايتهم ومقاصدهم .

المطلبُ الثاني :.

تأليفُ العامةِ من الأعراب

وكذلك لم يكن سخاء الرسول ﷺ لأشراف القوم فحسب ، بل كان يتألف أفراد الناس . ويجزل لهم العطاء إن طلبوا ولا يُبالي .

والمصلحة التي ينشدها الرسول ﷺ متحققةٌ حتماً ! إما بثبات المبذول له المال على الإسلام ، أو أنه سيكون وسيلة اتصال لنقل خبر هذا السخاء النبوي للناس ، فيتوافدون طلباً للعطاء ، ثمَّ يدخلون في الإسلام .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « **كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُردٌ [1] نجرانيٌّ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه جذبةً شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثمَّ قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثمَّ أمر له بعطاء** » [2] .

لم يتأدب الأعرابي فجبذ رداء الرسول ﷺ ، وهذا من عادة جَفاة الأعراب لعدم تهذيب أخلاقهم ، وأساء أيضاً في مخاطبة الرسول ﷺ ، ومع ذلك عفا عنه وتألفه وأمر له بعطاء . وهذا الخلق النبوي الكريم في العفو والبذل كافٍ لمن وفقه الله لقبول الدعوة .

---

(١) البُرد : نوع من الثياب ، يصنع في نجران فسمي به (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ١١٦/١ مرجع سابق .

(٢) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ٦٠/٤ مرجع سابق .

المبحثُ الخامسُ :.

الإعراضُ عن الخطأِ .

المطلبُ الأولُ :.

معنى الإعراضِ عن الخطأ .

المطلبُ الثاني :.

الإعراضُ عن أخطاء كافري الأعراب .

المطلبُ الثالثُ :.

الإعراضُ عن أخطاء مسلمي الأعراب .

أولاً : أخطاء لا ينبغي الإعراضُ عنها .

ثانياً : أمثلةٌ من إعراض النبي ﷺ عن أخطاءِ مسلمي الأعراب

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ الإعراضِ عن الخطأِ

١ ـ تعريفُ الإعـراضِ :

وردت كلمة أعرض في اللغة بعدة معان أقربها للمعنى المراد في هذا المقام هو :

أعرض عنه إعراضاً : صدّ وولاه ظهره . ومعرضاً عن الأداء : موليّاً عنه [١] نحو قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الّذِينَ يَخُوضُونَ فِيَ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمّا يُنسِيَنّكَ الشّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذّكْرَىَ مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ ﴾ [٢] . أي صدَّ عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم [٣] .

ونحو قول الله تعالى : ﴿ اتّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رّبّكَ لآ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٤] . أي دع عنك جدالهم وخصومتهم . وهو مما أمر الله به المؤمنين بالعفو عن المشركين ، واتهاماتهم الباطلة للمؤمنين ، إلى وقت التمكين والقوة [٥] .

الإعراض : هو عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه [٦] .

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور ١٧٦/٧ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٨٣٤ ، تاج العروس الزبيدي ٤٠٩/١٨ مراجع سابقة .

(٢) سورة الأنعام الآية ٦٨ .

(٣) انظر : جامع البيان الطبري ٢٢٨/٧ مرجع سابق .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٠٦ .

(٥) انظر : جامع البيان الطبري ٣٠٨/٧ ، وظلال القرآن سيد قطب ١١٦٩/٢ مرجعين سابقين .

(٦) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٠٨/٣ مرجع سابق .

وبهذا يكون **معنى الإعراض الذي أُريده في هذا المقام هو :**

عدم الالتفات إلى الخطأ لإرادة تحقق مصلحةٍ عاجلةٍ أو آجلةٍ .

٢ ـ تعريف الخطأ : ـ

وردت كلمة خطأ في اللغة بعدة معان أقربها للمعنى المراد في هذا المقام هو :

الخطأ : مجاوزة الحد ، أو مجاوزة حد الصواب . يقال أخطأ إذا تعدى الصواب متعمداً أو غير متعمد .

والخطّآء : الملازم للخطايا غير تارك لها [(١)].

نحو قول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ عن أنس رضي الله عنه « **عن النبي ﷺ : كل ابن آدم خطّآء ، وخير الخطائين التوابون** » [(٢)] .

وبهذا يكون **معنى الخطأ المقصودِ في هذا البحث :**

مخالفة الصواب في أمور الدين والدنيا والأخلاقِ في الأقوال والأفعالِ .

---

(١) انظر : معجم مقاييس اللغة ابن فارس ١٩٨/٢ ، النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٤٤/٢ ، لسان العرب ابن منظور ٦٥/١ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٤٩ ، تاج العروس الزبيدي ٢١١/١ مراجع سابقة .

(٢) سنن الترمذي أبواب صفة القيامة باب ٤٩ ٥٦٩/٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣٠٥/٢ ، وسنن ابن ماجة كتاب الزهد باب ذكر التوبة ١٤٢٠/٢ مراجع سابقة .

المطلب الثاني :.

الإعراض عن أخطاء كافري الأعراب

كان من هدي الرسول ﷺ في مكة مع مشركي العرب الصبرُ والتحملُ والإعراض عن الأخطاء ، وعدم إضاعة الوقت والجهد في الجدال والخصومة ؛ خوفاً من وقوع مواجهة بين الفريقين ، فزمن التمكين والإذن بالقتال لم يأتِ بعد . وهذا أسلوب نبوي كريم لتبليغ الدعوة في ذلك الوقت ، وحماية أتباعها . يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [1] . أي بلّغ قومك واكفف عن حرب المشركين [2] .

ويقول تعالى : ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [3] . أمر للنبي ﷺ وللمؤمنين أن يغفروا ويتجاوزوا عن أخطاء المشركين [4] وهذا في مكة حتى جاء الإذن بجهادهم في قول الله تعالى : ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [5] .

ومن أمثلة ما تعرض له الرسول ﷺ من أذى الأعراب في مكة وقابله بالإعراض ،

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٤ .

(٢) انظر : جامع البيان الطبري ١٤/٦٩ مرجع سابق .

(٣) سورة الجاثية الآية ١٤ .

(٤) انظر : جامع البيان الطبري ٢٥ /١٤٤ مرجع سابق .

(٥) سورة التوبة الآية ٥ .

ما لقيه من أحد رجال بني عامر بن صعصعة ، عندما عرض عليهم الرسول ﷺ الإسلام وطلب منهم المنعة ، فوافقوا على منعه حتى يبلغ رسالة ربه وامتنعوا عن الإسلام . فجاء أحدهم وكان غائباً وهو بيحرة القشيري . فسألهم فأخبروه . فقال : ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيءٍ أشر من شيءٍ ترجعون به . أتعمدون إلى رهيق [1] قوم طردوه وكذّبوه فتؤوه وتنصروه تنابذوا العرب عن قوس واحدة ، قومه أعلم به فبئس الرأي رأيكم . ثمَّ أقبل على رسول الله ﷺ فقال : قم فالحق بقومك ، فوالله لولا أنك عند قومي لضربت عنقك . فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته ليركبها ، فغمز الخبيث شاكلتها [2] فقمصت برسول الله ﷺ فألقته [3] .

وبعد التمكين والإذن بالقتال نجده ﷺ يعرض عن الأخطاء الفردية من مشركي الأعراب إعراضاً مصحوباً بالقوة والعزة ، يتعالى به ﷺ عن الأخطاء ، لأنه هادٍ ومعلّم ، فهو أولى بالسماحة والإغضاء ، ويرجو تحقق مصلحة دعوية آجلة ، فقد ينتهي هذا الأسلوب بترويض نفس المعاند ، وإكبار مَن أعرض عن خطئِه ومن ثمَّ يقبل دينه .

ومن أمثلة ذلك : ـ

١ ـ إعراضه ﷺ عن عامر بن الطفيل عندما همَّ بقتله وتوعّده بالحرب .

روى ابن هشام ـ رحمه الله ـ قصة وفادة عامر بن الطفيل على رأس وفد بني

---

(١) رهيق قوم : سفيههم . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١١٤٧ مرجع سابق) .

(٢) شاكلتَها : شاكلة الشيء جانبه ، وشاكلة الدابة خاصرتها . (انظر : لسان العرب ابن منظور ٣٦١/١١ مرجع سابق .

(٣) انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٩٨/٢ مرجع سابق .

عامر [1] قال : وقدم على رسول ا لله ﷺ وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد ابن قيس ، وجبار بن سلمى ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم . وقد قال قومهم : يا عامر إن الناس أسلموا فأسلم . فامتنع ويمم المدينة يريد الغدر بالرسول ﷺ ثمَّ قال لأربد : إذا قدمنا على محمد ، فإني سأشغل عنك وجهه فاقتله . فلما قدموا . قال : يا محمد خالني [2] ، قال ﷺ : « **لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له** » . فلما أبى عليه ﷺ قال : أتجعل لي الأمر بعدك إن أسلمت ؟ فقال ﷺ : « **ليس ذلك لك ولا لقومك ، ولكن لك أعنة الخيل** » . قال : أنا الآن في أعنة خيل نجد ، أتجعل لي الوبر ولك المدر ؟ قال ﷺ : « **لا** » . قال : أما وا لله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً . قال ﷺ بعدما خرجوا من عنده « **اللهم اكفني عامر بن الطفيل** » . وفي رواية « **واهدِ قومه** » . فما لبث أن مات بالطاعون في الطريق [3] .

وفادة هؤلاء سنة الوفود بعد الفتح وقت التمكين والقوة ، لكنه ﷺ أعرض عن هذا الخطأ العظيم يريد تحقيق مصلحة آجلة هي :

١ ـ يقينه التام أنّ ا لله سيحميه منه ، فدعا عليه بعد أن انصرف من عنده ، وبهذا

---

(١) بنو عامر : هم بنو عامر بن صعصعة من قيس بن عيلان . منازلهم ناحية نجد . وقيل أنهم يصطافون بالطائف لطيب جوها وعذوبة مياهها ويتشتّون بلادهم في نجد . (انظر : لب اللباب السيوطي ١٠٢/٢ ، الأنساب السمعاني ١١٣/٤ ، معجم قبائل العرب كحالة ٧٠٨/٢ مراجع سابقة) .

(٢) خالني : تفرد لي خالياً حتى أتحدث معك . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٥٥/٦ مرجع سابق) .

(٣) انظر : السيرة النبوية ابن هشام ٥٦٧/٢ ـ ٥٦٩ ، سبل الهدى والرشاد الصالحي ٥٥٠/٦ ـ ٥٥٤ ، وروى القصة الإمام أحمد في المسند ٢١٠/٣ مراجع سابقة . وخبر هلاك عامر بن الطفيل وتخيير الرسول ﷺ بين ثلاثة أمور ثابت في صحيح البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ٤٢/٥ مرجع سابق) .

تتحقق مصلحة التخلص منه .

٢ ـ عدمُ تنفير الأعرابِ منه حرصاً على هدايتهم .

٢ ـ إعراضه ﷺ عن خطأ الأعرابي الذي أراد قتله .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ « **أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة فنزل رسول الله ﷺ ، وتفرّق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه ، قال جابر : فنمنا نومةً فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فجئناه فإذا عنده أعرابي جالسٌ فقال رسول الله ﷺ : إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتاً ، فقال لي : مَن يمنعك منّي ؟ قلت له : الله فهاهو ذا جالس ، ثمَّ لم يعاقبه رسول الله ﷺ** » (١) .

نجد أن الرسول ﷺ سلك معه أسلوب الإعراض عن الخطأ . فلم يؤنبه ، ولم يقتله ، ولم يأخذه أسيراً ، ولم يطلب منه فداءً ، وكانت النتيجة المتحققة من هذا الأسلوب أن أسلم واهتدى به خلق كثير بعد أن رجع إلى قومه (٢) .

---

(١) سبق تخريجه ص٢٣٦ مع شرح غريبه وترجمة الأعرابي .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٢٧/٧ مرجع سابق .

المطلبُ الثالثُ :.

الإعراضُ عن أخطاءِ مسلمي الأعرابِ

أولاً : أخطاءٌ لا ينبغي الإعراضُ عنها :ـ

مما أدَّب الله به نبيّه ﷺ العفو والإعراض عن الخطأ ، ليألفه الناس ويحبوه ويقبلوا دعوته . لكن إذا كان الخطأ في العقيدة أو العبادة فلا مجال للإعراض ، فلم يؤمر ولم يكن من نهجه ﷺ الإعراضُ عمّن جهل الواجب عليه مِن حق الله ، ولا صفح عمّن كفر بالله ، وجهل وحدانيته وهو حربٌ على المسلمين .

إنما يعرض عن أخطاء المعاملات الشخصية ، والأخذ والعطاء ، والصحبة والجوار ، تيسيراً على الناس ومراعاةً للضعف والنقص البشري الذي يستدعي التيسير وعدم التنفير وسعة الصدر في غير تهاون ولا تفريط [1] ، ومن أمثلة ما لا ينبغي الإعراضُ عنه من أخطاء الأعراب ما يأتي :ـ

أ ـ أخطاءٌ في العقيدة :ـ

روى أبو داود ـ رحمه الله ـ عن جبير بن مطعم ﷺ قال : « **أتى أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، جهدت الأنفس ، وضاعت العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، قال رسول الله ﷺ : ويحك أتدري ما تقول ؟ وسبّح رسول الله ﷺ ، فما زال يسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثمَّ قال :**

---

(١) انظر : جامع البيان الطبري ١٥٦/٩ ، في ظلال القرآن سيد قطب ١٤١٩/٣ مرجعين سابقين .

ويحك ؟ إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك .. » [1] .

يظهر جيداً من هذا الحديث أنه لم يعرض عن الخطأ لأنه من أمور العقيدة فبادر إلى إنكار الخطأ وتصحيحه بأسلوب قوي ومناسبٍ .

ب ـ أخطاءٌ في العبادة : ـ

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ قال : « **بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم ، فقلت يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه** [2] **ما شأنكم تنظرون إليّ ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سَكَتُّ ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني** [3] **ولا ضربني ولا شتمني . قال : إنّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ** » [4] .

عندما أخطأ الأعرابي [5] ـ الحديث عهد بجاهلية ـ في الصلاة التي هي عمود

---

(١) سبق تخريجه ص ٩٦ .

(٢) واثكل أمياه : بضم الثاء وفتحها وإسكان الكاف : فقدتني أمي . دعاءٌ ليس على ظاهره في لغة العرب .

(٣) ما كهرني : أي ما نهرني . (انظر معاني ألفاظ الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٢٠ مرجع سابق) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة ٢/٧٠ مرجع سابق .

(٥) الأعرابي : هو راوي الحديث وصاحب القصة معاوية بن الحكم السلمي ﷺ من بني سُليم ، وكان يأتي للمدينة ، وروى عن النبي ﷺ هذا الحديث . (انظر : الإصابة ابن حجر ٣/٤١١ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٣٧ مرجعين سابقين) .

الإسلام ، حيث أتى بكلام غير الذي شُرِع فيها ، ولو كان إتيانه به عامداً بطلت الصلاة [١] ، وهذا الخطأ في الواجبات التي لا يُعرض عنها . فبادر ﷺ بتعليمه بأسلوب لطيف لين كان له أثر بالغ في نفس الرجل .

ثانياً : أمثلةٌ من إعراضِ النبي ﷺ عن أخطاءِ مسلمي الأعراب :ـ

١ ـ إعراضه ﷺ عن خطأ الأعرابي من أجل تعليمه ومراعاةً لطبيعته

روى الترمذي ـ رحمه الله ـ عن صفوان بن عسّال المرادي رضي الله عنه [٢] قال : « **كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فناداه رجل كان في آخر القوم بصوت جَهْوَرِيٍّ [٣] ، أعرابي جلف جاف [٤] ، فقال : يا محمد يا محمد ، فقال له القوم : مَهْ إنك قد نُهيت عن هذا [٥] ، فأجابَه رسول الله ﷺ نحواً من صوته : هاؤم [٦] . فقال : الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم . قال فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب** » . وفي رواية أخرى : « **فقلنا له : ويحك اغضض من صوتك**

---

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٢١/٥ مرجع سابق .

(٢) صفوان بن عسّال من بني زاهر من مراد . رضي الله عنه . ذكر أنه غزا مع الرسول ﷺ اثنتي عشرة غزوة ، سكن الكوفة . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٨٢/٢ مرجع سابق) .

(٣) جَهوري : بفتح الجيم : عالي . (انظر : تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٥١٨/٩ مرجع سابق) .

(٤) جلف : بكسر الجيم : الأحمق . وهو مشتق من الجفاء ، وهو غلظ الطبع . (انظر نفس المرجع ٥٢٠/٩) .

(٥) قد نهيت : لا يجوز رفع الصوت أعلى من صوت النبي ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ** ﴾ سورة الحجرات الآية ٢ . ورد عليه ﷺ بنحو صوته رأفة به حتى لا يحبط عمله . (انظر : نفس المرجع ٥١٨/٩) .

(٦) هاؤم : بمعنى تعال . أو بمعنى خذ . (انظر نفس المرجع والصفحة) .

فإنك عند النبي ﷺ وقد نهيت عن هذا ، فقال : والله لا أغضض »[1] .

أخطأ الأعرابي على الرسول ﷺ عندما رفع صوته عنده ، وهذا منهي عنه ، وأخطأ ثانيةً عندما أقسم ألا يغضض من صوته .

فأعرض ﷺ عن هذا الخطأ للأسباب التالية : ـ

١ ـ أن وقوعه في هذا الخطأ ناتج عن جهله وغلظة طبعه وجلافته .

٢ ـ أنه يريد التعلم .

٣ ـ أنَّ سؤاله يدل على محبته للرسول ﷺ وللمؤمنين .

لذلك كان حقيقاً أن يُعرض عن خطئه ، وهذا ما فعله الرسول ﷺ ، بل كانت إجابته بنحو صوته ليرفع عنه الحرج لئلا يحبط عمله إذا كان صوته أعلى من صوت الرسول ﷺ .

٢ ـ إعراضه ﷺ عن خطأ صاحب الحق

روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه . فاشتد عليه ، حتى قال له : أحرج**[2] **عليك إلا قضيتني . فانتهره أصحابه وقالوا : ويحك ! تدري من**

---

(١) سنن الترمذي كتاب الدعوات باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار ٥/٥٤٦ . وصححه الألباني في : صحيح الترمذي ٣/١٧٤ ، وروى البخاري مثله عن عبدالله بن مسعود ﷺ بلفظ « **جاء رجل** » ، ومسلم عن أنس ﷺ بلفظ « **أن رجلاً من الأعراب** » وليس في الروايتين ذكر للقصة ولا رفع الصوت ولا الإجابة بنحوه . انظر : صحيح البخاري كتاب الأدب باب علامة حب الله ٧/١١٢ ، ومسلم كتاب البر باب المرء مع من أحب ٨/٤٢ مراجع سابقة .

(٢) أحرج عليك : من التحريج ، أي أضيق عليك .

تُكَلِّم ؟ قال : إني أطلب حقي . فقال النبي ﷺ : هلاً مع صاحب الحق كنتم ؟! [(١)] ، ثمَّ أرسل إلى خولة بنت قيس فقال لها : إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمرنا فنقضيك ، فقالت : نعم . بأبي أنت يا رسول الله . قال : فأقرضته ، فقضى الأعرابي وأطعمه . فقال : أوفيت ، أوفى الله لك . فقال : أولئك خيار الناس . إنه لا قُدِّست أمةٌ لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع [(٢)] » [(٣)] .

أخطأ الأعرابي لأنه لم يتأدب مع الرسول ﷺ واشتد عليه وهدده بالتضييق في طلب دينه ، حتى أنكر عليه أصحاب الرسول ﷺ هذا التصرف الذي لا يليق في حق نبي الأمة ﷺ .

لكن الرسول ﷺ أعرض عن هذا الخطأ ، وأنّب أصحابه في انتهارهم للأعرابي . وذلك لأسباب منها : ـ

١ ـ أنه صاحب حق . وصاحب الحق له سلطان حتى يأخذ حقه .

٢ ـ إعطاء صورة حسية رائعة لعدل الإسلام ، وأنه لا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى ، وأن الإسلام قد ضمن لهم حقوقهم .

٣ ـ أن هذا الأعرابي وسيلة لنقل ما وجد من خلق عظيم ، فيرغب قومه في الإسلام .

---

(١) هلاّ مع صاحب الحق كنتم : حثٌ لهم على القيام مع صاحب الحق .

(٢) غير متعتع : أي من غير أن يصيبه أذىً يقلقه ويزعجه . (انظر معاني ألفاظ الحديث في تعليقات محمد فؤاد عبدالباقي على سنن ابن ماجة ٢/٨١٠ مرجع سابق) .

(٣) سنن ابن ماجة كتاب الصدقات باب لصاحب الحق سلطان ٢/٨١٠ ، وصححه الألباني في : صحيح ابن ماجة ٢/٥٥ مرجعين سابقين .

وكان نتيجة هذا الأسلوب ما يأتي : ـ

١ ـ سرور الأعرابي وفرحه بقضاء دينه .

٢ ـ دعاؤه للرسول ﷺ دليلٌ على إعجابه وتأثره بما كافأَهُ به الرسول ﷺ حيث أكرمه وسارع في قضاء دينه ، وأعرض عن خطئه .

٣ ـ إعراضه ﷺ عن خطأ الأعرابي الذي جبذَه

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : « **كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌ غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌ فجذبه جذبةً شديدةً حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثمَّ قال : مر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ثمَّ أمر له بعطاء** » (١) .

اعتداء الأعرابي على النبي ﷺ وجبذ ردائه حتى حمّر رقبته ، خطأ على شخص النبي ﷺ ، لكن النبي ﷺ عفا وأعرض عن هذا الخطأ ، رجاء تحقق مصلحة دعوية .

ونستنتج من هذا الأسلوب المواقف الدعوية الآتية : ـ

١ ـ مقابلة الإساءة بالإحسان من أروع أساليب الدعوة وأشدها أثراً في نفس المدعو . وهذا الجفاء والخشونة والقسوة إذا قوبلت بالصفح والإعراض عن الخطأ وتلبية الطلب فإنها تقع من المدعو موقع الندم على الخطأ ، ومحاولة رد الجميل ولو بالشكر وكف الأذى .

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٦٦) .

٢ ـ أن خطأ الأعرابي ناتج عن الجهل والجفاء والغلظة التي هي من طبيعته ومن مؤثرات بيئته فيكون الإعراض عنه مراعاة لطبيعته .

٣ ـ أنَّ في فعل الرسول ﷺ وإعراضه عن خطأ الأعرابي ، تعليم للدعاة هذا الأسلوب ، الذي لا يقدر عليه إلا من تخلّق برحابة الصدر ، وقوة الصبر والتحمل ، وحب الخير للناس .

٤ ـ إعراضه ﷺ عن خطأ الأعرابي الذي بال في المسجد حتى انتهى من بوله : ـ

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : « **بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ [١] . قال رسول الله ﷺ : لا تزرموه [٢] ، دعوه . فتركوه حتى بال ، ثمَّ إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ، ولا القذر ، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن . أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنّه [٣] عليه** » [٤] .

وفي رواية ابن ماجة ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : « **... قال : فقال**

---

(١) مه : كلمة زجر بمعنى اسكت . وقيل : أصلها : ما هذا ؟ (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٣/٣ مرجع سابق) .

(٢) لا تزرموه : لا تقطعوا عليه بوله ، والازرام القطع . (انظر : نفس المرجع السابق ١٩٢/٣) .

(٣) شنّه : صبّه . (انظر : نفس المرجع السابق ١٩٣/٣) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الطهارة باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ١٦٣/١ مرجع سابق .

الأعرابي بعد أن فقه فقام : إليَّ بأبي وأمي . فلم يؤنب ولم يسب ، فقال : إن هذا المسجد لا يُبال فيه ، إنما بُني لذكر الله وللصلاة » [1] .

عند تأمل القصة دعوياً نجد أن الأعرابي وقع في خطأ يأباه الأدب ، وهو التبول في فناء المسجد ، وعلى مرأى من الرسول ﷺ وأصحابه . مما أثار غضب الأصحاب حتى همُّوا بتعنيفه .

لكنَّ الرسول ﷺ بخلقه الكريم ، ورحابة صدره ، وبُعد نظره ، وتقديره للطبيعة الأعرابية ، وتقدير المفاسد والمصالح ، أمر أصحابه أن يعرضوا عن هذا الخطأ وكأنّهم لم يروه حتى يعالجه ﷺ بحكمة .

وبعد أن قضى الأعرابي حاجته ، دعاه الرسول ﷺ وعلّمه فضل المساجد وآدابها .

وبذلك يظهر جلياً للدعاة أن استعمال الرسول ﷺ لهذا الأسلوب ناتج عن حكمة دعوية تدرأ المفاسد وتسعى لتحقيق المصالح .

أما المفاسد التي دُرِئت بهذا الأسلوب فهي : ـ

١ ـ الضرر الذي يلحق بالأعرابي بسبب حبس البول لو أُمِرَ بقطعه [2] .

٢ ـ قد يخاف الأعرابي ويتحرك فتنتشر النجاسة في مساحة أكبر من المسجد .

٣ ـ قد يخاف الأعرابي ويتحرك فينجس بدنه وثوبه .

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب الأرض يصيبها البول كيف يُغسل ١/١٧٦ . وصححه الألباني في : صحيح سنن ابن ماجة ١/٨٧ مرجعين سابقين .

(٢) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله سعيد القحطاني ص ١٨٩ مرجع سابق .

وأما المصالح التي تحققت فهي :-

١ ـ أعظمها وقع هذا التعامل في نفس الأعرابي ليفدي النبي ﷺ بأبويه بعد أن فَقِه ، وما ذاك إلا نتيجة هذا الأسلوب الحسن .

٢ ـ تعليم الأمة والدعاة خاصة أهمية الرفق بالجاهل ، وأنّ من إكرامه الإعراض عن هفوته ، إذا لم يكن معانداً أو مستخفاً .

المبحثُ السادسُ :.

كسرُ الحِدَّةِ ليتراجعَ عن الموقف .

المطلبُ الأولُ :.

معنى كسرِ الحِدَّة .

المطلبُ الثاني :.

استخدام الرسولُ ﷺ أسلوب كسر الحِدَّة مع الأعراب .

المطلبُ الأولُ :

معنى كسر الحِدَّة .

١ ـ مادة كَسَرَ وردت في اللغة بمعنى فَتَرَ .

يقال : **كَسَرَ** من برد الماء وحَرِّه : فتر .

وانكسر الحرُّ : فتر . وكل من عجز عن شيء فقد انكسر عنه .

وكل شيء فتر عن أمر ، يعجز عنه يقال فيه : **انكسر** (١) .

قال ابن فارس : (**كَسَرَ** ، الكاف والسين والراء : أصل صحيح يدل على هشم الشيء وهضمه) (٢) .

٢ ـ الحِدَّةُ : الشدة (٣)

ويقال : احتَدَّ الرجل **حِدَّة** : غضب .

فالحِدَّة : ما يعتري الرجل من غضب . يُقال : في فلان حِدَّة .

أو يُقال : هو من أحدِّ الرجال .

والحِدَّة : المضاء في الدين والصلابة والمقصد إلى الخير (٤) .

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور ١٣٩/٥ ، ١٤٠ ، تاج العروس الزبيدي ٤٣/١٤ مرجعين سابقين .

(٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ١٨٠/٥ مرجع سابق .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣٥٣/١ مرجع سابق .

(٤) انظر : معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٥/٢ ، لسان العرب ابن منظور ١٤١/٣ ، تاج العروس الزبيدي ٧/٨ ، ٨ مراجع سابقة .

ومنه قول عمر بن الخطاب ﷺ في أبي بكر ﷺ : « كنت أُداري من أبي بكر بعض الحدّ » [1] أي أدفع عنه بعض ما يعتري له من الغضب الذي سببه الصلابة في الدين وقصد الخير [2] .

فإذا كان **من معاني الكسر** : هضم الشيء وتفتيره ، وإلانته .

ومن معاني الحِدَّة : الشدة ، والصلابة ، والغضب .

نخلص إلى أن **معنى كسر الحِدَّة** : ـ

تهدئة الإنسان حتى يسكن بعد حِدَّته وغضبه ، ثمَّ يتراجع عن موقفه الخاطئ .

٣ ـ مفهوم أسلوب كسر الحِدَّة دعوياً : ـ

تجتمع على الإنسان الغريزة والشيطان ومؤثرات الحياة من حزن ومصائبَ وخصومات فيعتريه الغضب . وإن كان من صفاته الحِدَّة ازداد غضباً وغلظة . فيثورُ من حالة السكون إلى الحِدَّة والغليان ، فتتغيّر الألفاظ ، وتتلون الملامح ، وتنتفخ الأوداج .

وعندئذٍ فإنه يكون بأشد الحاجة إلى داعيةٍ ماهرٍ ، الذي يختار الأسلوب المناسب ليصل به إلى خلجات النفس ، فيُسكِّن حالة الغضب ، أو يُخففَ من الحِدَّة ، حتى يعود الإنسان إلى وضعه الطبيعي وحالته الهادئة .

وخلاصة مفهوم أسلوب كسر الحِدَّة دعوياً : ـ

هو : ذلك القول أو الفعل الحكيم الذي يُفتِّر به الداعية شِدَّة المدعو وصلابته وغضبه حتى يسكن ويعود عن الخطأ ويقبل الحق .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا ٢٥/٨ مرجع سابق .

(٢) انظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني ٢٨٩/١٩ مرجع سابق .

المطلبُ الثاني :.

استخدام الرسول ﷺ أسلوب كسر الحِدَّة مع الأعراب .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريـرة رضي الله عنه « **أنَّ أعرابياً أتـى رسول الله ﷺ فقال : إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسود . وإنِّي أنكرته (١) . فقال له رسول الله ﷺ : هل لك من إبل ؟**

قال : نعم .

قال ﷺ : فما ألوانها ؟

قال : حمر .

قال ﷺ : هل فيها من أورق (٢) ؟

قال : إنَّ فيها لَوُرقاً .

قال ﷺ : فأنَّى تُرى ذلك جاءها (٣) ؟!

قال : يا رسول الله عِرق نزعها (٤) .

---

(١) أنكرته : استغربت أن يكون منِّي لأن لونه يخالف لوني .

(٢) أورق : الذي فيه سواد ليس بحالك يميل للغبرة . ومنه قيل للحمامة ورقاء .

(٣) فأنَّى تُرى ذلك جاءها : من أين تظن أتى الإبل هذا اللون المخالف لها . هل بسبب فحل من غير لونها طرأ عليها أو لأمر آخر .

(٤) عرق نزعها : العرق هنا الأصل من النسب تشبيهاً بعرق الثمرة ، ومنه قولهم فلان مُعرَّق في النسب والحسب . والنزع : الجذب . والمعنى : يُحتمل أن في أصولها ما هو أورق فاجتذبه إليه فجاء على لونه . ومنه يُقال : نزعه أبوه إذا شابهه .

=

قال ﷺ : ولعلَّ هذا عِرق نزعه . ولم يرخّص له في الانتفاء » [1] .

عند تأمل روايات الحديث نجد أن الأعرابي أتى مغضباً ، يؤيد ذلك ما ذكره الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ أنه ورد في رواية ابن أبي ذئب « **أن الأعرابي صرخ بالنبي ﷺ** » [2] . فاجتمعت عليه الحِدَّة التي تعتري أكثر الأعراب ، والغضب الذي اعتراه بسبب هذا الموقف الذي طرأ عليه . فقد وسوس له الشيطان واستغرب الولد لاختلاف لونيهما . فأتى متذمراً ومستفتياً .

وعندما رأى الرسولُ ﷺ علاماتِ الغضب والحِدَّة والاستغراب ظاهرةً على ملامحِ الأعرابي وألفاظه . فَعَلِمَ أنه لو جابهه بالحكم وقال له : « **الولد للفراش** » [3] . وهو على هذه الحالة فربما لم يذعنْ للحكم ، خاصة وأنه بعيدٌ عن العلم .

لكن الرسول ﷺ فتّر حدّته وسكّن غضبه قبل أن يخبره بالحكم .

فقابله بهذا الأسلوب الهادئ ، والمثال الحسي الذي يعرفه الأعرابي ومن بيئته .

=

(انظر في المعاني السابقة : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٤٣/٩ ، شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٣/١٠ ، عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ٣٤٩/٦ ، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٣٢٥/٦ مراجع سابقة) .

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام باب من شبّه أصلاً معلوماً بأصل مبين قد بيَّن الله حكمهما ليفهم السائل ١٥٠/٨ مرجع سابق .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤٤٣/٩ مرجع سابق .

(٣) جزء من قول الرسول ﷺ : « **الولد للفراش وللعاهر الحجر** » عن أبي هريرة ﷺ ، صحيح البخاري كتاب الحدود باب للعاهر الحجر ٢٢/٨ مرجع سابق .

والمعنى أنه إذا كان للرجل زوجة أو مملوكة فأتت بولد لمدة الإمكان منه ، لحقه الولد وصار ولداً له يجري بينهما التوارث وغيره من الأحكام ، سواء كان موافقاً له في الشبه أم مخالفاً . (انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ٣٦٧/٦ ، حاشية الروض المربع ابن قاسم ٤٠/٧ مرجعين سابقين) .

وعلى طريقة المحادثة يجيب الأعرابي على تساؤلات الرسول ﷺ عن قناعة ورضا حتى يقول بصراحته « هذا عرق نزعه » فيقول له ﷺ : « **لعل هذا عرقٌ نزعه** » . فليس له بدٌّ بعد ذلك إلا أن يرضى بعد أن انجلى عنه الشك وانكسرت حِدَّته فتراجع عن موقفه الخاطئ .

إنَّ هذه القصة تدل على أنَّ من أسباب قبول الدعوة والتعليم والفتوى تهيئة نفوس المدعوين . وتتحقق بتفرس ملامحهم وتصرفاتهم ثمَّ استنتاج طباعهم ، ومحاولة معرفة مؤثرات حياتهم . ومِن ثَمَّ تهيئة نفوسهم لاستماع الحق بالأسلوب المناسب للموقف .

المبحثُ السابعُ :.

استعمالُ القوةِ مع مراعاة موقفها .

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ القوةِ .

المطلب الثاني :.

القوةُ الفعليةُ مع الأعراب (اليد) .

المطلب الثالث :.

القوةُ القوليةُ مع الأعرابِ

المطلبُ الأولُ :.

تعريفُ القوةِ مع مراعاةِ موقفها

١ ـ تعريفُ القوةِ في اللغةِ :ـ

بعد البحث في معاجم اللغة العربية وجدت للقوة معاني عِدَّة ، أَثْبتُّ منها ما يتوافق مع البحث ، ومن تلك المعاني :ـ

القُوة : نقيض الضعف . أو خلاف الضعف .

القِواية : التي على وزن فِعالة : الحزم ، ولا تُقال لقوة البدن .

ومنها قول الله تعالى : ﴿ **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾ (١).

أي بجد وعون من الله ، وهي القِواية بالكسر .

والقُوى : جمع القوة ، وشديد القُوى : جبريل عليه السلام .

والقُوى : العقل . كما قيل :

وصاحبين حَازمٍ قواهُما نَبهتُ ∴ والرُّقَادُ قد علاهما

وقال الله عز وجل لموسى عليه السلام : ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة مريم الآية ١٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

أي بجد وحزم [1] . وقوة في دينك وحجتك [2] .

ومن خلال هذا العرض يتبين أن **من معاني القوة** : ـ

قوة البدن .

والقوة : بمعنى الحزم .

وبمعنى الجد .

وبمعنى قوة العقل .

وبمعنى قوة الحجة .

٢ ـ مفهومُ القوةِ التي استخدمها النبيُ ﷺ في دعوة الأعراب : ـ

يسلك الداعية الأسلوب المناسب للوصول إلى غايته ، وتبليغ رسالته . ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان على دراية بأحوال المدعوين ، فالبشر مختلفو الطباع ، مختلفو الاستعداد للتلقي ، مختلفو الإدراك والرغبات .

فإن كان الداعية على معرفة بهذه الأمور فإن بلاغه لهم سيقع منهم موقع التأثير والفهم والوضوح ، سواءً استجابوا على الفورِ ، أو التراخي ، ثمَّ أتوا مذعنين ولو بعد حين ، أو عارضوا لكن الموضوع تجلّى لهم كالشمس في رابعة النهار ، لكن منعهم

---

(١) جامع البيان الطبري ٥٨/٦ مرجع سابق ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ٢٣٣/٣ دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ .

(٢) انظر : لسان العرب ابن منظور مادة (قوا) ٢٠٦/١٥ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (قنا) ص ١٧١٠ ، معجم مقاييس اللغة ابن فارس (باب القاف والواو) ٣٦/٥ مراجع سابقة .

العناد والكبر من القبول .

فبالمعرفة بأحوالهم ينتقي لهم الأسلوب المناسب . وهذا هو منهج الرسول ﷺ في تبليغ دعوته . روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « **سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** » (١) .

وفي الحديث دلالة على وجوب اختيار الأسلوب الأمثل المناسب لحالة المدعو والذي يستطيع الداعية الإتيان به .

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ : (هذا الحديث أصلٌ في صفة التغيير ، فله التغيير بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً . فيكسرُ آلاتِ الباطلِ ويريق المسكر ... وينزعُ الغصوب ويردُها إلى أصحابها ... ويرفقُ في التغيير جُهدَه بالجاهلِ وبذي العزةِ الظالمِ المخوفِ شره إذ ذلك أدعى إلى قبولِ قولـهِ ... ويغلظُ على المتمادي في غيه والمسرفِ في بطالتِه إذا أَمِن أن يؤثر إغلاظُه منكراً أشدَ مما يغيره ... فإن غلب على ظنِه أن تغييره بيده يسببُ منكراً أشدَ منه ... كف يدَه واقتصر على القولِ باللسانِ والوعظِ والتخويف فإن خاف أن يسببَ قوله مثلَ ذلك غير بقلبِه) (٢) .

وخلاصة القول : أن القوة المعنية في هذا البحث : أنها الأسلوب القوي الذي استعمله الرسول ﷺ في دعوته للأعراب . سواءً كانت هذه القوة بدنية (٣) ، أو

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ١/٥٠ مرجع سابق .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢/٢٥ مرجع سابق .

(٣) لا أعني هنا بالقوة البدنية القتال . لأن الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة ، فهو بمثابة القناة التي تصل من

قولية . والقولية هي الحزم وقوة الحجة ، والتعنيف بالقول ، والاستدلال العقلي .

=

خلالها الدعوة بالأسلوب المناسب . فإن الجهاد تصل من خلاله أو بحمايته الدعوة إلى المدعوين .

وقد تعرضت له في الفصل الثاني ، المبحث الثاني بعوث النبي ﷺ وسراياه للأعراب من ص١٦٤ - ١٦٧ .

المطلبُ الثاني :.

القوةُ الفعليةُ مع الأعراب (اليد) .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن حذيفة ﷺ قال : « **كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً ، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده ، وإنا حضرنا مرةً طعاماً فجاءت جارية كأنها تُدفع** (١) **فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ، ثمَّ جاء أعرابي كأنما يُدفع فأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان يستحلّ الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه وإنه جاء بهذه الجارية ليستحلَّ بها فأخذت بيدها ، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلَّ به فأخذت بيده ، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدها** » ، وفي رواية « **كأنما تُطرد ... وكأنما يُطرد ... وزاد في آخر الحديث ... ثمَّ ذكر اسمِ الله** » (٢) .

إن المتأملَ لأحداثِ هذه القصة يدرك الحكمة النبوية التي استحضرها النبي ﷺ فشَعُر أن سرعة أحداث الموقف وخطورتها تستدعي استعمال القوة ، فأمسك بيد الأعرابي .

ويظهر بعد تأمل الموقف أن دواعي استعماله ﷺ لأسلوب القوة في هذا الموقف الأمور الآتية :ـ

١ ـ السرعة المتناهية من الأعرابي نحو الطعام كما ورد في الرواية « **كأنه يُطرد** » .

٢ ـ رأى الرسول ﷺ ـ فيما أراه الله ـ الشيطان هاوياً معه .

---

(١) كأنّها تُدفع : لشدة سرعتها . وتفسرها الرواية الثانية : كأنها تُطرد . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٨٨ مرجع سابق) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب ٦/١٠٨ مرجع سابق .

٣ ـ أن التسمية التي هي من آداب الطعام تستلزم الهدوء واستشعار بركتها ، ولن تتحقق مع هذه السرعة .

٤ ـ أن مشاركة الشيطان يترتب عليها محق البركة وانتفاء شُكر المنعم .

لهذه الأسباب وغيرها مما لا ندركه كان لا مناص من استخدام أسلوب القوة لإنكار المنكر وبيان الحق وهو التأدب بآداب الطعام والشراب شكراً لله على نِعمه واتخاذ التدابير الواقية من مشاركة الشيطان .

المطلبُ الثالثُ :.

القوةُ القوليةُ مع الأعراب

بما أن البشر تختلف طباعهم ، ومداركهم ، ورغباتهم ، ومنازلهم ، وأسقامهم ، فإن لكل مقام مقالاً ، ولكل حادثة حديثاً ، ولكل داءٍ دواءً يناسبُه .

وحاملُ رسالة التبليغ لا بُدَّ أن يكون على معرفة تامة بظروف وأحوال المدعو لكي ينتقي الأسلوبَ المناسبَ ، الذي يقدم به شرائعَ الدينِ في أحسن صورة وبأيسر طريقٍ.

فإن كان الموقف يستدعي أسلوب اللين والرفق فهو أهم الأساليب وأولُها .

وإن كان يستدعي مخاطبة قوى العقل وتوجيهها للنظر في قدرة الخالق فإن الداعية يسلكه . وإن كان الموقف يستلزم إظهار القوة بالتعنيفِ والقسوة في المخاطبة لعدم جدوى اللين ، مع قدرة الداعية على أسلوب القوة بعد تقدير المصالح والمفاسد فحينئذٍ يجب استخدام القوة ، فإن آخر العلاج الكي . ومن خلال هذه النصوص التي سأعرضها يظهر هذا الأسلوب الدعوي :ـ

١ ـ روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن سلمة بن الأكوع ﷺ (١) قال :

---

(١) سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، صحابي جليل من أهل بيعة الرضوان . قال : بايعت رسول الله ﷺ على الموت ، وغزوت معه سبع غزوات . كان شجاعاً رامياً خيراً فاضلاً . استنقذ لقاح الرسول ﷺ في غزوة ذي قرد ، عندما طارد المشركين حتى استنقذها منهم ويقول في نفسه :

أنا ابن الأكوع ∴ واليوم يوم الرُّضَّع

قال فيه ﷺ : « **خير رجالتنا سلمة** » . رواه مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد ١٩٤/٥ مرجع سابق . مات سنة أربع وسبعين ، وقيل أربع وستين بالمدينة . وهو ابن ثمانين سنة . (انظر : الطبقات ابن سعد ٢٢٨/٤ ، أسد الغابة ابن الأثير ٤٢٣/٢ ، سير أعلام النبلاء الذهبي ٣٢٦/٣ ، مراجع سابقة) .

« أن رجلاً [1] أكل عند رسول الله ﷺ بشماله . فقال : كل بيمينك . قال : لا أستطيع . قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر . قال : فما رفعها إلى فيه » [2] .

الكبر داءٌ عضال ، حال بين الرجل وامتثال أمر الرسول ﷺ . فلم يعد لأسلوب اللين والرفق أدنى تأثير . فعَدل ﷺ إلى القوة القولية لأن الموقف يستدعيها ، ليعرف الرجل منزلته ومكانته ، فدعا عليه فشَلّت يمينه . وهذه العقوبة ونتيجتها الحسيّة يعلم بها الرجل عِظم خطيئته ، وستؤثر في نفسه إن وفقه الله ويترك هذا الخلقَ المذمومَ .

٢ ـ روى الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **أنَ أعرابياً أهدى لرسول الله ﷺ بكرةً [3] ، فعوّضه منها ستّ بكراتٍ فتسخطه [4] ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : إنَّ فلاناً أهدى إليَّ ناقةً فعوضتُهُ منها ستَّ بكراتٍ فَظَلَّ ساخطاً ، ولقد هممتُ أن لا أقبلَ هديةً إلا من قرشيٍّ أو أنصاريٍّ أو ثقفيٍّ أو دوسيٍّ** » [5] .

---

(١) الرجل هو بُسر بن راعي العير الأشجعي ، من قبيلة أشجع ديارها بين مكة والمدينة مما يلي المدينة ، عَدَّه أبو نعيم الأصبهاني وابن الأثير من الصحابة . وردَّ النووي ـ رحمه الله ـ على القاضي عياض ـ رحمه الله ـ وصفه بالنفاق ، لأن مجرد الكبر لا يقتضي النفاق ، لكنه معصية . (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٢/١٣ مرجع سابق) . (وانظر ترجمته في : أسد الغابة ابن الأثير ٢١٥/١ مرجع سابق ، معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق د / محمد راضي عثمان ١٣٢/٣ مكتبة الدار المدينة ، مكتبة الحرمين الرياض ط١ ١٤٠٨ هـ) .

(٢) صحيح مسلم كتاب الأشربة باب آداب الطعام والشراب ١٠٩/٦ مرجع سابق .

(٣) بَكْرَةَ : بفتح وسكون الأنثى الفتية من الإبل .

(٤) تَسخّطه : تكرّهه واستقلّ عطاءه . (انظر معاني ألفاظ الحديث في تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٤٤٤/١٠ مرجع سابق) .

(٥) سبق تخريجه ص ١٣٣ .

قَبِل الرسول ﷺ هدية الأعرابي ، ثمَّ ردّ بأحسن منها ترغيباً له في الإسلام . لكن عندما رأى تَسخُّطَ الأعرابي علانية ، واستجلى هدفه من الهدية وهو الاستكثار ، احتاج الموقف إلى إعلان [1] الرد العنيف أمام الملأ لِيُقَوِّم من خلاله الأخلاق الذميمة ويُبين أهمية سلامة الغايات والمقاصد التي يتعامل على أساسها المسلمون .

فالهدية غايتها استجلاب المحبة [2] والألفة ، وتتحقق الغاية إذا سَلِم المقصد ، أما إذا أريد بها غرضٌ من الدنيا فلا تُورِثُ إلا نفاقاً .

---

(١) في رواية أخرى للحديث عن أبي هريرة ﷺ : « ... **فسمعت رسول الله ﷺ على هذا المنبر يقول : ... ثمَّ ساق قول النبي ﷺ** ... » . نفس المرجع ٦٨٧/٥ .

(٢) قال ﷺ : « **تهادوا تحابُوا** » . (انظر : صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ ناصر الدين الألباني ٥٧٧/١ المكتب الإسلامي بيروت ط٢ ١٤٠٦ هـ) .

خلاصةُ هذا الفصل :.

عرضت لهذه الأساليب آخذاً بعضُها برقابِ بعض ، وفي ذلك تلميحٌ إلى التدرجِ الدعوي بدءاً بالأهم والأقوى تأثيراً في الأنفس ، والذي تقتضيه حكمة الدعوة إلى الله ، ونهجه أنبياء الله بوحي منه ، وهو اللين .

قال الله تعالى في نوح عليه السلام : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ (١) .

إنه تلطّف في خطابهم وسلك في دعوتهم سبيل اللين رأفةً بهم وشفقة عليهم من العذاب ، ومحبةً لهم (٢) .

وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً . يَـأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَـاتَّبِعْنِيَ أَهْـدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً . يَـأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَـنِ عَصِيّاً . يَأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَـنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِـي مَلِيّاً . قَـالَ سَلاَمٌ عَلَيْـكَ سَأَسْـتَغْفِرُ لَـكَ رَبِّـي إِنَّـهُ كَـانَ بِي حَفِيّاً** ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٩ .

(٢) انظر : منهج الأنبياء في الدعوة محمد سرور زين العابدين ٥٥/١ دار الأرقم برمنجهام ط٣ ١٤٠٨ هـ.

(٣) سورة مريم الآيات ٤١ ـ ٤٧ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٣٦ .

إن مما اتصف به إبراهيم الخليل عليه السلام اللين والرحمة لخلق الله [1] . وأي لين بعد هذا اللينِ . نداء بنداء الأبوة يصاحبه تودد وتلطُّف وشفقة عليه من العذاب . ويُقابلُ بالتهديد بالرجم ، ويكون الرد من إبراهيم عليه السلام : سلام عليك ، ويعده بالاستغفار له . وأيضاً بعد إنكار قومه يدعو ربه ليغفر لمن عصاه وأنكر دعوته .

وأمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يُلينا القول لفرعون أملاً في هدايته واستمالة قلبه إلى الإسلام . قال تعالى : ﴿ **فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لّيِّناً لّعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴾ [2] .

ووهب الله اللين نبينا محمداً ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُتَوَكّلِينَ** ﴾ [3] .

فباللين تُستجلب النفوس النافرة ، وتُعطف إلى الحق ، ويُنال باللين ما لا يُنال بالعنف . ثمَّ إن أنفس العرب تطبعت على حبِّ المفاخرة ، واعتادوا في نواديهم وأسواقهم عدَّ مفاخرهم وآثارَ آبائهم وأجدادهم . ولم يهمل الرسول ﷺ هذا الأمر ، بل اتخذ المدح والثناء أسلوباً من أساليب دعوته للأعراب ، فجعل يستثير حميتهم بالثناء والمدح بكل صفة محمودة يتصفون بها . فكان هذا الأسلوب معادلاً لأسلوب اللين أولا يفوقه كثيراً .

---

(١) انظر : إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن أحمد الأميري ص ١٥٣ مرجع سابق .

(٢) سورة طه الآية ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

فإن لم يجد هذان الأسلوبانِ فإن هناك مؤثراتٍ خارجية تتوق لها النفس البشرية وهي حب الوجاهة والزعامة ، وشهوة المال ، وهما أسلوبان مؤثران لم يغفلهما الرسول ﷺ في دعوته للأعراب فجعل منهم الأمير حسب ما تقتضيه ظروف الزمان والمكان ، وبعد تقدير المصالح والمفاسد المترتبة على هذه الإمارة . ووهب ﷺ المال يتألف به النفوس الجشعة خاصة ، ولأهل الحاجة عامة .

ثمَّ بعد ذلك فإنَّ التجاوز عن الزلة وإقالة العثرة فضل ومعروف لا ينساه مَن أقيلت عثرته وغفرت له زلته وهو أسلوب ذو تأثير بالغ استعمله الرسول ﷺ في دعوته للأعراب .

ثمَّ إنه يطرأ على الإنسان حالةُ الغضبِ ، أو تكونُ الحِدَّةُ والقسوةُ من صفاته ، فإنَّ لها علاجاً خاصاً استعمله الرسول ﷺ يمتص به فوران الإنسان ثمَّ يُملي عليه فكرته فلا يجد بداً من قبولها .

وإذا لم تجد هذه الأساليب المتتابعة أو لا يقتضي المقام استعمالها أو بعضها فإن آخر العلاج الكي ، ومنع وقوع المنكر واجب ولو بالقوةِ باليدِ أو باللسان .

فإن هذه الأساليب جاءت مرتبةً من الأهم الأقوى تأثيراً إلى الأقل أهمية وتأثيراً والأضيق استعمالاً .

الفصلُ الرابعُ
دوافعُ الاستجابةِ والإنكارِ عند الأعرابِ
في العهدِ النبوي وآثار دعوة النبي ﷺ لهم

ـ تمهيـــــــدٌ .

وفيه : تعريفُ الدوافع ، والاستجابةِ ، والإنكارِ

ـ المبحثُ الأولُ :

دوافعُ الاستجابةِ عندَ الأعرابِ .

ـ المبحثُ الثاني :

دوافعُ الإنكارِ عندَ الأعرابِ .

ـ المبحثُ الثالث :

آثارُ دعوةِ النبيِ ﷺ للأعرابِ.

تمهيــــدٌ :ـ

أولاً : تعريـفُ الدوافـعِ .

١ ـ تعريفُ الدافعِ في اللغة :ـ

بالعودة إلى معاجم اللغة العربية والبحث في معنى الدافع نجد عِدَّة معانٍ منها :ـ

الدَفع : الإزالة بقوة .

والاندفاع : المضيُ في الأمر .

اندفع الفرس : أسرع في سيره .

الدُّفْعَةُ : ما دُفِعَ وانصب من سقاءٍ أو إناءٍ بمرة .

الدَّافِع : الشاة أو الناقة التي تدفع اللبأ في ضرعها قبيل الإنتاج .

الدَّوافع : أسافل المِيث حيث تَدفع فيه الأودية .

وتَدَفَّع السيل ، وتدافع : أي دفع بعضه بعضاً .

اندَفَع في الحديث : أي أفاض فيه .

الدافِعة : التلعة من مسائل الماء تدفع في تلعة أخرى ، إذا جرى في صبب وحدور ، ثمَّ تجمَّع في المكان المنبسط .

وجمعها : دوافع [١] .

دَفَعَ : الدال والفاء والعين : أصل واحد مشهور ، يدل على تنحية الشيء [٢] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة الأزهري ٢/٢٢٦ ـ ٢٢٨ ، لسان العرب ابن منظور (مادة دَفَعَ) ٨/٨٧ ـ ٨٩ ، تاج العروس الزبيدي ٢٠/٥٥٣ ـ ٥٥٨ (مادة دفع) مراجع سابقة) .

(٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس (مادة دفع) ٢/٢٨٨ مرجع سابق .

٢ ـ تعريفُ الدافعِ في الدراساتِ النفسيةِ والاجتماعيةِ : ـ

يُعرّف الدكتورُ / أحمدُ راجح ، الدافعَ على أنه : حالـة داخلية جسمية أو نفسية تثير السلوك في ظروف معينة وتواصله حتى ينتهي إلى غاية معينة (١) .

ثمَّ يقسمها إلى قسمين : دوافع فطرية ، وهي : ما تنتقل عن طريق الوراثة فلا يحتاج الفرد إلى تعلّمه واكتسابه .

ودوافع مكتسبة ، وهي : كل ما ينجم عن تغيير الفطرية وتعديلها عن طريق النشاط التلقائي للفرد ، أو عن طريق الخبرة والممارسة والتدريب ، فالجوع والعطش دوافع فطرية ، وعاطفة الشفقة أو الشعور بالنقص دوافع مكتسبة (٢) .

ويعرّفه الدكتور / أحمد زكي صالح ، قائلاً : هو أي عامل داخلي في الكائن الحي يدفعه إلى عمل معين والاستمرار في هذا العمل مدّة معينة من الزمن حتى يشبع هذا الدافع (٣) .

ويعرّفه الأستاذ / علي محمد عبدالوهاب ، على أنه : عبارة عن حاجة ناقصة تتطلب الإشباع ، ويظل الفرد متوتراً حتى يشبع هذه الحاجة بدرجة معينة ، فإذا أشبعت الحاجة التي يسعى إليها الإنسان عاد التوازن الجسمي أو الاجتماعي أو الروحي إلي ما كان عليه ، أو إلى درجة أعلى أو أقل مما كان عليه (٤) .

ويعرّفه الدكتور / محمد عثمان نجاتي على أنه : القوة المحركة التي تبعث النشاط في

---

(١) أصول علم النفس د / أحمد راجح ص ٧٣ المكتب المصري الحديث الإسكندرية .

(٢) نفس المرجع ص ٨٥ .

(٣) علم النفس التربوي د / أحمد زكي صالح ص ٧٩١ مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

(٤) مقدمة في الإدارة علي محمد عبدالوهاب ص ١٣٩ . نشر معهد الإدارة العامة الرياض ١٤٠٣ هـ .

الكائن الحي وتبدئ السلوك وتوجهه نحو هدف أو أهداف معينة [1] .

أما الأستاذ / محمد قطب ، فيقول : الدوافع كلها يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي : حبُ الحياةِ [2] .

والذي أرى أن هذه التعريفات تتوافق فيه ، أن الدافع : حالة أو حدث جسمي أو نفسي يظل ثائراً حتى يُشبع .

إلا أنه هناك ألفاظ أخرى تتداخل معانيها مع معنى الدافع ، منها : الباعث ، والحافز ، والحاجة [3] .

ويؤيد الدكتور / عبدالعزيز النغيمشي تعريف الأستاذ / علي محمد عبدالوهاب لدقته وشموله ووضوح النظرة الإسلامية فيه لإشارته إلى الجانب الروحي [4] .

وعند تأمل هذه التعريفات اللغوية والنفسية نجد تبايناً واضحاً . إلا أنني أقول : إذا كان من معاني الاندفاع : المضي في الأمر . والدافع كما يقول أصحاب الدراسات النفسية حالة داخلية جسمية أو نفسية . فهذه الحالة هي التي تدفع الإنسان ليقدم على الأمر أو يعرض عنه .

ـ وفي محاولة للوصول إلى تعريف تنبني عليه أهداف هذا البحث ، فإنني أقول :

---

(١) القرآن وعلم النفس د / محمد عثمان نجاتي ص ٢٥ دار الشروق بيروت ط٢ ١٤٠٥ هـ .

(٢) انظر : دراسات في النفس الإنسانية محمد قطب ص ١٦٢ دار الشروق بيروت ط٦ ١٤٠٣ هـ .

(٣) انظر : علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام د / محمد محمود محمد ص ١٣٤ دار الشروق جدة ط١ ١٤٠٥ هـ .

(٤) انظر : علم النفس الدعوي د / عبدالعزيز النغيمشي ص ٦٧ ـ ٦٨ دار المسلم الرياض ط١ ١٤١٥ هـ

إن الدوافع : ـ

هي : الطباع الفطرية أو الخُلُقية أو الاجتماعية المستقرة في الإنسان تدفعه إلى الخير أو تمنعه عنه [1] .

ثانياً : تعريف الاستجابة : ـ

الاستجابة في اللغة : ـ

جَوَب : من أصولها ، مراجعة الكلام ، يقال كلّمه فأجابه جواباً [2] .

الإجابة : رجع الكلام وترديده .

والإجابة والاستجابة بمعنى واحد ، يُقال : استجاب الله دعاءه . ويقال : استجاب له .

الأجْوب : الأسرع طاعةً وإجابة ، ومنها قول الرجل : يا رسول الله أي الليل أجوب دعوة ؟ [3] [4] .

---

(١) أعني بالفطرية : النوع من الجبلّة والطبع المتهيئ لقبول الدين إذا لم تعترضه آفات . (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٤٥٧/٣ مرجع سابق) . ويعني أهل الدراسات النفسية بالفطرية : ما ينتقل عن طريق الوراثة ولا يحتاج إلى تعلم أو اكتساب كالحاجة للطعام ، والجوع ، وحفظ الذات ... ويسمى بالفسيولوجية .

وأعني بالخُلُقية : ما يتصف به الإنسان من صفات محمودة ، كالكرم ، والشجاعة ، وحفظ الجوار ... ، وصفات مذمومة كالحسد ، والحقد ، والكبر ...

وأعني بالاجتماعية : العادات والتقاليد والأعراف والتكوين الأسري والقبلي والمفاخرة بالأنساب والأحساب ، والتعلق بالموروثات التي أملتها حياة المجتمع على أفراده .

(٢) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٤٩١/١ (باب الجيم والواو وما يثلثهما) مرجع سابق .

(٣) مسند الإمام أحمد ٣٨٧/٤ مرجع سابق .

(٤) انظر : تهذيب اللغة الأزهري ٢١٨/١١ (مادة جاب) ، لسان العرب ابن منظور ٢٨٣/١ =

الاستجابة في القرآن الكريم :-

ورد لفظ الاستجابة في القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة منها :-

قول الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (١) . فليستجيبوا لي : أي فليطيعوا لي ، والاستجابة : الطاعة (٢) . وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (٣) . أي الذين سارعوا بطاعة الرسول ﷺ واستجابوا لندائه فخرجوا وكلومهم تدمى في أثر المشركين . وقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (٤) . دعوتكم فاستجبتم لي : أي أطعتموني (٥) .

ومن خلال استعراض معاني الاستجابة في اللغة والقرآن الكريم ، فإن معناها الدعوي :-

هو : سرعة قبول دعوة الرسول ﷺ وطاعته .

=

٢٨٦ (مادة جوب) ، تاج العروس الزبيدي ٢٠٥/٢ (مادة جوب) مراجع سابقة .

(١) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

(٢) انظر : جامع البيان الطبري ١٦٦/٢ مرجع سابق .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٢ .

(٤) سورة إبراهيم الآية ٢٢ .

(٥) انظر : جامع البيان الطبري ٤٣٦/٧ .

أما معنى دوافع الاستجابة عند الأعراب : ـ

فهي الطباع الفطرية أو الخُلُقية أو الاجتماعية التي دفعت الأعرابي إلى قبول دعوة الرسول ﷺ والاستجابة له وطاعته .

ثالثاً : ـ تعريف الإنكار

الإنكار في اللغة : ـ

ورد بمعانٍ كثيرة منها : ـ

نكر : النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب . **ونَكِرَ الشيء وأنكره** : لم يقبله قلبه و لم يعترف به لسانه .

الإنكار : خلاف الاعتراف [١] .

الإنكار : الجُحود [٢] .

المُنَاكَرَة : المحاربة والمعاداة [٣] .

التنكُّر : التغير عن حال تسرك إلى حالٍ تكرهها [٤] .

فنجد أن من معانيها : الجُحود ، المحاربة والمعاداة ، عدم القبول والاعتراف ، الكراهية .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٤٧٦/٥ باب النون والكاف وما يثلثهما مرجع سابق .

(٢) تاج العروس الزبيدي ٢٩١/١٤ (مادة نكر) مرجع سابق .

(٣) لسان العرب ابن منظور ٢٣٣/٥ (مادة نكر) مرجع سابق .

(٤) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٦٢٧ (مادة نكر) مرجع سابق .

الإنكارُ في القرآن الكريم :-

ورد في القرآن الكريم كثيراً وبمعان مختلفة ، منهـا مـا يوافـق معناهـا اللغـوي : أي الجحود والتكذيب [1] ، وذلك في قوله تعـالى : ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ [2] .

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : في هذه النعمة قولان :

الأول : أنها المساكنُ نعمَ الله عليهم في الدنيا وفي إنكارها ثلاثة أقوال : أحدهـا : قولهم : ورثناها عن آبائنا ، وثانيها : قولهم : لولا فلانٌ لكان كذا ؛ فهذا إنكـارهم ، وثالثها : يعرفون أن النعمَ من اللهِ فيقولون هذه بشفاعةِ آلهتنا .

الثاني : المراد بالنعمةِ هاهنا : محمدٌ ﷺ ؛ يعرفون أنه نبيٌّ ثمَّ يكذّبونَه [3] .

وذكر السيوطي - رحمه الله - في التفسير (عـن مجـاهد أن أعرابيـاً أتـى النبيَ ﷺ فسأله ؟ فقرأ عليه رسـول الله ﷺ ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً** ﴾ . قـال الأعرابي : نعم . قال : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا** ﴾ . قـال الأعرابي : نعم ، ثمَّ قرأ عليه ، كل ذلك يقول : نعم ، حتى بلغ ﴿ **كَذَلِكَ يُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** ﴾ . فـولى الأعرابـي ، فـأنزل الله ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾)[4] .

---

(١) انظر : جـامع البيـان الطـبري ٦٢٩/٧ ، تيسـير الكريـم الرحمـن في تفسـير كـلام المنـان ابـن سـعدي ٢٢٧/٤ مرجعين سابقين .

(٢) سورة النحل الآية ٨٣ .

(٣) انظر : زاد المسير ابن الجوزي ٤٧٨/٤ - ٤٧٩ مرجع سابق .

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٢٣٨/٤ مرجع سابق .

معنى دوافع الإنكار : ـ

يقول عبدالرحمن الملاحي : (هي ما يضطر الإنسان إلى جحود الحق ورده ومحاربته) [1] .

ومن خلال الجمع بين المعاني اللغوية ، والمعاني الواردة في القرآن الكريم ، ومعنى دوافع الإنكارِ كما ذكرها الشيخ / عبدُالرحمن الملاحيُ استخلص : **معنى دوافع الإنكار عند الأعراب** فأقول : ـ

هي : الطباع الخُلُقية أو الاجتماعية التي تدفع الأعرابي إلى جحود الحق ورده ومحاربته وتكذيب الرسول ﷺ .

وسيأتي ـ بإذن الله تعالى ـ نماذجُ من دوافعِ الاستجابةِ والإنكارِ عند الأعراب ، والتي يؤيدُها الدليلُ الخاصُّ ـ كما أخذتُ على نفسي ـ فقد أتركُ دافعاً أرى أنه من الدوافعِ التي كان لها الأثرُ في الاستجابةِ أو الإنكارِ لأنني لم أعثر على دليلٍ أو موقفٍ خاصٍ مباشرٍ يؤيدُه ، فضربتُ عنه صَفْحاً حتى لا أخرجَ عن الطريقةِ العلميةِ التي انتهجتُها .

---

(١) دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي عبدالرحمن الملاحي ص ١٤٩ رسالة ماجستير مطبوعة دار عالم الكتب الرياض ط١ ١٤١٤ هـ .

المبحثُ الأول :.

دوافعُ الاســـــتجابةِ عند الأعراب .

وفيه ثلاثةُ مطالبَ

المطلبُ الأولُ :.

دوافعُ فطريةٌ

المطلبُ الثاني :.

دوافعُ اجتماعيةٌ

المطلبُ الثالثُ :.

دوافعُ خُلُقيةٌ

المطلبُ الأولُ :.

الدافعُ الفطريُ

الفطـرةُ :

هي : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به [1] .

فالبشر مفطورون على التوحيد ومعرفة الله . وانحراف النفس طارئ على الفطرة ، فإذا انحرفت النفس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المناسب لهذه الفطرة . قال الله تعالى : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [2] .

جعل الله عقول البشر وأنفسهم مهَيأة لقبول الحق واستحسانه ، والإعراض عن الشر واستقباحه ، ووضع في قلوبهم محبة الحق وإيثاره ، وهذه حقيقة الفطرة ، فإن أعرضت النفس عن الحق فإن ذلك بسبب عارض عَرَض على الفطرة فأفسدها [3] .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **أنَّ رسول الله ﷺ قال : كل إنسان تلدُهُ أُمه على الفطرة ، وأبواه بعد يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، فإن كانا مسلمين فمسلم** » [4] .

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٥٦/٥ (مادة فطر) وانظر : التحرير والتنوير ابن عاشور ٩٠/١٠ مرجعين سابقين .

(٢) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٣) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ابن سعدي ١٢٦/٦ مرجع سابق .

(٤) صحيح مسلم كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٥٣/٨ مرجع سابق .

ذكر النووي ـ رحمه الله ـ أقوال العلماء في الفطرة فقال : (قيل : هي ما أُخذ عليهم في أصلاب آبائهم ، وأن الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين ، وقيل : هي ما هُيئ له ، وقيل : إن كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به ، والأصح أن معناه : أن كل مولود يولد مُتهيئاً للإسلام فمن كان أبواه مسلمين استمر على الإسلام ، وإن كانا كافرين جرى عليه حكمهما) [1] .

فالفطرة : هي النوع من الجِبِلَّة والطبع المُتهيئ لقبول الدين إذا لم تعترضه آفة [2] .

فإن فطرة الأعرابي بعيدةٌ عن الآفات والأعراض ، إذا قورنت بغيرها من فِطَر البشر التي عرضت لها الفلسفة والمنطق والعلوم المنحرفة والديانات المُحرّفة فعكّرت صفوها ، ودنستْها [3] .

إن الأعرابي بطبيعته وبدائية حياته ، سليم الفطرة ، مهيأٌ لقبول الحق ، لذلك كانت هذه الفطرة دافعاً أساسياً من دوافع الاستجابة لدعوة الإسلام ، إنها مجرد أدلة وشواهد يطلبها الأعرابي من الرسول ﷺ يستدل بها على صدق النبوة وبمجرد عرضِ الرسول ﷺ عليه الدعوةَ يعلنُ الإسلام والبراءة من الشرك .

وهذه بعض الأدلة والشواهد التي طلبها بعض الأعراب من الرسول ﷺ :

١ ـ الاستماع إلى شيء من القرآن أو الأمور التي يدعو إليها الإسلام .

قالت بنو شيبان للرسول ﷺ : إلى ما تدعو يا أخا قريش ؟ فقرأ عليهم القرآن . فقال مفروق : والله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ثمَّ أخبرهم الرسول ﷺ أن

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٢٠٨ مرجع سابق .

(٢) النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣/٤٥٧ مرجع سابق .

(٣) انظر : ص ٣٤٦ .

الإسلام يدعو إلى الصلة وبر الوالدين والعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والظلم والبغي . فقال مفروق : دعوت والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفِكَ قومٌ كذّبوك [1] .

إن أوامر الدين ونواهيه وآدابه توافقت مع مكارم الأخلاق التي يتصفون بها ، ويتبارون في نيلها ، فتحركت فطرتهم السليمة ووعدوا الرسول ﷺ خيراً ، ولم يؤذوه ودخلوا في الإسلام .

٢ ـ الإقسامُ على الرسولِ ﷺ أنه صادقٌ .

وَفَدَ ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه على الرسول ﷺ واستحلفه بالله : آلله أرسلك ؟ ، واستحلفه على شرائع الإسلام ثمَّ يقبلها على الفور ، وأقسم أن يأتي بها وقال : آمنت بما جئت به [2] .

إن الفطرة السليمة لم تتجاوز هذا الطلب اليسير .

٣ ـ تَفرُّس صفات الرسول ﷺ الخَلْقية التي تدل على صدقة .

روى الإمام أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن الحارث بن عمرو السهمي رضي الله عنه [3] قال : « **أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى ، أو بعرفات ، وقد أطاف به الناس ،**

---

(١) انظر قصة عرض الرسول ﷺ نفسه على بني شيبان ص ١٥٢ ـ ١٥٧ .

(٢) انظر قصة وفادة ضمام على الرسول ﷺ ص ٧٨ ـ ٧٩ .

(٣) الحارث بن عمرو بن الحارث السهمي ، صحابي ، روى هذا الحديث ، وقيل روى حديثاً آخر في الاستغفار . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/٢٨٥ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ١٤٧ مرجعين سابقين) .

قال : فتجيء الأعراب ، فإذا رأوا وجهه قالوا : هذا وجه مبارك » [1] .

إن مجرد نظراتهم إلى ملامحِ الرسول ﷺ كافيةٌ لهم في تصديقه . وفي قصة أم معبد [2] ما يؤيد ذلك أيضاً ، فقد مرّ بها الرسول ﷺ وهي تجلس في خيمتها ودارت بينهما هذه المحادثة (سألها هل عندها شيء ؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القِرى [3] ، والشاء عازب [4] ، وكانت سنة شهباء [5] ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر [6] الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلّفها الجَهْد [7] عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهدُ من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم ، بأبي وأمي إن رأيت بها حَلْباً فاحلبها ، فمسح رسول الله ﷺ بيده ضَرْعَها ، وسمّى الله ودعا ، فتفاجّت [8] عليه ،

---

(١) سنن أبي داود كتاب المناسك باب المواقيت ١٤٤/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣٢٧/١ مرجعين سابقين .

(٢) عاتكة بنت خالد الخزاعية ، من بني كعب ، مشهورة بأم معبد ، كانت تجلس على الطريق وتسقي وتطعم ، وكان منها ما كان مع النبي ﷺ ، ما شعرت قريش باتجاه الرسول ﷺ إلا عندما سمعوا صوتاً بأعلى مكة تتبعه العبيد والصبيان ولا يرون شخصه يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه ∴ رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به ∴ فقد فاز من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(انظر الإصابة ابن حجر ٤٧٤/٤ مرجع سابق) .

(٣) القِرى : الضيافة .

(٤) الشاء عازب : أي بعيدة المرعى .

(٥) سنة شهباء : أي مجدبة .

(٦) كسر الخيمة : جانبها .

(٧) الجَهْد : الضعف والهزال .

(٨) تفاجّت : فرجت ما بين رجليها .

ودرَّت [١] فدعا بإناء لها يُربِضُ الرَّهط [٢] ، فحلب فيه حتى عَلَتْه الرَّغوة ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رَووا ، ثمَّ شرب ، وحلب فيه ثانياً ، حتى ملأ الإناء ، ثمَّ غادره عندها ، فارتحلوا ، فقلما لَبِثَت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً ، يتساوكن [٣] هزالاً لا نِقي بهن [٤] ، فلما رأى اللبن عَجِبَ ، فقال : من أين لك هذا ، والشاة عازب ؟ ولا حَلُوبة في البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجلٌ مبارك كان من حديثه كيت وكيت ومِن حاله كذا وكذا . قال : والله إني لأُراه صاحب قريش الذي تطلُبه ، صِفيه لي يا أم معبد ، قالت : ظاهر الوضاءة ، أبلجُ الوجه [٥] ، حَسَنُ الخَلْق ، لم تُعبه ثُجْلَة [٦] ، ولم تُزر به صُعْلَة [٧] ، وسيم قسيم [٨] ، في عينيه دَعَج [٩] ، وفي أشفاره وَطَف [١٠] ، وفي صوته صَحَل ، وفي عُنُقِه سَطَعٌ ، أحور [١١] ، أكحل ، أزج ، أقرن [١٢] ، شديد سواد الشعر ، إذا

---

(١) درَّت : امتلأ ضرعها باللبن .

(٢) يُربض الرهط : يرويهم ويثقلهم حتى لا يستطيعوا القيام من كثرة شربهم .

(٣) يتساوكن : يتمايلن من شدة ضعفهن .

(٤) النِقي : مخ العظم ، أي لا مخ في عظامهن لهزالهن .

(٥) أبلج الوجه : مشرق الوجه ومضيئه .

(٦) ثُجْلَة : صخامة البطن .

(٧) صُعْلة : صغر الرأس .

(٨) وسيم قسيم : حَسَنٌ وضيء .

(٩) دَعَج : سواد العين .

(١٠) وَطَف : الأشفار : أجفان العين ، أي في شعر أجفانه طول .

(١١) أحور : شديد سواد العين في شدة بياضها .

(١٢) أزجّ أقرن : أي حاجباه طويلان ومقوسان ومتصلان .

صمت علاه الوقار ، وإن تكلم ، علاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاهم مِن بعيد ، وأحسنُه وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصلٌ لا نزرٌ ولا هذر ، كأن منطقه خرزاتُ نَظمٍ يتحدَّرن ، ربعة ، لا تقتحمُه عينٌ مِن قِصر (١) ، ولا تشنؤُه مِن طول ، غصنٌ بين غصنين ، فهو أنضرُ الثلاثة منظراً ، وأحسنُهم قدراً ، له رفقاء يحفُّون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإذا أمر تبادروا إلى أمره ، محفودٌ محشود (٢) ، لا عابسٌ ولا مُفْنِد (٣) ، فقال أبو معبد : والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ، لقد هممتُ أن أصحَبه ولأفعلنَّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً) (٤) .

بهذا الوصف البليغ وصفته أم معبد ، وتفرَّست فيه الخير ، وقالت : إنه رجلٌ مبارك ، ودفعها ذلك إلى الإسلام . ذكر ابن كثير في رواية : أنها قدمت المدينة مع ابن لها ، فوجدت أبا بكر ﷺ فقالت : أين الرجل المبارك الذي كان معك ؟ قال : أما عرفتيه بعد . قالت : لا . قال إنه النبي ﷺ ، فقالت خذني إليه . فأدخلها ﷺ

---

(١) لا تقتحمه عين من قِصَر : أي ليس بالطويل البائن ، ولا القصير ، ربعة .

(٢) محفودٌ محشود : المحفود : المخدوم ، المحشود : الذي يجتمع إليه الناس ، أي : عنده جماعة من أصحابه يخدمونه ويطيعونه .

(٣) لا عابسٌ ولا مُفْنِد : غير عابس الوجه ولا كثير اللوم لأصحابه .

(٤) زاد المعاد ابن القيم ٥٥/٣ ، البداية والنهاية ابن كثير ١٩٠/٣ ، وفي تعليقات محققي المرجعين معاني الألفاظ الغريبة .

وقال ابن كثير : قصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً .

وقد أخرجها الحاكم في المستدرك ٩/٣ ـ ١٠ وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الشيخان شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط في حاشية زاد المعاد ٥٧/٣ : حديث حسن ، وقال د / مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص٢٨١ (الخلاصة إن القصة تتقوى إلى درجة الحسن لغيره لكثرة طرقها وشواهدها) .

وأطعمها وكساها وأسلمت ، وأهدت لرسول الله ﷺ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب [1] .

إنها الفطرة السليمة ، والفراسة القوية ، التي رأت صفات الخير والنبوة في الرسول ﷺ ، فبادرت إلى الإسلام .

٤ ـ طلبُ معجزةٍ حسيّةٍ

روى الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك نبيٌّ ؟ قال : إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة ، تشهد أني رسول الله ﷺ ، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثمَّ قال : ارجع ، فعاد ، فأسلم الأعرابي** » [2] .

مثل هذه المعجزات إذا عُرِضت على المعاندين من قريش اتهموا الرسول ﷺ بالسحر ، والكهانة . أما هذا الأعرابي سليم الفطرة ، لم يتجاوز هذه المعجزة ، وبادر بإسلامه .

---

(١) انظر : البداية والنهاية ابن كثير ٣/١٩٠ وقال : إسناد حسن مرجع سابق .

(٢) جامع الترمذي أبواب المناقب باب ما جاء في نبوة النبي ﷺ ٥/٥٥٤ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/١٩٣ مرجعين سابقين ، وقد سبق ص ٨٨ .

المطلبُ الثاني :.

الدوافعُ الاجتماعيةُ

إنَّ مما لا يختلف عليه اثنان أن الفرد مُتأثرٌ سلباً وإيجاباً بمجتمعه الذي يعيش فيه ، مكتسبٌ لعاداته وأعرافه وقيمه وطريقة معيشته .

ومع أن المجتمعات تتابين من حيث القوة والضعف ، والغِنى والفقر ، والبداوة والحضارة ، إلا أن هذا التباين يحمل في داخله معايير وضوابط يتأثر بها أفراده . ولا يخلو أي مجتمع كان من معايير وضوابط اجتماعية صالحة أو لا تحتاج إلى كثير جُهد لاستصلاحها .

والمجتمع البدوي أملت عليه الظروف البيئية والمعيشية أن يتعلق بالضوابطِ والمعاييرِ الاجتماعية التي توارثتها القبيلةُ أباً عن جد . لكن كان لبعض هذه الضوابط والمعايير الدور البارز في دفعه إلى الإسلام وقبول الحق .

وهذه بعض دوافع الاستجابة الاجتماعية عند الأعراب

١ ـ دافعُ الانتماءِ : ـ

كانت القبائل العربية تعيش في الجاهلية في حالات حروب مستمرة فيما بينها ، وغاراتٍ . وسلبية هذه الأمور أورثت أمراً آخرَ لا يخلو من الإيجابية وهو حب الانتماء للقبيلة ، فكان أفراد القبيلة أكثر التصاقاً ببعضهم ، يثأرون للواحد منهم ، ويتفاخرون بانتمائهم إلى قبيلتهم ، وهذا مما أدى إلى قوة الترابط الأسري والقبلي .

والترابط الأسري أمرٌ طيب جاء به الإسلام بضوابط شرعية ، بحيث لا يؤدي هذا الترابطَ إلى فخرٍ أو استعلاء أو انتقاص للآخرين فلا تفاضُلَ إلا بالتقوى .

فكان مما أمر به الإسلامُ صلةَ الأرحامِ ، وبر الوالدين ، وحق الجوار ...

و لم يهمل الرسول ﷺ هذا الدافع فكان يقول للوافد : « **ممن أنت ؟** » . ويقول للوفود : « **ممن القومُ ؟** » . ويَذْكُرهم بما هم أهل له ، فيدفعهم ذلك إلى الإسلام .

روى ابن سعد قصة وفد بلي عن رويفع بن ثابت البلوي قال : « **قدم وفد قومي في شهر ربيع الأول سنة تسع فأنزلتهم في منزلي ، ثمَّ خرّجتهم حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ ، فأسلموا ، ثمَّ رجعت بهم إلى منزلي ، فإذا رسول الله ﷺ يأتي بحمل تمر يقول : استعن بهذا التمر ، قال : فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقامُوا ثلاثاً ، ثمَّ جاءوا رسول الله ﷺ يودعونه ، فأمر لهم بجوائز ، ثمَّ رجعوا إلى بلادهم** » . وفي رواية ابن سيد الناس « **قال ﷺ لرويفع : مرحباً بك وبقومك** » [1] .

هؤلاء القوم نزلوا على ابن قبيلتهم قبل مجيئهم للرسول ﷺ ، ربما لاستقصاء خبر الرسول ﷺ والإسرار لرويفع بن ثابت البلوي ﷺ بما في أنفسهم ، وحتى يُعرِّف بهم . فجاء بهم إلى الرسول ﷺ قائلاً : هؤلاء قومي . فأقرَّ النبي ﷺ هذا الانتماء بقوله : « **مرحباً بك وبقومك** » . ثمَّ أمره بالبقاء على استضافتهم وأعانه عليها ، وبقوا ثلاثاً يتعلمون الإسلام ويسألون الرسول ﷺ .

ومن أقوى الأدلة على هذا الدافع ومدى تأثيره ما فعله الرسول ﷺ يوم الفتح حيث جعل لكل قبيلة من قبائل الأعراب راية وقائداً من أنفسهم ، فدفع راية لغفار ، وراية لجهينة ، وراية لمزينة ، وراية لأشجع ، وراية لأسلم ، والعباس بن مرداس يحمل

---

(١) سبق تخريج قصة الوفد ص ٢٠٧ .

لواء بني سليم . فقد قالت بنو سُليم : اجعلنا في مقدمتك واجعل لواءنا أحمر ، وشعارنا مقدم ، ففعل ذلك بهم [1] ، فأبلوا معه في الفتح وحنين والطائف . ولا شك أن استجابة الرسول ﷺ لطلبهم ، وجعلهم في المقدمة كان دافعاً لهم في الثبات على الإسلام .

٢ ـ دافعُ التقديرِ الاجتماعيُّ : ـ

إن مما ينشده الفرد بطبيعته أن يكون له مكانة اجتماعية بارزة يُعرف بها ، وكذلك الأسرة والمجتمع . فالحصول على منصب قيادي ، أو مبلغ من المال ، أو المدح بصفة يتصف بها ، كل ذلك يُشعر الفرد أو الجماعة بمكانتهم ، وهذا التقدير وحُسن المعاملة يدفعهم إلى قبول الحق .

والأعراب حُبِبَ إليهم الظهورُ ، وإبرازُ المكانةِ ، فقد قال الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري للرسول ﷺ : اجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا ، وكاد أن يكتب لهم كتاباً على ذلك ، فمنعه ربه ، لأنهم أرادوا من ذلك الاستعلاء وانتقاص الآخرين [2] .

أما إبراز المكانة ، وإنزال الناس منازلهم ، من غير فخر ولا استعلاء ، فإنه مما جاء به الرسول ﷺ ودعا إليه ، فكان دافعاً من دوافع استجابة الناس للدعوة . روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ « **مرَّ بها سائلٌ فأعطته كسرة ، ومرَّ بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل ، فقيل لها في ذلك .**

---

(١) انظر : الطبقات ابن سعد ٢٣٤/١ مرجع سابق .

(٢) سيأتي تخريج القصة ص ٣٣٩ .

فقالت : قال رسول الله ﷺ : أنزلوا الناس منازلهم » [1] .

وقد أظهر الرسول ﷺ التقدير لوفد هوازن [2] ، وأقال عثرتهم ، وأنزلهم منزلتهم ، عندما قالوا : إنّا أصل وعشيرة ـ أي أصلٌ من أصول العرب ، وقبيلة من قبائلهم ـ [3] ، وخيّرهم بين أموالهم وأبنائهم ونسائهم . فقالوا : نختار أحسابنا ، يعنون : الأبناء والنساء ، فردَّ لهم نساءهم وأبناءهم ، فحسُن إسلامهم ، وقاتلوا القبائل حول الطائف حتى أتوا مسلمين ، فكان هذا التقدير الاجتماعي دافعاً لهم في الدخول في الإسلام .

روى البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن مروان بن الحكم ﷺ قال : « **أن رسول الله ﷺ قال حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ : أحبَّ الحديث إليَّ أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ، وقد كنت استأنيت بهم ، وقد كان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم**

---

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم ٢٦٢/٢ مرجع سابق .
قال أبو داود في من روى عن عائشة وهو ميمون بن أبي شبيب أنه لم يدرك عائشة ، وقال ابن الصلاح : فيما قاله أبو داود نظر ، فإنه كوفي متقدم أدرك المغيرة بن شعبة . ومات المغيرة قبل عائشة . وعند مسلم : التعاصر مع إمكان التلاقي كافٍ في ثبوت الإدراك ، فلو ورد عن ميمون أنه قال : لم ألق عائشة استقام لأبي داود الجزم بعدم إدراكه ، وهيهات ذلك . (انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ١٩١/١٣ مرجع سابق) .

(٢) هوازن : قبيلة كبيرة تنسب إلى منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر من العدنانية ، كانوا ينزلون أعالي نجد ، من أوديتهم حنين . هزم المسلمون جموعهم في حنين ، وكان قائدهم مالك بن عوف . (انظر : معجم قبائل العرب كحالة ١٢٣١/٣ مرجع سابق) .

(٣) انظر : شرح السيوطي على سنن النسائي ٢٦٢/٦ مرجع سابق .

أن رسول الله ﷺ غيرُ رادٍ إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فإنا نختــار سبينا . فقام رسول الله ﷺ في المسلمين . فأثنى على الله بما هو أهله ثمَّ قال : أما بعد . فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤنا تائبين وإني قد رأيت أن أردَّ إليهـم سبيهم ، من أحب أن يُطيِّب فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يُفيء الله علينا فليفعل . فقال الناس : قد طيّبنا ذلك يا رسول الله » [1].

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٤ .

المطلبُ الثالثُ :.

دوافعُ أخلاقيةٌ

لا ينكرُ منصفٌ أخلاق العرب الحميدة في الجاهلية ، كالكرم ، والشجاعة ، والسخاء ، والصدق ، والحلم ، والحميّة ، والنصرة ، وإباء الذل ... وغيرها . هذه الصفات أقرّها الإسلام بضوابط شرعية . وهي التي جعلتهم مهيئين لقبول الإسلام لأنه يدعو إلى هذه الأخلاق .

كان الأعراب يتوافدون على رسول الله ﷺ فيكرمهم ، ويدعو إلى إكرامهم ، ويعطيهم عطاء من لا يخشى الفقرَ ، ويخطئون فيعفو عنهم ويستغفر لهم ، ويغلظون له القول فيحلم عليهم ، ويغزون معه فيكون في نحر عدوهم .

هذه الصفات محببةٌ إليهم ، يعظمون أهلها ويوقرونهم ، فوجدوها في رسول الله ﷺ ، فاستجابوا له ، وأيدوه ، ونصروه ، وجاهدوا معه ، ونشروا دينه .

وسأشير بشيء من التوضيح والاستدلال إلى خُلُقين اتصفوا بهما ، وكانت من دوافع استجابتهم لدعوة الرسول ﷺ : ـ

١ ـ إباء الذل : ـ

اتصف العرب بهذه الصفة العظيمة ، وأخذ الأعراب النصيب الأكبر من هذه الصفة لأنهم تعودوا الخشونة ، ولم يتعودوا عيشة الترف والتنعم والركون إلى الراحة فكان الإقدام والبسالة من سجاياهم .

وكانوا يضمرون العداء لفارسٍ والروم لما يرونه من استخفافهم بالعرب ، فجاء الرسول ﷺ يعدهم ويبشرهم بالنصر على العجم ، وامتلاك أموالهم وأولادهم

ونسائهم . فأثار غيظاً في قلوبهم ، وأملاً تتوق إليه أنفسهم .

فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل في الأسواق والحج ويقول : « **قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، وتملكوا العرب وتذل لكم العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة** » [1] .

وبدأ هذا الوعد يتحقق ، بعدما أُذن للرسول ﷺ بالقتال ، وأخذت القبائل العربية تدين بالإسلام ، وبلغت سراياه مقربةً من الشام ، وأحدثت غزوة مؤتة خوفاً في الروم ، فكانت أول مبشرات النصر على الروم وفارس .

ثمَّ جاءت غزوة تبوك تؤكد تلك الوعود ، بعدما اندحرت جيوش الروم ، وتفرقت عندما علمت بمقدم جيش النبي ﷺ . ودخلت القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية في الإسلام ، أو صالحت الرسول ﷺ .

٢ ـ الحميَّـــــــةُ : ـ

إن نصرة ابن القبيلة ، وصاحب الحلف ، وطالب الجوار ، لا يتهاون فيها العربي بطبعه ، فإذا دعا داعي النجدة هبّت القبيلة لنجدته ظالماً كان أو مظلوماً .

لكن الإسلام هذّب هذا الخلق ، فاستنكر حميّة الجاهلية ، وجعل الحميَّة لنصرة الحق وإعلاء كلمة الله ، ونصر المظلوم ، ومنع الظالم عن ظُلمه .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : « **قال رسول الله ﷺ : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قالوا : يا رسول الله هذا**

---

(١) سبق تخريجه ص ١٤٤ .

ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : تأخذ فوق يده » [1] .

وقد كانت بداية إسلام حمزة ﷺ حميَّةً لابن أخيه عندما عَلِمَ أن أبا جهل شجَّ وجه الرسول ﷺ حتى نزف منه الدم ، فجاء ثائراً ، حتى وقف على أبي جهل فعيّره وقال : تشتم ابن أخي وأنا على دينه ، ثمَّ ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة ، فكان إسلام حمزة ﷺ أول الأمر أنفة رجل أبى أن يُهان مولاه . وهذا مما أراده الله به من خير ، وكان إسلامه عزاً للمسلمين [2] .

وإنَّ مِن الأعراب مَن كانت الحميَّة دافعاً له إلى الإسلام . فإن خزاعة كانت عيبة [3] نصح للرسول ﷺ مسلمهم ومشركهم ، وقد اختاروا الدخول في عهد الرسول ﷺ لأنهم كانوا حلفاء لجد الرسول ﷺ عبدالمطلب وبني هاشم ، قال ابن إسحاق في سياق كلامه عن معاهدة صلح الحديبية : (ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ... فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده) [4] . واستنصرت خزاعة رسول الله ﷺ عندما غدرت بهم بنو بكر ، فنصرهم ، وكانوا عيوناً له حتى تمَّ الفتح .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ٩٨/٣ مرجع سابق .

(٢) انظر : السيرة النبوية ابن هشام م٢٩٢/١ ، الرحيق المختوم المباركفوري ص ١١٥ مرجعين سابقين .

(٣) عيبة نصح : من خاصة الرسول ﷺ ، وأصحاب سره . (انظر : سبل الهدى والرشاد الصالحي ٧٠/٥ مرجع سابق) .

(٤) السيرة النبوية ابن هشام م٣١٨/٢ مرجع سابق .

المبحثُ الثاني :.

دوافعُ الإنكارِ عند الأعراب .

وفيـه مطلبان

المطلبُ الأولُ :.

الدوافعُ الاجتماعيةُ

المطلبُ الثاني :.

الدوافعُ الأخلاقيةُ

المطلبُ الأولُ :.

الدوافعُ الاجتماعيـــةُ

١ ـ المحافظةُ على المكانـةِ والصـدارةِ

إن حبّ الريادة والوجاهة إذا استحكم في النفس الخالية من الإيمان ، قادها إلى سلوك أي طريقٍ يوصل إليها ، حتى وإن أودى بحياته وحياة الآخرين .

وقد يتعلق قلب الإنسانِ بالريادة ، ويدعوه ذلك إلى طلبها صراحة ، فإن لم يُعطها قعد عن القيام بالواجب وامتنع عن الاستجابة [١] .

ذكر ابن إسحاق قدوم وفد بني عامر ، وقال في قصتهم : (أن بني عامر قالت لعامر بن الطفيل ـ وهو شيطان القوم ـ : يا عامر إن الناس قد أسلموا ، فقال : والله لقد كنت آليت ألا أنتهي حتى تتبع العرب عَقبِي ، وأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش) [٢] .

وروى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن أنس ﷺ « **أن عامر بن الطفيل أتى النبيَّ ﷺ فقال : اختر مني ثلاث خصال : يكون لك أهل السهل [٣] ويكون لي**

---

(١) انظر : آفات على الطريق د / السيد محمد نوح ٥٨/٢ دار الوفاء المنصورة ودار الفرقان الرياض ط٨ ١٤١٤ هـ .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام م٥٦٨/٢ ، وانظر : زاد المعاد ابن القيم ٦٠٤/٣ مرجعين سابقين .

(٣) أهل السهل : سكان البوادي . (انظر : بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني البنا ٦٣/٢١ مرجع سابق) . وعلى رواية الإمام أحمد فإن ضد أهل الوبر أهل القرى . فيكون أهل السهل أهل القرى ، والله أعلم .

أهل الوبر [1] ، أو أكون خليفة من بعدك ، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء [2] ، فطُعن [3] في بيت امرأة من بني فلان ، فقال : أغُدَّة كغُدَّةِ [4] البكر في بيت امرأة من بني فلان ، ائتوني بفرسي ، فركب ، فمات على ظهر فرسه » [5] .

إن الذي منع عامراً من الاستجابة الأمل الذي كان يتمناه ، وهو أن تتبعه العرب قاطبة ، وطلب مناصفة الإمامة وما كان له ذلك ، وطلب الخلافة ، ويأبى الله أن يكون له ذلك ، فيهدد بالحرب ، ويدعو عليه الرسول ﷺ فيموت بالطاعون .

٢ ـ التعلق بموروثات الآباء والأجداد : ـ

لا تخلو الطبيعة البشرية من التعصب للجنس والموروثات ، لكنها تتباين من مجتمع لآخر ، ومن أمة لأمة . والعرب الجاهليون تأصل في نفوسهم التعلق بموروثاتهم التي تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم ، فتنافسوا في حفظ مآثرهم وتراثهم ومواقع انتصاراتهم ، وسبقهم في حفظ العار ، وحمى الديار ، وإكرام الضيف ، وأعظم هذا التعلق التدين بدين الآباء ، حتى أن العربي لا يعبد صنماً غير صنم أبيه وقبيلته ، وفي ذلك يقول الله تعالى فيهم : ﴿ **بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ** ﴾ [6] . أي على دين وملة [7] .

---

(١) أهل الوبر : سكان البوادي . وعند البخاري : أهل المدر : أي أهل القرى .

(٢) أشقر وشقراء : ذكور الخيل وإناثها .

(٣) فطُعِن : أصيب بمرض الطاعون .

(٤) غُدَّة البكر : الغُدَّة طاعون الإبل . (انظر معاني ألفاظ الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣٨٧/٧ مرجع سابق) .

(٥) مسند الإمام أحمد ٢١٠/٣ ، صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ٤٢/٥ مرجعين سابقين .

(٦) سورة الزخرف الآية ٢٢ .

(٧) انظر : جامع البيان الطبري ١٧٦/١١ ، تفسير القرآن العظيم ابن كثير ١١٢/٤ مرجعين سابقين .

والأعرابي أشد العرب تعلقاً بالموروثات للأسباب الآتية : ـ

١ ـ الطبيعة البشرية في العموم وكونه من الجنس العربي .

٢ ـ البعد عن العلم والحكمة مما أدى إلى الجهل بالشرائع . قال الله تعالى : ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [١] . أي أحق وأخلق بعدم العلم بالشريعة لأنهم يعيشون في البوادي بعيداً عن المدن ومواطن الأنبياء ومجالس العلماء [٢] .

٣ ـ الجفاءُ وغلظُ الطبع لقلة مخالطة الناس ، فما زادهم إلا توحشاً ونفوراً ، روى الإمام الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **من سكن البادية جفا** [٣] **، ومن تبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلطان افتتن** » [٤] .

إن نتيجة هذا التعلق بالموروثات جمودُ الفكر ، وتعطيل قدرة العقل الذي ميّز الله به الجنس البشري ، فيقف الإنسان بكل ما أُعطي من قوة صامداً أمام كل فكرٍ قادم يتعارض مع مورثاته .

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٧ .

(٢) انظر : فتح القدير الشوكاني ٤/٥٥١ ، التحرير والتنوير ابن عاشور ١٢/١١ مرجعين سابقين .

(٣) الجفاء : غلظ الطبع لقلة مخالطة الناس ، وهو الغالب على سكان البوادي لبعدهم عن أهل العلم ، فصارت طباعهم كطباع الوحوش (انظر : النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ١/٢٨١ ، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٦/٤٤٠ مرجعين سابقين) .

(٤) سنن الترمذي كتاب الفتن باب ٦٩ ، ٤/٤٥٤ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/٢٥٤ مرجعين سابقين .

المطلبُ الثاني :.

دوافعُ أخلاقيةٌ

أولاً : قسوةُ القلبِ :ـ

القسوة : الصلابة في كل شيء ، حجر قاسٍ : صلبٌ .

والقسوة في القلب : ذهاب اللين والرحمة والخشوع [1] .

قال تعالى : ﴿ **ثُمّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجّرُ مِنْهُ الأنْهَارُ وَإِنّ مِنْهَا لَمَا يَشّقّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [2] . أي جفّت وخرجت الرحمةُ واللين عنها [3] .

وقال ابن فارس : القاف والسين والحرف المعتل يدلُّ على شدة وصلابة ، والقسوةُ غِلَظ الطبع ، وهي من قسوة الحجر [4] .

سبب قسوة القلب :ـ

إن الإعراض عن ذكر الله أقوى سبب لقسوة القلب . فحينما تميل القلوب إلى الدنيا وتعرض عن الآخرة ، وذكر الله وتدبر آياته الشرعية والكونية ، وتُكثِرُ الكلامَ

---

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور مادة (قسا) ١٨١/١٥ مرجع سابق .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٤ .

(٣) انظر : معالم التنزيل البغوي ١١٠/١ مرجع سابق .

(٤) معجم مقاييس اللغة ابن فارس ٨٧/٥ مرجع سابق .

فيما لا فائدة فيه ، فإنها تؤول إلى القسوة وتحرم الخشوع والرحمة ، وعلى قدر تمكن هذا السبب من الإنسان يبعد عن الله ، فمستقلٌ ومستكثر . وهذا السبب يحدده الرسول ﷺ فيما رواه الترمذي ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : « **إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتت في قلبه نكتةٌ [1] سوداء ، فإذا نزع واستغفر وتاب سُقِلَ [2] قلبُه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبهُ ، وهو الرَّان [3] الذي ذكر الله ﴿ كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [4]** » [5] .

قال الطيبي ـ رحمه الله ـ : (الآية في الكفار إلا أن المؤمن بارتكار الذنب يشبههم في اسوداد القلب ويزداد ذلك بازدياد الذنب) [6] .

وقال ابن الملك : (هذه الآية مذكورة في حق الكفار ، لكن ذكرها ﷺ تخويفاً للمؤمنين كي يحترزوا عن كثرة الذنب ، كيلا تسود قلوبهم كما اسودت قلوب الكفار ، ولذا قيل : المعاصي بريد الكفر) [7] .

---

(١) أي أثر قليل كالنقطة . فشبه القلب بثوب في غاية النقاء والبياض ، والمعصية بشيء في غاية السواد . (انظر : تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٢٥٤/٩ مرجع سابق) .

(٢) سُقِلَ : بالسين . وفي رواية : صُقِلَ : بالصاد . وصقله : جلاه . أي نظَّفه ، فالتوبة : بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب (انظر : نفس المرجع والصفحة) .

(٣) الرَّان : الغشاوة وهو كالصدأ على الشيء الصقيل (انظر : نفس المرجع ٢٥٥/٩) .

(٤) سورة المطففين الآية ١٤ .

(٥) سنن أبي داود كتاب التفسير سورة المطففين ٤٠٤/٥ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٢٧/٣ مرجعين سابقين .

(٦) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المباركفوري ٢٥٥/٩ مرجع سابق .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

الأعراب وقسوة القلب :ـ

جديرٌ بالأعراب أن يكونوا أقسى قلوباً ، لبعدهم عن العلم الذي تلين به القلوب وتخشع لذكر الله ، وبذلك وصفهم النبي ﷺ فيما رواه الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي مسعود ﷺ « **أن النبي ﷺ قال : الإيمان هاهنا وأشار بيده إلى اليمن . والجفاء وغِلَظ القلوب** [1] **في الفدّادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلُعُ قرنا الشيطان ربيعةَ ومُضرَ** » [2] .

هذا الوصف الذي وصفهم به الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ ، ولعلّ معاملتهم للإبل وأكل لحومها وشرب ألبانها والتنقل معها من مكان لآخر ، أكسبهم قوتها وجَلَدَها [3] .

بل إنَّ الأعراب قد يفتخرون بهذه القسوة ، لأنها تدل على القوة والجلد والإقدام ، روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده أن أبا هريرةَ ﷺ قال : « **قَبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلت منهم أحداً . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثمَّ قال : من لا يرحم لا يُرحم** » [4] .

---

(١) غِلَظ القلوب : قسوتها . (انظر : القلب ووظائفه سلمان اليماني ص ٢٢٤ دار ابن القيم الدمام ط١ ١٤١٤ هـ) .

(٢) صحيح البخاري كتاب المغازي باب قدوم الأشعريين ١٢٢/٥ مرجع سابق . وقد سبق الكلام على مفردات الحديث ص ٢٢٥ .

(٣) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٢٣/٢٠ مرجع سابق .

(٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ٧٥/٧ مرجع سابق .

وفي رواية عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تُقَبِّلون الصبيان فما نُقبِّلُهم . فقال النبي ﷺ : أوَ أملكُ لك أن نزع الله من قلبك الرحمة** »[1] .

إن هذه القسوة مما يمنع الخشوع والخوف عند سماع آيات الله ، وبهذا تكون دافعاً من دوافع الإنكار .

علاج قسوة القلب :ـ

إن قسوة القلب تزيد وتنقص بازدياد الإيمان ونقصانه ، فبقدر تعلق القلب بربه وتذكر الوقوف بين يديه ، والخوف من عقابه ، وأداء العبادات ، وتدبر آيات الله الكونية والشرعية ، يلين ويقسو ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾[2] . وإنَّ من القلوب القاسية ، ما يقبل الإيمان إذا أراد الله به خيراً ، فيتحول من الغلظة والقسوة إلى اللين والخشية من الله .

ثانياً : الكِبرُ

تعريفُ الكبرِ في اللغةِ :ـ

ورد بعدة معانٍ منها :ـ

العظمة ، التجبر ، الإثم ، الامتناع عن قبول الحق ، ومنه استكبار الكفار : أن لا

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) سورة الحديد الآية ١٦ .

يقولوا : لا إله إلا الله [١] . قال تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [٢] .

تعريف الكبر في الاصطلاح :-

عرَّف الرسول ﷺ الكبر عندما سُئل عنه فقال : « **الكبر : بطر الحق ، وغمط الناس** » [٣] .

وإني أرى من التعدي نقل تعريفات أخرى ، لأن تعريف الذي أُعطي جوامع الكلم ﷺ جامع مانع ، إلا ما يستدعيه المقام من شرح لغريب مفردات الحديث .

بطر الحق : دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً ، ورؤية الحق باطلاً [٤] .

غمط الناس : احتقارهم [٥] .

دواعي التكبر :-

إن من حكمة الخالق التمييز بين البشر ، وتفضيل بعضهم على بعض ، قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [٦] . أي رفع هذا على هذا

(١) انظر : لسان العرب ابن منظور مادة (كبر) ١٢٥/٥ – ١٣٠ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (كبر) ص ٦٠١ مرجعين سابقين .

(٢) سورة الصافات الآية ٣٥ .

(٣) رواه مسلم عن عبدالله بن مسعود ﷺ كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه ٦٥/١ مرجع سابق .

(٤) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٩٠/٢ ، النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٣٥/١ مرجعين سابقين .

(٥) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ٩٠/٢ مرجع سابق .

(٦) سورة الأنعام الآية ١٦٥ .

بما بسط له من الرزق على الآخر الفقير ، ورفع هذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوة على هذا الضعيف قليل العدد والعُدَّة ، والحكمة من ذلك الاختبار ، ليعلم المطيع من العاصي [1] . وقال تعالى : ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [2] . أي جعلنا هذا غنياً ، وهذا فقيراً ، وهذا ملكاً ، وهذا مملوكاً ، فجعلنا بعضهم في هذه الدنيا أرفع من بعض ليستسخر هذا هذا في خدمته ، أو ليملك بعضهم بعضاً [3] .

فقد يمنح الله أحد الناس صفةً ذاتيةً متميزة يغبطه عليها الآخرون ، كالنبوغ في الذكاء والقدرة على استيعاب العلم وتحصيله .

أو قد ينعم الله عليه بالمال .

أو يكون ذا حسب ونسب ويأوي إلى عدد وعدة في قومه .

ويكون مع هذا فاقداً للإيمان ، فيجد الشيطان إليه مسلكاً ، ويمتطي هذه الأسباب أو أحدها ، ويدفع صاحبها من البشر إلى إنكار الحق ، واحتقار الناس ، والتعالي عليهم .

الأعرابُ والكِبرُ :-

يجتمع للأعرابي مالا يجتمع لغيره من دواعي الكبر . فقسوة القلب ، وغلظ الطبع ،

---

(١) انظر : جامع البيان الطبري ٥/٥٢٢ مرجع سابق .

(٢) سورة الزخرف الآية ٣٢ .

(٣) انظر : جامع البيان الطبري ١١/١٨٣ مرجع سابق .

والحميّة الجاهلية ، والمفاخرة بالأحساب والأنساب ، ومآثر الآباء والأجداد من شجاعة وكرم وغيرها تُعَدُّ من أقوى دواعي التكبر .

روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن خباب ﷺ [1] في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [2] . قال : « **جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب ﷺ [3] وبلال وعمار [4] وخباب ، قاعداً في ناس من**

---

(١) خباب بن الأرتّ بن جندلة التميمي ، سُبي في الجاهلية فبيع بمكة فكان مولى أم أنمار الخزاعية ، ثمَّ حالف بني زهرة ، كان من السابقين إلى الإسلام ومن المستضعفين ، شهد المشاهد كلها . قال فيه علي ﷺ : رحم الله خباباً أسلم راغباً وهاجر طائعاً وعاش مجاهداً وابتلي في جسمه أحوالاً ولن يضيع الله أجره . مات سنة ٣٧ هـ بالكوفة . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤١٦/١ مرجع سابق) .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

(٣) صهيب بن سنان بن مالك النمري ، الرومي ، وقيل له الرومي لأن الروم سبوه صغيراً ، ونشأ بالروم وقيل هرب أو اشتراه رجلٌ من كلب فباعه بمكة فاشتراه عبدالله بن جدعان التميمي فأعتقه ، كان من المستضعفين ، هاجر وشهد بدراً وما بعدها ، افتدى نفسه بماله ليتركوه يهاجر ، وعندما قدم المدينة قال له النبي ﷺ : « **ربح البيع** » ، رواه الحاكم ٤٠٠/٣ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . مات سنة ٣٨ هـ وقيل ٣٩ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٨٨/٢ مرجع سابق) .

(٤) عمار بن ياسر بن عامر العنسي ، أبو اليقظان ، حليف بني مخزوم ، وأمه سمية مولاة لهم . كان من السابقين إلى الإسلام هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب في الله ، ويقول لهم النبي ﷺ إذا مرّ بهم : « **صبراً آل ياسر موعدكم الجنة** » ، رواه الحاكم ٣٨٣/٣ مرجع سابق . هاجر ، وشهد المشاهد كلها ، استعمله عمر ﷺ على الكوفة ، وكتب إليهم : إنه من النجباء من أصحاب محمد ﷺ ، وقال فيه ﷺ : « **إن عماراً ملئ إيماناً إلى مشاشه** » ، رواه ابن ماجة المقدمة باب ١١ ٥٢/١ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٣٠/١ مرجعين سابقين . قُتل مع علي ﷺ في صفين . (انظر : الإصابة ابن حجر ٥٠٥/٢ مرجع سابق) .

الضعفاء من المؤمنين . فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم . فـأتوه فخلـوا بـه وقالوا : إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً ، تعرف لنـا بـه العرب فضلنـا ، فـإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد ، فـإذا نحـن جئنـاك فأقمهم عنك ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت . قال : نعم . قالوا : فـاكتب لنا عليك كتاباً . قال فدعا بصحيفةٍ . ودعا علياً ليكتب ، ونحن قعودٌ فـي ناحيـة فـنزل جبرائيل عليه السلام فقـال : ﴿ وَلاَ تَطْـرُدِ الَّذِيـنَ يَدْعُـونَ رَبَّهُـمْ بِـالْغَدَاةِ وَالْعَشِـيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِـنْ حِسَـابِكَ عَلَيْهِـمْ مِّـن شَـيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُـونَ مِـنَ الظَّـالِمِينَ ﴾ (١) . ثـمَّ ذكـر الأقـرع بـن حـابس وعيينـة بـن حصن فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـٰؤُلآءِ مَـنّ اللّـهُ عَلَيْهِـم مِّـن بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشّاكِرِينَ ﴾ (٢) . ثـمَّ قـال : ﴿ وَإِذَا جَـآءَكَ الَّذِيـنَ يُؤْمِنُـونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرّحْمَةَ ﴾ (٣) . قال : فدنونـا منـه حتى وضعنا ركبنا على ركبته . وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا . فأنزل الله ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَـكَ مَـعَ الَّذِيـنَ يَدْعُـونَ رَبّهُـم بِـالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم ﴾ . (ولا تجالس الأشراف) ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا ﴾ . (يعني عيينة والأقـرع) ﴿ وَاتّبَعَ هَـوَاهُ وَكَـانَ أَمْـرُهُ فُرُطـاً ﴾ (٤) . (قـال : هلاكـاً) . قـال : أمـرُ عيينـة

---

(١) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٥٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٤ .

(٤) سورة الكهف الآية ٢٨ .

والأقرع . ثمَّ ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا . قال خباب : فكنا نقعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها ، قمنا وتركناه حتى يقوم » [1] .

داء الكبر والفخر بالنسب والحسب حمل هؤلاء الأعراب إلى احتقار فقراء الصحابة السابقين إلى الإسلام ، فحدثتْ الرسولُ ﷺ نفسَه إجابة طلبهم ترغيباً لهم . فعاتبه ربه ، ومنعه ممّا همّ به ، وبيّن له أن أهل العبادة بالغداة والعشي لهم المكانة والمحبة والموالاةُ ، فهم الصفوةُ وإن كانوا فقراءَ ، والأعزاءُ وإن كانوا أذلاءَ عند الناسِ .

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الزهد باب مجالسة الفقراء ١٣٨١/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٣٩٦/٢ مرجعين سابقين) .

المبحثُ الثالث :.

آثارُ دعوةِ النبي ﷺ للأعراب.

وفيه ستةُ مطالبٍ

المطلبُ الأول :.

معنى الآثارِ

المطلبُ الثاني :.

مفهوم آثارِ دعوة النبي ﷺ للأعراب

المطلبُ الثالث :.

الآثارُ الدينيةُ

المطلبُ الرابع :.

الآثارُ الاجتماعيةُ

المطلبُ الخامس :.

الآثارُ الأخلاقيةُ

المطلبُ السادس :.

الآثارُ السياسيةُ

المطلبُ الأولُ :.

معنى الآثارِ

المعنى اللغوي :-

ورد الأثر في اللغة بمعانٍ عِدَّة منها : -

- **الأثر** : بقية الشيء ، وجمعه آثار ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدّ مِنْهُمْ قُوّةً وَآثَاراً فِي الأرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مّنَ اللّهِ مِن وَاقٍ** ﴾ [1] . أي كان الذين من قبلهم كعاد وثمود أشد قوة وآثاراً في الأرض من حيث البناءُ والعمران والقدرة [2] .

- **أَثّر في الشي** : ترك فيه أثراً . والتأثير : إبقاء الأثر في الشيء .

- **الأَثَرُ** : ما يُؤثّره الرجل بقدمه في الأرض . فيُقال : جئتك على أثر فلان . ومنه قول الله تعالى : ﴿ **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مّنْ أَثَرِ الرّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوّلَتْ لِي نَفْسِي** ﴾ [3] . يقول السامري لموسى عليه السلام أن نفسي زينت لي أن آخذ قبضة من أثر حافر فرس الرسول جبريل عليه السلام فأطرحها على الحلي المصنوع عجلاً [4] .

---

(١) سورة غافر الآية ٢١ .

(٢) انظر : أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري ٧٦/٤ راسم للدعاية والإعلان جدة ط١ ١٤٠٧ هـ .

(٣) سورة طه الآية ٩٦ .

(٤) انظر : نفس المرجع ٧٣/٣ .

- **الأُثْرَة** : علامة تجعلها الأعراب في باطن خف البعير ليُقتفى بها أثره . فيقولون : الأثيرة من الإبل : أي العظيمة الأثر في الأرض بخفها .

- **الأُثْرَة** : الجرح يبرأ ويبقى أثره في الجسد .

- **الأَثَر** : الخبر ، جمعه آثار . قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيَ إِمَامٍ مّبِينٍ** ﴾ [1] .

أي نكتب ما أسلفوا من أعمالهم ، ونكتب آثارهم أي : من سنّ سنّةً حسنة كتب له ثوابها ، ومن سنّ سنّةً سيئة كتب عليه عقابها .

وسنن النبي ﷺ : آثاره [2] .

أما ابن فارس فيقول في كلمة (**أثر**) : الهمزة والثاء والراء لها ثلاثة أصول :

- تقديم الشي .

- ذكر الشيء .

- رسم الشيء الباقي .

أما الأول : فهو كقول : لقد أثِرت بأن أفعل كذا ، وهو همٌّ في عزم ، ويقال : افعل يا فلان هذا آثِراً ما ، بمعنى : افعله أولَّ كلِّ شيء .

وأما الثاني فبمعنى الخبر كما في الحديث « **ما حلفتُ بعدها آثراً ولا ذاكراً** » [3] .

---

(١) سورة يس الآية ١٢ .

(٢) انظر هذه المعاني اللغوية في : تهذيب اللغة الأزهري ١١٩/١٥ - ١٢٤ ، لسان العرب ابن منظور ٥/٤ ، ٦ (مادة أثر) ، تاج العروس الزبيدي ١٢/١٠ - ٢٤ (مادة أثر) مراجع سابقة .

(٣) قول لعمر ﷺ . انظر : صحيح البخاري كتاب الأيمان باب لا تحلفوا بآبائكم ٢٢١/٧ مرجع سابق .

أي مخبراً عن غيري أنه حلف به .

وأما الثالث : فهو البقية من الشيء ومنه قول الله تعالى : ﴿ **ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [1] [2] .

أي بقية من علم تشهد بصحة ما تدعون [3].

وخلاصة معاني **الأثر** التي ذكرت بعضاً منها آنفاً ما يأتي : -

بقية الشيء ، رسم الشيء الباقي ، إبقاء الأثر في الشيء ، العلامة ، الأثر في الأرض ، الخبر .

---

(١) سورة الأحقاف الآية ٤ .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ابن فارس ١/٥٣ - ٥٥ مرجع سابق .

(٣) أيسر التفاسير أبي بكر الجزائري ٤/٢٢٣ مرجع سابق .

المطلب الثاني :.

مفهوم آثار دعوة النبي ﷺ للأعراب :

كان العرب قبل البعثة النبوية يعيشون عشوائيةً سياسية تمثلها دولٌ بدوية قبلية متناحرة . مبدأ كل منها : البقاء للأقوى . وهذا التناحرُ والفرقةُ أذهب هيبتَهم عند الأممِ الحضارية المحيطةِ بهم آنذاك . فكانت فارسُ والرومُ توقدُ بينهم نار الفتنة حتى ينشغلوا بأنفسهم . ويستنزفون أموالهم في تجارة الشام واليمن .

وهذه الحالة أورثت فساداً عقدياً وأخلاقياً واجتماعياً سيئاً .

وعندما اصطفى الله نبيه ﷺ وبزغ نور النبوة ـ كانوا هم مع فسادهم أنسب شعوب الأرض لقبول الدعوة وتحمُّلها وتبليغها . ـ

عاش معهم ﷺ قرابة ربع قرن ، وهي مدةٌ في مقاييس بناء المجتمعات قليلةٌ جداً . ولأنها كانت دعوةً ربانيةً فقد غيرت أنماط حياتهم ، وإذا بهم في تلك الحقبة الزمنية اليسيرة خير أمةٍ أخرجت للناس ، يحملون مبادئ الفطرة ، ويتأهلون لقيادة الأمم . وتتحطّم على أيديهم عروش كسرى وقيصر .

يقول الشيخ / محمد نمر الخطيب : (إن الدعوة الربانية جعلت من أمة العرب ، سكان البادية والخيام ، بُناة أعظم مدنية عرفها العالم ، وحُرَّاس أكرم حضارة شهدها الناس إلى يومنا هذا ، جعلتهم ملوك الأرض ، وملّكتهم كنوز الدنيا ، وجعلت لهم المشارق والمغارب) [1] .

---

(١) مرشد الدعاة محمد نمر الخطيب ص ٩٤ دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٠١ هـ .

إن بلوغهم تلك المكانة كان بفضل هذه الدعوة الربانية فهي ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح . ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع . ذات سيطرة على جميع أمور الحياة . فأحدثت فيهم انقلاباً عميقاً اجتث جذور جاهليتهم من نفوسهم وغرس بدلاً منها جذور الإيمان التي غمرت العقل والروح والنفس . قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾ [(١)] .

هذا التغيير الطارئ على العرب عموماً والانقلاب على سلطان الهوى والشهوة كان للأعراب خاصة أوفر النصيب لأنهم يمثلون أغلبية سكان الجزيرة العربية .

إن آثار دعوة الرسول ﷺ في الأعراب تظهر في : ـ

صور التغيير الذي أحدثته دعوة الرسول ﷺ في نفوس الأعراب فنقلهم دينياً وخلقياً واجتماعياً وسياسياً من حالٍ إلى حال .

وسأعرضُ ـ بإذن الله تعالى ـ صورَ هذا التغيير في المطالب الآتية .

---

(١) سورة إبراهيم الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

المطلبُ الثالث :.

الآثارُ الدينيةُ

إن فطرة الأعراب بحكم بعدهم عن لوثة الحضارة أكثر سلامة من فطرة أهل الحضر [١] . ليسوا أصحاب خوض في مسائل الدين الخاصة ، غالبهم على طريقة واحدة بعيدة عن التأويل والتحريف لبعدهم عن الحضارات وعلوم الفلسفة والكلام وما يترتب عليها من ذبذبةٍ للعقول والعقائد .

وهذا ما يشهد به سلف الأمة ـ رضوان الله عليهم ـ . فقد روى الإمام الدارمي ـ رحمه الله ـ بسنده « أن عمر بن عبدالعزيز [٢] ـ رحمه الله ـ سأله رجل عن الأهواء ؟ فقال : عليك بدين الأعرابي ، والغلام في الكتّاب ، واله عما سوى ذلك » [٣] .

وإن دعوة الرسول ﷺ لأصحاب هذه الفِطر السليمة كانت لها آثارٌ عظيمة منها :

١ ـ الانقلاب على سلطان المعبودات من دون الله ، والبراءة منها ومن عابديها أياً كانت قرابتهم ، والجرأةُ في ذمها والصدع بالحق . إن ضماماً أخا بني سعد ﷺ بعد مساءلته للرسول ﷺ ، وتدبره في خلق السموات والأرض ، وأن خالقها هو المستحق للعبادة ، خرج بقناعة ويقين تامين أنه لا إله إلا الله ، وبحكم عربيته وسلامة فطرته

---

(١) انظر : تاريخ ابن خلدون ٢١٦/١ ـ ٢١٧ مرجع سابق .

(٢) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي ، الإمام الحافظ المجتهد الزاهد ، أمير المؤمنين . الخليفة الراشد الخامس . أشج بني أمية ، جده لأمه عاصم بن عمر بن الخطاب ﷺ . تولى الخلافة سنتين فعمَّ الرخاء ، ورُدَّت المظالم ... مات سنة ١٠١ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ١١٤/٥ مرجع سابق) .

(٣) سنن الدارمي المقدمة باب من قال العلم الخشية وتقوى الله ١٠٣/١ مرجع سابق .

عرف وجزم أن هذه الكلمة تستلزم الانسلاخ من جميع ما يدنسها . فعندما عاد إلى قومه أول كلمة قالها إعلان الكفر بالطاغوت وبكل معبود من دون ا لله فقال : بئست اللات والعزى .

إن الشهادة التي اعتقدها وعرفها لها ركنان هما : النفي والإثبات . النفي في (لا إله) إبطال للشرك بجميع أنواعه . والثاني الإثبات (إلا ا لله) إثبات استحقاق ا لله بالعبادة . ومعنى هذين الركنين في قوله تعالى : ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [١] [٢] .

روى الإمام الدارمي ـ رحمه ا لله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي ا لله عنهما ـ قال : « **بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، فأناخ بعيره على باب المسجد ثمَّ عقله ، ثمَّ دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين [٣] حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبدالمطلب . قال : يا محمد ؟ قال : نعم . قال : يا ابن عبدالمطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة ، فلا تجدّن في نفسك . قال : لا أجد في نفسي ، فسل عمّا بدا لك . قال : إني أنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأنشدك بالله إلهك وإله**

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(٢) انظر : التوحيد د / صالح بن فوزان الفوزان طبع وزارة المعارف السعودية ١٤١٢ هـ .

(٣) غديرتين : الغدائر هي الذوائب من الشعر تجمع وتسدل على جانبي الرأس . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٥٧٦ مرجع سابق) .

من كان قبلك وإله مَن هو كائن بعدك آللـه آمـرك أن نعبـده وحـده لا نشـرك بـه شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبدهـا مـن دونـه ؟ قـال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله مَن هو كائن بعدك آللـه آمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، ثمَّ جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحـج ، وشـرائع الإسـلام كلهـا ، ويناشده عند كل فريضة كما ناشده في التي قبلهـا ، حتـى إذا فـرغ قـال : فـإني أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه ، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسـوله ، وسـأؤدي هـذه الفريضة ، واجتنب ما نهيتني عنه ، ثمَّ قال : لا أزيد ولا أنقـص ، ثـمَّ انصـرف إلى بعيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولّى : إن يصدق ذو العقيصتيـن [1] يدخـل الجنة ، فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ، ثمَّ خرج حتى قدم علـى قومـه فـاجتمعوا إليـه ، فكـان أول مـا تكلـم أن قـال : بئسـت الـلات والعزى ، قـالوا : مـه [2] يـا ضمام ، اتق البرص ، واتق الجنون ، واتق الجذام ، قال : ويلكم إنـهما والله لا تضرّان ولا تنفعان ، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم بـه ممـا كنتم فيـه ، وإنـي أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه ، وأن محمـداً عبده ورسـوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ونهاكم عنه ، قال : فوالله مـا أمسـى مـن ذلك اليوم وفي حاضره رجـل ولا امـرأة إلا مسـلماً . قـال : يقـول ابـن عبـاس : فمـا سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة » [3] .

---

(١) ذو العقيصتين : العقص : الشعر ، ظفره وفتله ، والعقيصة : الضفيرة . (انظر نفس المرجع ص ٨٠٤) .

(٢) مه : كلمة زجر ، أصلها : ما هذا ؟ (انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٣/٣ مرجع سابق).

(٣) سنن الدارمي كتاب الطهارة باب فروض الوضوء والصلاة ١٧٣/١ مرجع سابق . وأصل قصة

هذه صورة رائعة ، وتغيير واضح ، وأثر بالغ لما أوقعته دعوة الرسول ﷺ في نفس هذا الأعرابي الذي انخلع في نفس المكان والزمان الذي جرت فيه المساءلة بينه وبين الرسول ﷺ من الأنداد التي كان يعبدها آباؤه وأجداده . و لم ينته التأثير إلى هذا الحد فحسب ، بل جرَّ قومه إلى الإقتداء به ، فكان خير وافد قوم .

٢ ـ التفاني من أجل الدين وبذل الروح رخيصةً في سبيل الله ، وهذا دليل على صدق الإيمان بالله تعالى والتوكل عليه .

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن شداد بن الهاد ﷺ « **أنَّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثمَّ قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوةٌ ، غَنِم النبي ﷺ سبياً فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ؛ ولكنِّي اتبعتك على أن أُرمى إلى ههنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ، ثمَّ نهضوا في قتال العدو ، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : أهوَ هوَ ؟ قالوا : نعم . قال : صدق الله فصدقه ، ثمَّ كفَّنه النبي ﷺ في جبته ، ثمَّ قدَّمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته ، اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك**

=

وفادة ضمام ومساءلته للرسول ﷺ ثابتٌ في صحيح البخاري كتاب العلم باب القراءة والعرض على المحدّث ٢٣/١ مرجع سابق .

فقُتل شهيداً أنا شهيد على ذلك » [1] .

أي صدق أروغُ من هذا الصدق ، وأي بذل للروح أعظم من هذا البذل . يُتَوَّج بشهادة الرسول ﷺ لهذا الأعرابي بالشهادة . وما هذا إلا بفضل الله ثمَّ بتأثير الدعوة النبوية .

٣ ـ تمييز الخبيث من الطيب ، وتمحيص النفوس ، وتمييز المتواري داخل الصف المسلم بدعوى الإيمان ولَمّا يدخل الإيمان في قلبه ، من الصادق في قبول الدعوة ، والاستجابة لها ، الصابر على البلاء في سبيلها .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن جابر ﷺ قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فبايعه على الإسلام ، فجاء من الغد محموماً** [2] **فقال : أقلني** [3] . **فأبى ثلاث مرار . فقال : المدينة كالكير** [4] **تنفي خبثها ويَنْصَعُ** [5] **طيِّبُها** » [6] .

---

(١) سنن النسائي كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء ٤/٦٠ ، ٦١ ، وصححه الألباني انظر : صحيح سنن النسائي ٢/٤٢٠ مرجعين سابقين . وقد سبق .

(٢) محموماً : مصاباً بمرض الحمى . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١٣/٢٠٠ مرجع سابق) .

(٣) الإقالة : استعارة من أقاله البيع وهو إبطاله ، أي أبطل مبايعتي لك . (انظر : مختار الصحاح الرازي ص ٥٦٠ مرجع سابق) .

(٤) الكير : هي الآلة التي ينفخ بها الحداد النار . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٤/٨٨ مرجع سابق) .

(٥) ينصع : الناصع : الخالص . ونصع الشيء إذا وضح وبان . والمراد هنا : يظهر طيبها . (انظر نفس المرجع ٤/٩٧) .

وهذا الأعرابي طلب الإقالة من الهجرة وليس من الإسلام . فلو كان طالباً الإقالة من الإسلام لقتله الرسول ﷺ على الردة . (انظر : نفس المرجع ٤/٩٧ ، ١٣/٢٠١) .

(٦) صحيح البخاري كتاب فضائل المدينة باب المدينة تنفي الخبث ٢/٢٢٣ مرجع سابق .

شتان بين طالب الإقالة هذا ، ناقض البيعة ، وبين رافض القسم من الغنيمة مشتري الجنة ، الذي أعطى الإسلام روحه وجسمه ، وصدق ما عاهد الله عليه ، فقضى نحبه شهيداً في سبيل الله بشهادة رسول الله ﷺ .

إن طالب الإقالة نكص بمجرد تعرضه لوعكٍ أصابه في المدينة ، فلم يُطق المقام فيها . أما الآخر فكان صورة رائعةً للصدق والثبات ، فسلكه الله تحت لواء الصفوة الصادقة الراسخة الذين أنعم الله عليهم .

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً** ﴾ (١) .

٤ ـ التفقه في الدين والإقبال على العلم مشافهة عن الرسول ﷺ وأصحابه من بعده .

شهد أبو هريرة رضي الله عنه لأحد الأعراب بالفقه . هذا الفقه زاد الأعرابي ورعاً وصدقاً وتأثراً بالمعاملة النبوية الحسنة ففداه بأبيه وأمه . وأصبح يُحدِّث بقصته ومعاملة الرسول ﷺ له .

روى الإمام ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « **دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس . فقال : اللهم اغفر لي ولمحمد ، ولا تغفر لأحدٍ معنا . فضحك رسول الله ﷺ وقال : لقد احتظرت (٢) واسعاً . ثمَّ**

---

(١) سورة النساء الآية ٦٩ .

(٢) احتظرت : أي منعت . (انظر تعليقات محمد فؤاد عبدالباقي على سنن ابن ماجة ١٧٦/١ مرجع سابق) .

ولّى . حتى إذا كان في ناحية المسجد فشج يبول . فقال الأعرابي بعد أن فقه ، فقام إليَّ ، بأبي وأمي . فلم يؤنبْ ولم يسبَّ . فقال : إن هذا المسجد لا يُبال فيه . وإنما بُني لذكر الله وللصلاة ، ثمَّ أمر بسجلٍ من ماء ، فأُفرغ على بوله » [(١)] .

وروى الإمام أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن إسماعيل بن أمية [(٢)] قال : سمعت أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة ﷺ يقول : « **قال رسول الله ﷺ : مَن قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾ . فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين . ومن قرأ ﴿ لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . فانتهى إلى ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىَ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ . فليقل : بلى . ومن قرأ : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ . فبلغ ﴿ فبِأَيّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ . فليقل : آمنا بالله** » . قال إسماعيل : ذهبت أعيد على الرجل الأعرابي وأنظر لعلّه ، فقال : يا ابن أخي أتظنُّ أني لم أحفظه ، لقد حججت ستين حجّة ما منها حجَّةٌ إلا وأنا أعرف البعير الذي حججتُ عليه » [(٣)] .

هذا الأعرابي روى حديثاً عن أبي هريرة ﷺ عن الرسول ﷺ ، وعندما رأى أن

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الطهارة باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١٧٦/١ ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ٨٦/١ مرجعين سابقين .

(٢) إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي ، ثقةٌ ثبت . مات سنة ١٤٤ هـ . (انظر : تقريب التهذيب ابن حجر ص ١٠٦ مرجع سابق) .

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب مقدار الركوع والسجود ٢٣٤/١ مرجع سابق .
وضُعِّف هذا الحديث لجهالة الأعرابي ، أما إسماعيل فهو ثقة ثبت كما قال ابن حجر . (انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ١٤٣/٣ مرجع سابق) .

السامع ظن في الراوي سوء حفظ رد عليه رداً يثبت فيه صدقه ، ويُفهم من خلال الرد أن الأعرابي يفقه علم الحديث ونقل الرواية ، وأنه من الحريصين على تعلم السنة ونقلها . ويُستنبط من رده الأمور الآتية : ـ

١ ـ أنه يعلم حرمة الكذب على الرسول ﷺ .

٢ ـ أنه يعلم أن من شروط قبول الرواية قوةَ الحفظِ .

٣ ـ أتى بحجة قوية تدل على قوة حفظه ، وأنه أهلٌ لنقل الحديث ، وعلى علم بعقوبة الكاذب .

المطلبُ الرابعُ :.
الآثارُ الاجتماعيةُ

إنَّ من أشد ما يُقوض بناء المجتمع ، الفرقة والعصبية الجاهلية ، والفخر بالأنساب ، والتعلق بالموروثات الجاهلية . إن نتيجتها القطيعة ، وإهدار الدماء ، وقطعُ أواصر المحبة ، وامتلاءُ القلوب بالأحقاد ، وتأصُلُ العادات السيئة ، وضياعُ حق الضعيف . هذه حالة مجتمعات الأعراب قبل مبعث النبي ﷺ . وعندما بزغ نور النبوة ، جلّى ظلمة الجاهلية تلك .

وكان الإسلام عقيدة ومنهجاً علاجاً لذلك التدهور الاجتماعي ، عندما أذابت عقيدته وشريعته وآدابه عادات الجاهلية وموروثاتها وما تحمله من معاول هدم اجتماعي . لا يعرف هذا التغير وهذه النقلة إلا مَن قارن بين الحالتين قبل الإسلام وبعده . إن صور هذا التغير تظهر في الأمور الآتية : ـ

١ ـ دان أهل الجزيرة العربية بدين واحد ، فهدمت الأصنام ، وبطلت الكهانة ، وتوجهت القلوب إلى بارئها ، وبهذا توحدت الأهداف والغايات بعد تعدُّد المشارب ، وتفرُّق الكلمة ، وضياع الرأي ، وحب الذات والقبيلة ، التي كانت تَفُتُّ في عضد الكيان العربي في الجزيرة . هذا الدين الواحد ربط أبناء الجزيرة بعضهم ببعض فتآلفت القلوب ، ونُبذت العصبية ، واجتمع الشمل ، وترابط المجتمع .

هذا الأثر العظيم الناتج عن وحدة العقيدة جعل الرسول ﷺ مما يوصي به في آخر وصاياه ألا يبقى دينان في جزيرة العرب . فقد روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه « **أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لأُخرجن اليهود**

والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدعَ فيها إلا مسلماً » [(١)] .

قال النووي ـ رحمه الله ـ : (أخذ بهذا الحديث مالكٌ والشافعي وغيرُهما من العلماءِ فأوجبوا إخراجَ الكفارِ من جزيرة العرب وقالوا : لا يجوز تمكينُهم من سكناها ، لكنَّ الشافعي خص هذا الحكمَ ببعض جزيرة العرب وهو الحجاز ... قال العلماءُ : ولا يُمنعُ الكفارُ من التردد مسافرين في الحجاز ولا يمكنون من الإقامةِ فيه أكثر من ثلاثةِ أيامٍ إلا في مكةَ وحرمها فلا يجوز تمكينُ كافرٍ من دخولهِ بحال) [(٢)] .

٢ ـ التحول إلى دار الهجرة لمن أراد ذلك من الأعراب الداخلين في الإسلام . فقد كانت الدعوة إلى الهجرة ــ قبل الفتح ــ سمةً بارزةً من سمات دعوة الرسول ﷺ للأعراب ، وإلاّ يُحرمونَ من الغنيمة إلا مَن جاهد في سبيل الله . وذلك تشجيعاً لهم في سُكنى المدينة وأخذ العلم عن الرسول ﷺ . وهذا له الأثر العظيم في تغيير نمط حياتهم الاجتماعية من القسوة والغلظة والجفاء إلى اللين والرحمة وحب الخير والتأدب بآداب الإسلام وتعاليمه .

٣ ـ ساهم المهاجرون من الأعراب في تكوين المجتمع المسلم الجديد وضاعفوا أعداد المسلمين .

٤ ـ طاعة الرسول ﷺ والنصح له فإن من الأعراب من كان عيبة نصح لرسول الله ﷺ مثل خزاعة التي دخلت في العهد مع الرسول ﷺ في صلح الحديبية ، وكان منهم عيونٌ لرسول الله ﷺ في فتح مكة .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٥/١٦٠ مرجع سابق .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/٩٣ ـ ٩٤ مرجع سابق .

٥ ـ تميّز أهل التقوى ، وتَوَجّه الولاء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين . وتبرأ المؤمن من الشرك والمشركين ولو كانوا من الأقربين . روى ابن ماجة ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان يصل الرحم ، وكان ، وكان .. فأين هو ؟ قال : في النار . قال : فكأنه وجد من ذلك . فقال : يا رسول الله ، فأين أبوك ؟ فقال رسول الله ﷺ : حيثما مررت بقبر مشرك ، فبشره بالنار . قال فأسلم الأعرابي بعد . وقال : لقد كلفني رسول الله ﷺ تعباً ، ما مررت بقبر كافرٍ إلا بشرته بالنار** » [1] . صورةً من صور التغيّر الاجتماعي في حياة الأعرابي ، الذي كان يفخر بصفات أبيه التي كانت تزيدُ محبته له فضلاً عن كونه قريباً له . فيُفاجأ بأنها لا تنفع لعدم وجود الأصل وهو التوحيد ، فيُسلم ويمتثل لأمر الرسول ﷺ فلا يمر بقبر مشرك إلا بشره بالنار أيّاً كان .

٦ ـ تقطيع الأحلاف الجاهلية ، ودخول الأعراب الذين حول المدينة في نصرة الرسول ﷺ وأصحابه . فقد جُعِلت معاهدات ومؤاخاة الأنصار والمهاجرين مفتوحةً لمن دخل معهم ورضي بدينهم ، فهم أمةٌ من دون الناس يتعاونون ويتناصرون ، وإنَّ مَن لم يهاجر من الأعراب فإن له النصرة في الدين كما قرر ذلك القرآن الكريم بعد غزوة بدر ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُمْ مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ**

---

(١) سنن ابن ماجة كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ٥٠١/١ . وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٢٦٢/١ مرجعين سابقين .

فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [1] .

ذكر الله في الآية أصنافَ المؤمنينَ وهم ثلاثة : مهاجرون ، وأنصار ، والصنف الثالث الذين آمنوا و لم يهاجروا وإنما بقوا في بواديهم ، فهؤلاء ليس لهم في المغانم نصيب إلا ما حضروا فيه القتال ، وإن استنصر هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا المؤمنين فواجب نصرهم لأنهم اخوة في الدين [2] .

٧ ـ شرف السبق إلى الإسلام كان سبباً في إزالة العار اللاحق ببعض القبائل وإعلاءً لمنزلتهم ومكانتهم مما زادهم ولاءً للإسلام والمسلمين . روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة ﷺ « **أن النبي ﷺ قال :أسلم سالمها الله ، وَغِفار غفر الله لها** » [3] . وروى أيضاً عن أبي بكرة ﷺ « **أن الأقرع بن حابس قال للنبي ﷺ : إنما تابَعَك سُرَّاق الحجيج من أسلم وغفار ومُزينة ، وأحسبه قال وجهينة . قال النبي ﷺ : أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه وجهينة خيراً من بني تميم ومن بني عامر وأسد وغطفان خابوا وخسروا ؟ قال : نعم . قال : والذي نفسي بيده إنهم لخيرٌ منهم** » [4] .

هذه القبائل كانت أقل قوةً ومكانة من غيرها من قبائل العرب ، ومن مثالبهم قطع الطريق على الحجاج ، والحج مُعَظَّم عند العرب زماناً ومكاناً . وعندما سبقوا إلى الإسلام أراد الرسول ﷺ أن يمحو عنهم ذلك العار اللاحق بهم ، ويجعل لهم مزيةً

---

(١) سورة الأنفال الآية ٧٢ .

(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٢/٢٨٥ مرجع سابق .

(٣) صحيح البخاري كتاب المناقب باب ذكر أسلم وغفار ومزينة ٤/١٥٧ مرجع سابق .

(٤) نفس المرجع ٤/١٥٨ .

يُعرفون بها بين العرب ، فقال فيهم مقولته كما في الحديث [1] .

٨ ـ تأصُّل المودة في النفوس ، والعطف على الضعيف ، وحفظ الحقوق ، وصلة الرحم ، وحفظ مال اليتيم وإطابة المطعم .

قال الإمام فخر الدين الرازي ـ رحمه الله ـ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً** ﴾ [2] : (قال المفسرون : الصحيح أنها نزلت في رجل من غطفان ، كان معه مال كثيرٌ لابن أخ له يتيم ، فلما بلغ طلب المال ، فمنعه عمه ، فترافعا إلى الرسول ﷺ فنزلت هذه الآية ، فلما سمعها العم قال : أطعنا الله وأطعنا الرسول ﷺ ، نعوذ بالله من الحوب الكبير ، ودفع مال اليتيم إليه) [3] .

٩ ـ السخاء والإنفاق وبذل المال في سبيل الله . وذلك مما ساهم في بناء المجتمع الإسلامي الأول .

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عند تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [4] : (قال

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥٤٣/٦ ـ ٥٤٥ مرجع سابق .

(٢) سورة النساء الآية ٢ .

(٣) التفسير الكبير فخر الدين الرازي ١٣٧/٩ مرجع سابق ، أسباب نزول القرآن الواحدي ص ١٤٦ تحقيق كمال بسيوني دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ . وانظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٣٠٧/٢ مرجع سابق . أما الرجل فهو المنذر بن رفاعة الغطفاني . (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٣٩/٣ مرجع سابق) .

(٤) سورة التوبة الآية ٩٩ .

مجاهد [1] : هم بنو مقرّن من مزينة ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ** ﴾ [2]) [3] .

وذكر ابن حجر ـ رحمه الله ـ عند ترجمة النعمان بن عمرو بن مقرِّن (أنه قدم رجال من مزينة فاعتلُّوا على النبي ﷺ أنهم لا أموال لهم يتصدقون منها ، وقدم النعمان بن مقرّن بغنم يسوقها إلى النبي ﷺ فنزلت فيه ﴿ **وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ** ﴾) [4] .

١٠ ـ ترك التحاكم إلى العادات والأعراف القبلية ، والتسليم والرضا بحكم الله ورسوله ﷺ والمسارعة في تنفيذه .

روى أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه [5] قال : « **بينما أنا أطوف على إبل لي ضلت إذ أقبل ركبٌ أو فوارس معهم لواءٌ ، فجعل الأعراب يطيفون بي لمنزلتي من النبي ﷺ ، إذ أتوا قُبّةً فاستخرجوا منها رجلاً فضربوا**

---

(١) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المكي ، مولى عبدالله بن السائب . ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، روى كثيراً عن ابن عباس ، وأخذ عنه القرآن والتفسير . مات سنة ١٠١ هـ أو ١٠٤ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٤/٤٤٩ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٢٠ مرجعين سابقين) .

(٢) سورة التوبة الآية ٩٢ .

(٣) جامع البيان الطبري ٦/٤٥٢ ، وانظر الدر المنثور السيوطي ٣/٤٨٢ ، أسباب النزول الواحدي ص ٢٦٢ مراجع سابقة .

(٤) الإصابة ابن حجر ٣/٥٣٤ مرجع سابق .

(٥) البراء بن عازب الأوسي الأنصاري ، أبو عمارة ، استصغره الرسول ﷺ يوم بدر ، وشهد أحداً وما بعدها ، روى عن النبي ﷺ ، سكن الكوفة ، ومات سنة ٧٢ هـ . (انظر : الإصابة ابن حجر ١/١٤٦ مرجع سابق) .

عُنقه ، فسألت عنه فذكروا أنه أعرس بامرأة أبيه » [١] . يظهر من القصة أن الأعراب قتلوا الرجل مرتداً لأنه استحل نكاح امرأةِ أبيه كما في الجاهلية ، وهذا مما حرّمه الإسلام [٢] .

١١ - نبذ العادات الذميمة التي جاء الإسلام بتحريمها . مثل شربِ الخمرِ ، والزنا ، وهذه قصة أحد الأعراب الذي بمجرد دخوله في الإسلام ، ومعرفة تعاليمه ، ترك شرب الخمر وهي محببةٌ إلى نفسه .

روى ابن سعد عند ذكر وفد كلب [٣] أنهم أتوا النبي ﷺ فعرض عليهم الإسلام ، فأسلموا ، وقال لهم : « **أنا النبي الأمي الصادق الزكي ، والويلُ كل الويل لمِن كذبني وتولى عني وقاتلني ، والخير كل الخير لمن آواني ونصرني وآمن بي وصدّق قولي وجاهد معي** » . قالوا : فنحن نؤمن بك ونصدق قولك ، فأسلموا ، وأنشأ أحدهم يقول :

أجبتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ∴ وأصبحتُ بعد الجحد بالله أوْجَرا
وودّعْتُ لذاتِ القِداح[٤] وقد أُرى ∴ بها سَدِكاً [٥] عمري وللهو أصْوَرَا [٦]

---

(١) سنن أبي داود كتاب الحدود باب الرجل يزني بحريمه ٤/١٥٧ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٨٤٤ مرجعين سابقين .

(٢) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود شمس الحق العظيم آبادي ١٢/٩٥ مرجع سابق .

(٣) كلب : اسم لثلاث قبائل بطن من قضاعة ، ومن بني ليث ، ومن اليمن .
وهذه بطن من قضاعة تنسب إلى كلب بن وبرة بن قضاعة . ومنازلهم بادية الشام ، وبادية دومة الجندل . (انظر : الأنساب السمعاني ٥/٨٦ ، معجم قبائل العرب كحالة ٣/٩٩١ مرجعين سابقين) .

(٤) القِدَاح : جمع قَدَح ، وهو الإناء . والمراد به هنا إناء الخمر .

(٥) سَدِكاً : مولعاً ، السَّدِك : المولع بالشيء ، وهو مولع بشرب الخمر .

(٦) أصْوَر : مائلٌ مشتاق ، والمعنى : أنه مولعٌ بالخمر ، ومجيبٌ داعي اللهو . (انظر في الألفاظ السابقة : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ٣٠١ ، ١٢١٧ ، ٥٤٨) .

وآمنـــتُ بـــالله العلـــي مَكانُـــهُ   وأصبحتُ للأوثان ما عشت مُنكِرا »[1]

وفضالةُ بنُ عُميرٍ بن الملوحِ الليثيُّ[2] ، أراد قتل النبيِ ﷺ وهو يطوف بـالبيت عـام الفتح ، فوضع النبي ﷺ يده على صدره ، ودعا له ، يقول : فما رفع يده عن صدري إلا وهو أحـب خلـق ا لله إليَّ . فرجـع إلى أهلـه . فمر بـامرأة كـان يتحـدث إليهـا . فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث . فقال : لا . وأنشأ يقول :

قـالت هَلُمَّ إلى الحديـث فقلـتُ لا ∴ يَـــأبى عليـــكِ اللهُ والإســـلامُ
لـو مـا رأيـتِ محمَّـداً وقَبيلـه[3]   بـالفتح يـوم تَكَسَّـر الأصنـامُ
لرأيـتِ ديـنَ اللهِ أضحـى بَيِّنـاً   والشـركُ يغشـى وجهـهُ الإظـلامُ[4]

عاد إلى قومه مسلماً ، وبلغ به تأثير الإسلام مبلغاً جعله يمتنع عن محادثة المـرأة الـتي كان يأنس بحديثها ، لأنه فعلٌ يحرّمه الإسلام .

---

(١) الطبقات ابن سعد ٢٥٢/١ ، وذكرها العلاّمة الهندي في كنز العمال بدون ذكر الأبيات ٤٠٢/١١ رقم الحديث ٣١٨٧٥ مرجعين سابقين .

(٢) فضالة بن عمير بن الملوح الليثي ، من بني الملوح ، بطن من كنانة ، كانت منازلهم قريب مكة ، قال ابن الأثير إن لـه حديثاً في المسند . (انظر : أسد الغابة ابن الأثير ٣٦٤/٤ ، الإصابة ابـن حجـر ٢٠١/٣ ، معجم قبائل العرب كحالة ١٠١٩/٣ مراجع سابقة) .

(٣) قَبيلَه : يعني نفسه عندما أراد قتل النبي ﷺ فمنعه ا لله .

(٤) انظر : السيرة النبوية ابن هشام م٤١٧/٢ ، البداية والنهاية ابن كثير ٣٠٦/٤ مرجعين سابقين .

المطلبُ الخامسُ :.
الآثارُ الأخلاقيةُ

عندما نقول الآثار الأخلاقية فإننا لا نعني الجزمَ برداءة أخلاق الأعراب في جاهليتهم في العموم ، بل إن القوم كانوا يتصفون بأخلاق رفيعة مع باقي جنسهم من العرب كانت سبباً في اختيارهم لحمل أعباء الرسالة للناس عامة ، وقيادة البشرية ، والحقيقة أن دور الإسلام في تلك الأخلاق الكامنة هو تنقيتها وإصلاحها وتوجيه أهدافها وغاياتها إلى ما فيه خير للبشرية في الدنيا والآخرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : (وغرائزهم ـ أي العرب ـ أطوع للخير من غيرهم ، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء ، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة ، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير ، معطلة عن فعله ، ليس عندهم علم منزل من السماء ، ولا شريعة موروثة من نبي ، ولا هم أيضاً مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة ... فلما بَعث الله محمداً ﷺ بالهدى ... وتلقوه عنه بعد مجاهدته الشديدة لهم ، ومعالجتهم على نقلهم من تلك العادات الجاهلية والظلمات الكفرية ، التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها ... فأخذوا هذا الهدي العظيم بتلك الفطرة الجيدة ، فاجتمع لهم الكمال بالقوة المخلوقة فيهم ، والكمال الذي أنزله الله إليهم : بمنزلة أرض جيدة في نفسها ، لكن هي معطلة عن الحرث ، أو قد نبت فيها شجر العضاة والعوسج ، وصارت مأوى الخنازير والسباع ، فإذا طهرت من المؤذي من الشجر والدواب ، وازدرع فيها أفضل الحبوب والثمار جاء فيها من

الحرث ما لا يوصف مثله)[1] .

وهذه بعضُ آثارِ الدعوةِ النبويةِ في أخلاق الأعراب :ـ

١ ـ توجيهُ الغايةِ والهدفِ من الشجاعةِ .

الشجاعة صفة كريمة ، وهي مما يتسابق فيها الأعراب ، لكنّها كانت تستخدم في الحميّة ، والرياء ، والظلم ، والقتل ، والاعتداء . فكان أثر الدعوة في هذا الخلق هو توجيه وإصلاح الغاية والهدف من الشجاعة والإقدام . وهو الجهاد في سبيل الله ، ونشر الدين ، والصدع بالحق ولو أدّى إلى إزهاق الروح .

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : « **جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : الرجل يُقاتل ليُذكر ، ويُقاتل ليغنم ، ويُقاتل ليُرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله** »[2] .

ظنَّ الأعرابيُ أن الحميّة وطلب الغنيمةِ في القتال مأجورٌ صاحبها . فكان الجواب على النقيض من ذلك كله فلا بُدَّ أن يكون الهدف إعلاء كلمة الله .

إن أثر هذا التوجيه النبوي يتحقق في أعرابيٍ آخر دخل الإسلام ، وبذل روحه لإعلاء كلمة الله . روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن شداد بن الهاد ﷺ « **أنَّ رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ، ثمَّ قال : أهاجر معك ،**

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ابن تيمية تحقيق د / ناصر العقل ٣٩٧/١ مرجع سابق .

(٢) سنن النسائي كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢٣/٦ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ٦٥٨/٢ مرجعين سابقين ، وقد سبق .

فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه ، فلما كانت غزوةٌ ، غَنِم النبي ﷺ سبياً فقسم ، وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي ﷺ ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال : ما هذا ؟ قال : قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ؛ ولكنّي اتبعتك على أن أُرمى إلى ههنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك . فلبثوا قليلاً ، ثمَّ نهضوا في قتال العدو ، فأُتي به النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ﷺ : أهوَ هوَ ؟! قالوا : نعم . قال : صدق الله فصدقه ، ثمَّ كفَّنه النبي ﷺ في جبته ، ثمَّ قدَّمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته ، اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتل شهيداً أنا شهيد على ذلك » (١) .

٢ ـ التواضعُ وتركُ الأسبابِ المفضيةِ إلى الكِبرِ واستصغارِ الناسِ

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن المعرور (٢) قال : لقيت أبا ذر بالربذة (٣) وعليه حُلَّة وعلى غلامه حُلَّة فسألته عن ذلك . فقال : « **إني ساببتُ رجلاً فعيرتُه (٤) بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : يا أبا ذر أعيرته بأمه ، إنك امرؤٌ**

---

(١) نفس المرجعين كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء ٤/٦٠ ، ٢/٤٢٠ .

(٢) المعرور بن سويد الأسدي ، أبو أمية الكوفي ، حدَّث عن جمع من الصحابة . مات سنة بضع وثمانين . (انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ٤/١٧٤ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٥٤٠ مرجعين سابقين) .

(٣) الربذة : موضع بالبادية بينه وبين المدينة ثلاث مراحل جهة نجد . (انظر : معجم البلدان الحموي ٣/٢٧ مرجع سابق) .

(٤) عيَّرته : نسبته إلى العار . يُقال : قال له يا ابن السوداء استصغاراً له . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ١/٨٦ مرجع سابق) .

فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يـأكل وليلبسـه ممـا يلبس ولا تكلفوهـم مـا يغلبهـم فـإن كلفتموهـم فأعينوهم » [1] .

إنَّ أبا ذر ﷺ تعالى على الرجـل واستصغره وعـيَّره بأمـه السـوداء ، وعندهـا أنَّبـه الرسـول ﷺ ، ووصفـه بصفـةٍ مـن صفـات الجاهليـة وهـي الكـبر واسـتصغار النـاس واحتقارهم ، أثّر في نفسه أبلغ التأثير ، وغيّر ذلك الخُلق المذموم فضرب أروع صـورة للتواضع والمساواة .

٣ ـ الصـــدق

إن دعوة الصادق الأمين ﷺ للأعراب يتجلّى أثرها في هذا الخُلُق ، في صدق مـاعز ابن مالك الأسلمي ﷺ [2] الذي أتى طائعاً مختاراً معترفاً بذنبه ، مع علمه بـأن هـذا الاعتراف يُلحق العار به وبقومه ، وأنه يودي بحياته ، فطلب إقامـة الحـد عليـه ، ومـا دفعه إلى ذلك إلا صدقه مع ربه . ومن كان صادقاً في مثل هـذا الموقـف فهـو لمـا هـو أدنى منه أصدق .

وفي القصة أيضاً بيان لأثر الدعوة في ترك الأخلاق الرديئة الجاهلية مثل الزنا .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن بريدة بن الحصيب ﷺ « **أنَّ ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنـي قـد ظلمـت نفسـي**

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية ١٣/١ مرجع سابق .

(٢) ماعز بن مالك الأسلمي ﷺ من قبيلة أسلم التي دعا لها الرسول ﷺ . قال فيه : « **لقد رأيتـه يتحصص في أنهار الجنة** » وقال : « **استغفروا لماعز** » . (انظـر : الإصابـة ابـن حجـر ٣١٧/٣ مرجـع سابق) .

وزنيت ، وإني أريد أن تطهرني . فرده . فلما كان من الغد أتاه فقال : يا رسول الله إني قد زنيت . فرده الثانية ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه ، فقال : أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً . فقالوا : ما نعلمه إلا وفِيَّ العقل من صالحينا فيما نرى . فأتاه الثالثة ، فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله . فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثمَّ أمر به فرُجم » [1] .

٤ ـ العفةُ والمحافظةُ على أعراضِ المسلمين

كانت العفةُ وحفظُ العرضِ والتعففُ من صفات العرب في الجاهلية ، فما زادها الإسلام إلا عزاً وتثبيتاً ، بما جاء به من آداب أخلاقية . يظهر تأثير الدعوة في هذا الخلق في حادثة الإفك [2] ، التي ضرب فيها صفوان بن المعطّل السُلمي [3] أروع مثال للعفة والحرص على حفظ عورة المسلم .

روى الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا ١٢٠/٥ مرجع سابق .

(٢) الإفك : الكذب . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٠٣ مرجع سابق) .

(٣) صفوان بن المعطّل السلمي ، ثمَّ الذكواني ، بطن من سُليم ، شهد الخندق وما بعدها ، قال فيه ﷺ : « **ما علمت فيه إلا خيراً** » ، ضرب حسان بسيفه قائلاً :

تلقَّ ذباب السيف مني فإنني ∴ غلامٌ إذا ما اهتُجيت لست بشاعرِ

فشكاه إلى الرسول ﷺ فاستوهبه الضربة فوهبها له . خرج في الفتوحات الإسلامية ، وقتل في سبيل الله كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند البخاري . (انظر : الإصابة ابن حجر ١٨٤/٢ مرجع سابق) .

بها رسول الله ﷺ معه ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ﷺ ، بعدما أُنزل الحجاب ، فكنت أُحمل في هودجي [1] وأُنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل [2] دنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلةً بالرحيل ، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقدٌ لي من جَزْع [3] ظَفار [4] قد انقطع ، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، قالت : واقبلَ الرهط الذين كانوا يُرَحِّلوني ، فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبونَ أنِّي فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يَهْبُلْنَ [5] ولم يغشهُنَّ اللحم ، إنما يأكلن العُلْقَةَ [6] من الطعام ، فلم يستنكر القوم خِفَّة الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمَرَّ الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب ، فتيممت منزلي الذي كنت به ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثمَّ الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب ،

---

(١) الهودج : محمل له قُبة تُستر بالثياب ، يوضع على ظهر البعير ، ويركب فيه النساء .

(٢) قفل : رجع .

(٣) الجَزْع : خرز أسود .

(٤) ظَفَار : مدينة باليمن ، يُسمى بها الجَزْع الظفاري ، وقيل هي : صنعاء .

(٥) يَهْبُلْن : يُثقلهن اللحم .

(٦) العُلْقَة : القليل من الطعام . (انظر معاني ألفاظ الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٨/٤٥٨ ـ ٤٦٠ مرجع سابق) .

فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت وجهي بجلبابي ، ووالله ما تكلمنا بكلمةٍ ولا سمعت منه كلمةً غير استرجاعه وهـوى حتى أنـاخ راحلتـه ، فَوطِئَ علـى يدهـا ، فقمـتُ إليهـا فركبتُهـا ، فـانطلق يقـود بـي الراحلـة حتـى أتينـا الجيش ... » [١] .

اشتملت حادثةُ الإفكِ على أحكامٍ كثيرةٍ ، وظهرت فيها فضائلُ جمّةٌ لعائشة ولأبويها ولعلي ﷺ ، كما ظهرت فيها فضيلةُ صفوان ﷺ وحسنَ أدبه ، فقد اكتفى بالصمت بعد الاسترجاعِ مبالغةً في الأدبِ وإعظاماً لها وإجلالاً [٢] .

---

(١) صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث الإفك ٥/٥٥ مرجع سابق .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٨/٤٦٣ ، ٤٨٠ مرجع سابق .

المطلبُ السادسُ :.
الآثارُ السياسيةُ

لا ينكر المسلم العارف بتاريخ الأمة الإسلامية الأثر العظيم الذي حققته دعوة الرسول ﷺ للأعراب . والدور البارز الذي قاموا به في الدعوة والجهاد .

وإن آثار دعوة الرسول ﷺ السياسية واضحة وضوح الشمس . خاصة وأن دعوتهم وجهادهم متزامن مع بداية تأسيس الدولة الإسلامية ، وهذه الآثار على نوعين : -

الأول : آثارٌ سياسيةٌ عائدٌ نفعها على الأعراب بوجهٍ خاصٍ .

الثاني : آثارٌ سياسيةٌ عائدٌ نفعها على تكوين الدولة الإسلامية بوجه عامٍ .

أما الأولُ : فقد كانت القبائل العربية دويلات بدوية متناحرة ، لا تربطُها رابطةٌ ، ولا تأتمر القبيلة بأمر الأخرى ، ولا تدخل القبيلة ديار الأخرى إلا بعهد وأمان . وعندما دخلت في الإسلام انضووا تحت قيادة واحدة وانتهى التناحر والقتال وأمِن الناس على أنفسهم .

وأما **الأثرُ الثاني** العائد بالنفع على الدولة الإسلامية فهو : المساهمة الفعالة في بناء الدولة والدفاع عنها ونشر مبادئها على أطراف المعمورة .

وهذا مُجملٌ للآثار السياسية في العموم : -

١ - الانضواء تحت القيادة النبوية ، والأئتمار بأمرها ، وإعلان الطاعة لها . وإن أدى الأمر إلى كتابة وثيقةِ اتفاقٍ وعهدٍ . فقد كتب النبي ﷺ لبني الحُرَقَة وبني الجُرْمز من جهينة وفيها الإصرار على أداء الواجبات الدينية كشرط للأمان ، وفيها النصرة

فيما بينهم [1] .

وكتب لبني غفار أنَّ لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وإن لهم النصرة وعليهم الإجابة والطاعة إذا دعوا [2] وقد كتب الرسول ﷺ كتباً كثيرة للقبائل العربية أفراداً وجماعات ، وهذا مما زاد بسط نفوذ الدولة الإسلامية على الجزيرة العربية .

٢ ـ ساد الأمن الجزيرة العربية ، وأصبح لا يُخشى إلا الله تعالى . فقد كان في نصوص الوثائق بين الرسول ﷺ وبعض الأعراب شرط عبادة الله وأداء الواجبات وهذا يستوجب الأمان والنصرة .

٣ ـ ساهم الأعراب في تكوين الجيش المسلم بسرعة إجابة النداء إذا استُنفِروا .

روى النسائي ـ رحمه الله ـ بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : « **قال رجل : يا رسول الله ﷺ ، أي الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ما كره ربُّك عز وجل ، وقال رسول الله ﷺ : الهجرة هجرتان : هجرة الحاضر وهجرة البادي ، فأمّا البادي فيُجيب إذا دُعِي ويُطيع إذا أُمِر ، وأما الحاضر فهو أعظمهما بليَّة وأعظمهما أجراً** » [3] .

وكان الرسول ﷺ يستنفر الأعراب المسلمين من حول المدينة للجهاد ، كما في غزوتي الحديبيةَ ، وفتحِ مكة .

---

(١) انظر : الطبقات ابن سعد ٢٠٨/١ مرجع سابق .

(٢) انظر : نفس المرجع ٢١٠/١ ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د / مهدي أحمد ص ٣٣٣ مرجع سابق .

(٣) سنن النسائي كتاب البيعة باب هجرة البادي ١٦٢/٧ ، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي ٨٨٣/٣ مرجعين سابقين .

ففي الحديبية عندما استنفر الأعراب القريبين من المدينة : جُهينة ومزينة اثّاقل بعضهم وتعللوا بمعالجة الأموال والأهل ، فكانت عقوبتهم الحرمان من الخروج في غزوة خيبر والحرمان من غنائمها [١] . قال تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [٢] . وقال الله في منعهم من الخروج إلى خيبر : ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [٣] .

ثمَّ وعدَهم الله بالغنائم إن صدقوا إذا دعوا إلى قوم أولي بأس شديد ثمَّ لبوا النداء ، ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [٤] . فكان أول نداءٍ عام نداء الفتح ومِن بعده حنين ، فاستجابت للنداء تميم وغطفان وسليم والقبائل المجاورة للمدينة جهينة ومزينة وأسلم وغِفار ، فبلغ جيش الرسول ﷺ عشرة آلاف أو يزيدون .

٤ ـ جُمِعَ شمل هذه القبائل العربية المتناحرة وتوجّه ولاؤها لقيادتها المتمثلة في

---

(١) انظر : جامع البيان الطبري ١١/٣٣٩ ـ ٣٤٦ مرجع سابق .

(٢) سورة الفتح الآية ١١ .

(٣) سورة الفتح الآية ١٥ .

(٤) سورة الفتح الآية ١٦ .

الرسول ﷺ ، وساهمت هذه القبائل الأعرابية في تأسيسُ الدولة الإسلامية التي أذعرت القوى العظمى حينذاك الفرسَ والرومَ الذين كان يغيظهم اجتماع كلمة العرب .

وكان لغزوة مؤتة أثر كبير لصالح المسلمين والعرب عامة حتى الذين لم يسلموا بعد لما يجدونه من غطرسة الرومان ، وكانت هذه الغزوة نذير خطر يهدد الرومان ، فأرادوا تأديب هذه الدولة الجديدة . فجهزوا جيشاً عرمرماً قوامه أربعون ألفاً وزحفوا تجاه المدينة .

عند ذلك أعلن الرسول ﷺ الجهاد واستنفر القبائل في سنة العسرة فخرج في ثلاثين ألف مسلم ، لم تشهد الجزيرة العربية كهذا العدد ، حتى بلغ تبوك ، ودخلت كثير من القبائل المتاخمة للروم في الإسلام . وعندما علم الرومان وحلفاؤهم بهذا الزحف فروا وتفرقوا في بلادهم وكفى الله المؤمنين القتال [1] .

---

(١) انظر : الرحيق المختوم المباركفوري ص ٤٨٢ ـ ٤٩٠ مرجع سابق ، السيرة النبوية الندوي ص ٣٦١ ـ ٣٦٤ دار الشروق جدة ط٧ بدون تاريخ .

الفصلُ الخامسُ

مظاهرُ الاستفادةِ من منهج دعوة النبي ﷺ في دعوة الأعرابِ في العصر الحاضر

- **توطئـــــةٌ .**
- **المبحثُ الأولُ :**

الاستفادةُ من موضوع دعوةِ النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر .

- **المبحثُ الثاني :**

الاستفادةُ من وسائلِ دعوة النبي ﷺ وأسـاليبها في العصر الحاضر .

توطئـــــةٌ :ـ

بعد قضاءِ رحلـةٍ مباركـةٍ في ريـاض السـيرة النبويـة ، ومعاينـة شـيء مـن مواقـف النبي ﷺ ومعاملته للأعـراب ، واستنباط موضـوع دعوتـه لهـم ، ووسـائل تبليغهـم الدعوة ، والأساليب التي تعامل معهم بها . أصبح لزاماً عليَّ بيان إمكانية تطبيق ذلـك المنهج النبوي في دعوة أعراب العصر الحاضر .

ومن المجزوم به مسبقاً إمكانية الاستفادة والتطبيق لأن أقوال النبي ﷺ وأفعاله مؤيدة بوحي من ربه ، وصالحة لكل زمان ومكان .

وقبل الدخول في هذا الموضوع لزم التوطئة له بالإجابة على تساؤلاتٍ ثلاثة :

الأولُ : ما وجه التشابه بين الأعراب في العصر النبوي والعصر الحاضر ؟

الثاني : ما مدى تأثير وسائل الاتصال الحديثة في الأعراب سلباً وإيجاباً ؟

الثالث : هل وسائل الدعوة توقيفية أو اجتهادية ؟

وهذه إجابةٌ لهذه التساؤلاتِ الثلاثة :ـ

أولاً : أوجه التشابه بين الأعراب في العصر النبوي والعصر الحاضر

إجابة هـذا السـؤال كامنـة في قـول الله تعـالى : ﴿ **الأَعْـرَابُ أَشَـدّ كُفْـراً وَنِفَاقـاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١) .

إن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، تـنزيلٌ مـن الـذي خلـق فسـوى ، ومـا جـاء فيـه مـن وصـف فهـو حـق لا مريـة فيـه لأنـه وصـفُ مَـن خَلَـقَ

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٧ .

الموصوفَ . والأعرابُ وصفَهم الله بأنهم أشد من غيرهم في الكفر والنفاقِ ، ولهذه الصفات الذميمة علّةٌ ، ببقائها يبقى الوصف ، وبزوالها يزول الوصف ، والعلّةُ هي :

١ ـ بُعدهم عن العلم ، وسماع التنزيل ، ومعرفة السنن .

٢ ـ أنهم أقسى قلباً وأغلظ طبعاً وأجفى قولاً لمؤثرات بيئتهم وتوحشهم في الصحاري [(١)] .

وعلى هذا فإن ساكن البادية المتنقل في أصقاعها ، المتمرس على قساوة طبيعتها والمنشغل بمعالجة الإبل ، وشرب ألبانها ، وأكل لحومها ، الزاهد في تعلُّم العلم ومعرفة الشرائع والأوامر والنواهي ، باقٍ على هذا الوصف الذميم في أي زمان ومكان . لأن علة الذم لم تزل موجودة .

وقد ذكر المفسرون قصة أعرابي بعد عصر الرسول ﷺ ، وقد فتحت الأمصار وانتشر العلم ، تدل على جهل الأعراب ، وأنهم أجدر ألا يعرفوا الشرائع والأوامر . وهذه القصةُ (أن زيدَ بن صوحانٍ [(٢)] كان يُحدِّث ، وكانت يده قد قطعت في نهاوند [(٣)] . فقال أعرابي : إن حديثك ليعجبني وأن يدك لـتريبُني . فقال : أما تراها

---

(١) انظر : جامع البيان الطبري ٤٥٠/٦ ، زاد المسير ابن الجوزي ٤٨٨/٣ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٣١/٧ ، فتح القدير الشوكاني ٣٩٥/٢ ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ابن سعدي ٢٨٦/٣ مراجع سابقة .

(٢) زيد بن صوحان العبدي ، أبو سليمان ، أدرك النبي ﷺ وله صحبة ، كان فاضلاً ديناً سيداً في قومه ، شهد الجمل مع علي رضي الله عنه قطعت يده في نهاوند ، وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن ينظر إلى من يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد بن صوحان** » قُتِل يوم الجمل (انظر : الإصابة ابن حجر ٥٦٥/١ مرجع سابق) .

(٣) نهاوند : مدينة من أعمال العراق ، ماؤها عذب ، وشجرها كثير ، فتحها المسلمون سنة ٢١ هـ بقيادة النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه (انظر : معجم البلدان الحموي ٣٦١/٥ مرجع سابق) .

الشمال ؟ فقال الأعرابي : والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال ؟ قال زيد : صدق الله ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [١])[٢] .

وهذا لا يعني أن كل الأعراب مذمومون بل قد أثنى الله على صنف منهم يؤمنون بالله وينفقون في سبيله . قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ الأعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرّسُولِ أَلآ إِنّهَا قُرْبَةٌ لّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ** ﴾ [٣] .

قال ابن سيرين ـ رحمه الله ـ (إذا تلا أحدكم هذه الآية ﴿ **الأَعْرَابُ أَشَدّ كُفْراً وَنِفَاقاً ...** ﴾ فليقل الآية الأخرى ولا يسكت ﴿ **وَمِنَ الأعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾)[٤] .

ثانياً : مدى تأثير وسائل الاتصال الحديثة في الأعراب سلباً وإيجاباً

إن هذا العصر المادي الزاخم بأحدث المخترعات التكنولوجية ، التي سهلت انتقال الإنسان من مكان إلى آخر في أسرع وقت ، ونقلت أحداث العالم وثقافات الأمم صوتاً وصورة عبر موجات الأثير ، جعلت العالم وكأنه يعيش في قطعة صغيرة من الأرض متقاربة الأطراف .

---

(١) سورة التوبة الآية ٩٧ .

(٢) جامع البيان الطبري ٤٥٠/٦ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤٨١/٣ مرجعين سابقين .

(٣) سورة التوبة الآية ٩٩ .

(٤) الدر المنثور السيوطي ٤٨٢/٣ مرجع سابق .

وتداخُلِ الثقافات والأخلاق غثها وسمينها مؤثر في الإنسان . لكـن يتفـاوت التأثـير من أمةٍ لأمة بقدر قوتها الاعتقادية والفكرية والمادية التي تقف سداً منيعاً في وجه كـل غزو فكري .

وكذلك فإن الأمة المؤثرة في غيرها يتحدد تأثيرها بقدر قوتها وتسخير إمكاناتها في نقل أفكارها إلى غيرها مـن الأمـم بالوسـائل والأسـاليب المؤثـرة ، أو استخدام هـذه الوسائل على سبيل الإفساد وتدمير الشعوب أخلاقياً وسلوكياً .

وقـد تـأثرت أخـلاق المسـلمين وسـلوكياتهم ، وعقـائدهم بهـذه الثقافـات والسلوكيات تأثراً لا يُنكره إلا مكابر . وما الأعراب إلا جزءٌ من هذا المجتمع المُتأثر ، يمتارون من أسواقه ، ويتعلمـون في مدارسه ، ويَفِـدون على رؤسـائه ، وبنـوا الهجـر والقرى التي يصلها من وسائل الحضارة المادية الحديثة ما يصل المـدن . فهـم لا شـك متأثرون ، بل هـم أجـدر بذلـك ، لقلـة علمهـم وجهلهـم ، والأفكـار والسـلوكيات المنقولة إذا وجدت قلوباً فارغة من الديانة والعلم والمعرفة فستجد لها مرتعاً خصباً . إلا من كان بعيداً عن المدن ، تاركاً استيطان القُرى والهجـر ، نـافراً مـن تـرف الحضـر ، معرضاً عن وسائل الإفساد فهو أقل تأثُراً بمساوئ هذه الوسـائل . وهنـا تظهـر إيجابيـة سُكنى البادية الـتي امتدحهـا النبي ﷺ في آخـر الزمـان عنـد كـثرة الفـتن [1] ، لكنهـا مشـروطة بمعرفـة مـا يتعـين معرفتـه مـن علـوم الديـن [2] . روى الإمـام

(١) الفتن : جمع فتنة ، وتُطلق على كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٣/١٣ مرجع سابق) .
ومن ذلك كثرة الذنوب والمعاصي ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واشتباه المعروف بـالمنكر والخوف من مقارفته .

(٢) انظر : نفس المرجع ٤٣/١٣ .

البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن** »[1] . ذكره البخاري في مواضع من صحيحه كتاب الإيمان باب من الدين الفرار من الفتن ، وفي كتاب الرقاق باب العزلة راحة من خلاّط السوء ، وفي كتاب الفتن باب التعرب في الفتنة . وخلاصة ذلك أن التحول من سُكنى الحاضرة إلى سُكنى البادية خيرٌ عند كثرة الفتن وبضوابط شرعية[2] .

إن إيجابيات وسائل الاتصال لا تُنكر أيضاً فقد سهلت تنقل الأعراب ، وساعدت في نشر التعليم ، إلا أن السلبيات شاخصة للأبصار . وذلك دليل قصور الداعية والمعلم والإعلام .

وإن من الوسائل الحديثة المؤثرة في الأعراب الإذاعة وخاصة البرامج الشعبية كبرنامج البادية الإذاعي والتلفزيوني هذا البرنامج يحرص الكثير منهم على الاستماع إليه لما يرد فيه من قصص الأعراب ، وشجاعتهم وكرمهم وأشعارهم .

إن هذا البرنامج الإذاعي يحسُن توجيهه ليكون أكثر إيجابية ، بحيث تُختار القصص والأشعار التي تدعو إلى تصحيح العقيدة وأداء العبادات ومكارم الأخلاق ، وقصص السلف الصالح .

أو إعداد مثل هذا البرنامج على أشرطة الكاسيت ويكون على شكل حلقات متتابعة تُنتقى فيه القصائد الجيدة المسبوكة على شكل ملاحم لقصص الأنبياء

---

(١) صحيح البخاري كتاب الفتن باب التعرب في الفتنة ٩٤/٨ مرجع سابق .

(٢) انظر هذه الضوابط بشيء من التفصيل في رسالة الماجستير المطبوعة المسماة الغلو في حياة المسلمين المعاصرة عبدالرحمن اللويحق ص٤٩١ مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٣ هـ .

والصالحين أو التي تدعو إلى أداء العبادات ومكارم الأخلاق .

ويُدعى الشعراء للمشاركة بعد وضع ضوابط للقصائد الصالحة للنشر .

ويكون بين القصيدة والأخرى تعريفٌ بصحابي ، أو محادثة بين اثنين تبين كيفية الوضوء مثلاً ، أو تصحيح مفاهيم خاطئة ..

ثالثاً : هل وسائل الدعوة توقيفية أو اجتهادية ؟

تعددت في هذا العصر وسائل الإعلام من مسموع ومرئي ومقروء واختلط فيها الخير بالشر . وتباينت آراء المصلحين في استخدامها وخاصة التلفاز إلى آراء ثلاثة :

١ - معارضة استخدامها كليّاً باعتبارها وسيلةً للدعوة . وحجتهم في ذلك حرمة التصوير ، وكون وسائل الدعوة توقيفية [1] ، ولما يحمله من معاول هدم للأخلاق [2].

٢ - استخدامها على الإطلاق والقول بأنها وسيلة دعوية .

٣ - استخدامها في الدعوة بضوابط خمسةٍ : - [3]

١ - النص على مشروعية الوسيلة في الكتاب والسنة .

٢ - النص على تحريم الوسيلة في الكتاب أو السنة فتكون محرمة .

---

(١) انظر : التمثيل حقيقته وتاريخه وحكمه لفضيلة الشيخ الدكتور / بكر أبو زيد ص٥٠ دار الراية الرياض ط١ ١٤١١ هـ .

(٢) انظر : حكم الإسلام في وسائل الإعلام الشيخ / عبدالله ناصح علوان ص ٨ ـ ٢٧ دار السلام القاهرة ط٥ ١٤٠٥ هـ .

(٣) انظر : المدخل إلى علم الدعوة د/ البيانوني ص ٢٨٧ - ٣٢٣ مرجع سابق .

٣ ـ دخول الوسيلة في دائرة المباح أخذاً بقاعدة الأصل في الأشياء الإباحة ، فتكون مباحة ما لم يعرض لها عارض يخرجها عن الأصل . كالوسيلة المشوبة التي اختلط فيها الحلال بالحرام مثل التلفاز .

٤ ـ خروج الوسيلة عن كونها شعاراً لكافر .

٥ ـ الترخيص في استعمال بعض الوسائل الممنوعة في بعض الأحوال مثلَ إباحةِ الكذبِ في الإصلاحِ بين الناس .

ولعل الحقَ في ذلك القول بأن لكل عصر ما يُناسبه ، والداعية الحكيم يستعين في دعوته بكل وسيلة مشروعة ويختار الوسائل المناسبة لكل عصر ومصر [(١)] ، ووسائل الدعوة اجتهادية متطورة يعود اختيارها واستخدامها لحكمة الداعية وعلمه الفاحص الذي يعرض عليه هذه الوسائل ، ويقدر مصالحها ومفاسدها ، ويعرضها على قواعد الشريعة ، ويُطهِّر ما يستطيع تطهيره منها مما شابها من محرمات ثمَّ يستخدمُها .

مع أنه يجبُ التمييزُ بين الوسائلِ والمناهج ، فإن أُريدَ بوسائل الدعوةِ منهجُ الأنبياءِ في الدعوةِ ، كضرورةِ الدعوةِ إلى التوحيدِ أولاً ، وترسيخِ العقيدةِ ، ونبذِ الشرك ، فهذا أمرٌ توقيفيٌ لا مجالَ للاجتهاد فيه .

أما الوسائلُ التي هي قنواتُ نقل الدعوة فهي اجتهاديةٌ بشرطِ ضبطِها بضوابطِ الشرعِ [(٢)] والله تعالى أعلم .

---

(١) انظر : الحكمة في الدعوة إلى الله سعيد القحطاني ص ١٢٧ ـ ١٢٨ مرجع سابق .

(٢) انظر : منهج الدعوة إلى الله أمين أحسن إصلاحي ص ٥٤ ـ ٦١ دار نشر الكتاب الإسلامي الكويت بدون تاريخ ، المدخل إلى علم الدعوة البيانوني ص ٢٧٨ ـ ٣٢٣ مرجع سابق ، بحث د/ عبدالله التهامي المسمى (الوسائل وأحكامها في الشريعة الإسلامية) المنشور في مجلة البيان العدد ١٠٥ ، ١٠٦ من عام ١٤١٧ هـ .

المبحثُ الأولُ :.

الاستفادةُ من موضوع دعوةِ النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر .

وفيه ثلاثةُ مطالبَ

المطلبُ الأولُ :.

دعوةُ الأعرابِ في العصر الحاضر في مجال العقيدةِ

المطلبُ الثاني :.

دعوةُ الأعرابِ في العصر الحاضر في مجال الشريعةِ

المطلبُ الثالثُ :.

دعوةُ الأعرابِ في العصر الحاضر في مجال الأخلاقِ

المطلبُ الأولُ :.

دعوةُ الأعرابِ في العصرِ الحاضرِ في مجالِ العقيدةِ

إن ترسيخَ العقيدة في النفوس أهم ما دعا إليه النبيُّ ﷺ والأنبياء من قبله . ونحن ملزمون باقتفاء أثرِ النبيِّ ﷺ في أقواله وأفعاله ومنهج دعوته ، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

من منهج دعوة النبي ﷺ نرى تقديم الأهم على المهم . ومن هذا المنهج نتعلم مواجهة الصعوبات وتذليل العقبات ، ومن هذا المنهج نتعلم كيفية تحديد الأهداف والغايات التي نريد تحقيقها .

إن أصل كل شيء هو أساس بقائه وقاعدة تكوينه ، وأصل الدين مقدمٌ على فروعه ، وبقدر تَمَكُّن هذا الأصل في النفس يبقى الدين ويستمر ويصمد أمام العقبات . وفي دعوة النبي ﷺ للأعراب كانت أولويات دعوتهم ترسيخ هذا الأصل مراعياً حالاتهم المتفاوتة ، فالمبتدئ في الإسلام ليس كالذي مرت عليه أيام يمارس عباداته ، والبعيد عن المدينة ليس كالقريب منها .

وبهذا المنهج النبوي يُدعى أعراب هذا العصر إن أراد الدعاة والمصلحون قبول دعوتهم ، ولتكن على هذا الترتيب مع مراعاة الأحوال والأمكنة :

١ ـ تقرير توحيد العبادة وتفسير كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » ولو أن أعراب العصر النبوي لم يسألوا عن معناها لأنهم يعرفون معناها وأنها تنفي جميع المعبودات من دون الله فبمجرد قبولها ينسلخون من كل ما ينافيها . أما أعراب هذا العصر فيحتاجون إلى الداعية المتعلم الذي يفسر هذه الكلمة ، ويبين نواقضها وكل ما ينافيها

ويدعو إلى نبذ الشرك بجميع أنواعه .

٢ ـ توجيه عقل الأعرابي إلى التدبر في مخلوقات الله ، والنظر في ملكوت السموات والأرض ، وتأمُل أحداث الكون ، واستثارة الفطرة السليمة المستقرة في النفس التي تشهد بربوبية الله ، ومن ثمَّ جرها إلى طاعة الله وإخلاص العبادة له . فكيف يُعصى من بيده تصريف الأمور ، القاهر فوق عباده .

٣ ـ تعليمهم أركان الإيمان ، والإيمان بالغيب من خلال الأدلة العامة والخاصة بالأعراب ، والتركيز على الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أهوال بدءاً من سكرات الموت والقبر والبعث والنشور ، وعرض هذه الصور بأمثلة قريبة من ذهن الأعراب ، كما كان يعرضها الرسول ﷺ عندما يصف حالة مَن عُذِّب من المؤمنين في النار وهم خارجون منها جماعات فيُلقون على أنهار الجنة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل [1]. ويرغبهم في الجنة ونعيمها وما أعده الله لعباده الصالحين ، مع الاستشهاد بمساءلة الأعراب للنبي ﷺ عن الجنة وأوصافها وتقديم أرواحهم من أجل نيلها ، والاشتياق إليها . وفي ذلك ما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه « **أن النبي ﷺ كان يُحدِّث وعنده رجلٌ من أهل البادية ، أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربَّه في الزرع ، فقال : أولست فيما شئت . قال : بلى ، ولكني أُحب أن أزرع ، فأسرع وبذر فتبادر الطَّرْفَ [2] نباتُه واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال . فيقول الله تعالى : دونك يا ابنَ آدم فإنه لا يُشبعُك شيء . فقال**

---

(١) انظر الحديث ص٩٣ .

(٢) فتبادر الطَّرْف : امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ، ويطلق على حركة جفن العين . (انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر ٥/٢٧ مرجع سابق) .

الأعرابيُّ : يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسولُ الله ﷺ » [1] .

٤ ـ تصحيح الألفاظ الشركية والموهمة كما كان يصحح الرسول ﷺ ألفاظ الأعراب مثل استشفاعهم با لله على الرسولِ ﷺ فبين لهم أنه لا يُستشفع با لله على أحد من خلقه [2] .

وإن في أعراب العصر الحاضر كثيراً من الألفاظ الشركية كالحلف بغير ا لله ، ومساواة الخالق بالمخلوق بحرف العطف الواو .

وكذلك من الألفاظ المُنكَرة قول أحدهم إذا أراد مدح آخر (هذا وجه الرحمن) وهذا شركٌ في الأسماء والصفات . والداعية من خلال بيانه لبطلان هذا اللفظ يقرر توحيد الأسماء والصفات ، وبيان مذهب السلف في هذا الباب وتنزيه الخالق سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به .

٥ ـ إنكار التحاكم إلى غير شرع ا لله من التحاكم إلى الأعراف والعادات القبلية ، وبيان تحريم ذلك وأنه من نواقض الإسلام ، والاستدلال على ذلك بما أنكره الرسول ﷺ على الأعراب عند محاولة معارضة أحدهم حكم ا لله بدعوى سجعية عندما قال : أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل فمثلُ ذلك يُطلّ . فقال له

---

(١) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب كلام الرب مع أهل الجنة ٢٠٦/٨ مرجع سابق ، وانظر الحديث ص٩٢ ، ١٣٠ . وفيه اشتياق الأعرابي للجنة ، عندما سمع أوصافها من الرسول ﷺ فقال بصراحته « لمن هي يا رسول ا لله ؟ » .

(٢) انظر الحديث ص٩٦ .

الرسـول ﷺ : « **أسجع الجاهليـةِ وكهانتِهـا** »[1] . وإن الأعـراب في هـذا العصـر يقولون مثل هذا السجع وهم يتحاكمون إلى رؤساء عشائرهم .

(١) انظر الحديث ص٩٨ ، ٩٩ .

المطلبُ الثاني :.
دعوةُ الأعرابِ في العصر الحاضر في مجال الشريعة

جاءت أركانُ الإسلامِ كما بينها الرسول ﷺ مرتبة بحسب أهميتها ، وأمر ﷺ بالتدرج في الدعوة إليها وتعليمها .

والمطلع على سنة الرسول ﷺ وسيرته ودعوته وتعليمه للأعراب ومراعاته لطبيعتهم وأحوالهم ، يرى التشابه بين أخطاء أولئك الأعراب في العصر النبوي وأخطاء هؤلاء في العصر الحاضر . وحينئذٍ تظهر أهمية الاستفادة من منهج النبي ﷺ في دعوته للأعراب عند دعوة وتعليم الأعراب في العصر الحاضر . وتظهر أيضاً صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان وشمولية تعاليمه وتوافقها مع طبيعة البشر واختلاف أحوالهم .

إن من المتحتم على الداعية بين الأعراب تعليمهم الأمور الآتية ، مراعياً التدرج في أركان الإسلام ، والزمان الذي يتوافق مع لقائه معهم ، ويؤيد ما يقول عملياً ونظرياً بالأدلة الخاصة بالأعراب من سنة الرسول ﷺ [1] . وهذه الأمور هي : ـ

١ ـ الوضوء شرط في الصلاة وتعليمه عملياً أبلغ في الفهم واستيعاب الكيفية ، خاصة وأنه تختلف مسميات الأعضاء مثل تسمية المرفق بالكوع ، فالتعليم النظري قد يوهم في فهم المعنى .

٢ ـ التيمم عند انعدام الماء وكيفيته ومن خلاله يُبيَّن يسر الدين .

٣ ـ طهارة المكان المُعدّ للصلاة والتحذير من الأماكن التي لا تجوز فيها الصلاة مثل

---

(١) انظر الأدلة على تعليم الأعراب الشريعة من ص١٠٧ ـ ١٢١ .

أعطان [1] الإبل ، وبيان كيفية إزالة النجاسة .

٤ ـ احترام المساجد والأماكن المعدَّة للصلاة من خفض للصوت ، وطهارة للملبس وصيانتها من الابتذال .

٥ ـ تعليمهم كيفية أداء الصلاة وأركانها وواجباتها وأهمية الخشوع عند أدائها واستشعار رهبة الوقوف بين يدي الله ، والاستدلال بأمر الرسول ﷺ الأعرابي المسيء صلاته بإعادتها مراراً .

٦ ـ تعليمهم شيئاً من القرآن مع تفسير معانيه وبيان فوائده والدعوة إلى تدبره .

٧ ـ تعليمهم أوقات الصلاة وأفضل أدائها على منازل الشمس وعلامات انفصال الليل عن النهار كما علّم الرسول ﷺ الأعرابي .

٨ ـ تعليمهم الواجب في زكاة أموالهم .

٩ ـ تعليمهم الصوم وكيفية ثبوته وخروجه ، ومفطرات الصوم .

١٠ ـ تعليمهم الحج نظرياً وعملياً مثل كيفية لبس الإحرام ، ورمي الجمرات ، وحجم الحصى في الرمي .

أما النوافل فكان الرسول ﷺ يُميّز بين الصادق الراغب في أدائها المُتقن للفرائض ،

---

(١) أعطان الإبل : جمع معطِن بكسر الطاء ، وهي ما تُقيم فيها وتأوي إليها ومباركها . (انظر : حاشية الروض المربع ابن قاسم ٥٣٩/١ مرجع سابق) .

روى الترمذي ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة ﷺ قال : « **قال رسول الله ﷺ : صلوا في مرابض الغنم ، ولا تصلوا في أعطان الإبل** » سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في الصلاة في مرابض الغنم وأعطان الإبل ١٨١/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ١١٠/١ مرجعين سابقين .

وبين الحديث عهدٍ باستقامة ، الذي لم يتمكن الإيمان من قلبه ويُخشى عليه النفور ، وبين القليل حفظاً للقرآن ، فيأمر كلاً منهم بما يليق به ويستطيعه [1] .

---

(١) انظر الأدلة على تعليم الأعراب السنن : ص١١٢ - ١١٣ .

المطلبُ الثالثُ :ـ

دعوةُ الأعرابِ في العصرِ الحاضرِ في مجالِ الأخلاقِ

الأخلاقُ الحميدةُ من دعائم بقاء الأمم . ومهما بلغت الأمم في الأخلاق فلن تبلغ مبلغ أمة محمد ﷺ لأنها استمدت منهج أخلاقها من الوحي .

وأخلاق الأعراب في هذا العصر لا تختلف كثيراً عن أخلاق الأعراب في العصر النبويِّ فلم يبق على الداعية إلا تأمُّل معاملة الرسول ﷺ للأعراب ثمَّ اختيار الطريقة المثلى التي يجلأ بها الشوائب التي لحقت بعض الأخلاق ، أو يوجه الغايات والمقاصد المنحرفة في بعض الأخلاق ، أو يجتهد في القضاء على الأخلاق الذميمة . وهذه بعض أخلاق الأعراب التي يجب على الداعية أن يوليها اهتمامه [1] :ـ

١ ـ الشجاعة خلق بارز من أخلاق الأعراب ، لكنها قد تكون في الظلم ، والاعتداء ، والعصبية ، ونصرة القريب ولو كان ظالماً .

فعلى الداعية أن يستثير هذا الخلق في نفوسهم ويمدحهم بهذه الصفة ، ثمَّ يبدأ يوجه أهدافها وغاياتها بحيث تكون شجاعة في كظم الغيظ وبذلك ينتصر على الشيطان وهذا أعلى مقامات الشجاعة ، ثمَّ قول الحق والصبر عليه ، ثمَّ الجهاد في سبيل الله وجزاء ذلك كله الجنّة . وفي المقابل يُذَم الجبن وأهله وآثاره التي منها الذل واستهانةُ الآخرين به ، وأن الرسول ﷺ ذمه واستعاذ منه .

وفي هذه الأثناء يجب أن يتصف الداعية بهذه الصفة ولا يُرى عليه دروشةٌ ولا

---

(١) انظر نماذج من تعليم الرسول ﷺ الأخلاق للأعراب ص١٢٩ ـ ١٣٥ .

مسكنة ولا ضعف لأنها تؤدي إلى احتقاره ، وتبعاً لذلك تُحتقر دعوته .

٢ ـ الكرم صفة الأنبياء ، ومفخرة الشرفاء ، وللأعراب السبق فيه ، وجزاء الكريم الجنة إن أراد به وجه الله . فمن كان الكرم سجية له فما عليه إلا إخلاص النية فيه ، وصلة الأرحام به ، وسد حاجة المعوز . يذكر الداعية فضل الكرم ومواقف الكرماء وأمثلة من روائع كرم أصحاب الرسول ﷺ من أهل المدينة ومن الأعراب .

٣ ـ العفّة : وهي الكفُّ عمّا لا يحل ويجمل ، ويقال : الكف عن المحارم والأطماع الدَّنية [1] .

والداعية بين أعراب العصر الحاضر يضرب لهم أمثلة من عفة الأعراب في العصر النبوي [2] وأن الكريم الشجاع يرتفع عن الدنايا . فالنظر إلى عورات المسلمين دنيّة يتعفف عنها المسلم ، وأخذ أموال الضعفاء دنية ، وبيع المحرمات دنية ، وهكذا تُذم الدنايا دون ذكر الموصوفين بها .

٤ ـ القسوة وغلظ القلب :ـ وهي من صفات الأعراب . وربما عدّوها من ضروب الشجاعة ، وهذا غلط منبعه الجهل والجفاء ، وقد ذمه الرسول ﷺ عندما افتخر به أحد الأعراب [3] . وإن قلوباً لا تلين لذكر الله ، وذكر العذاب والموت ، لهي أقسى من الحجارة أو أشد قسوة . وإن تغيير هذا الخُلق عند أعراب العصر الحاضر يحتاج إلى إتباع الأمور الآتية :ـ

أ ـ بيان خطأ ربط هذا الخُلق بالشجاعة والاستدلال على ذلك بالأنبياء الذين

---

(١) لسان العرب ابن منظور ٢٥٣/٩ مادة (عفف) مرجع سابق .

(٢) حادثة الإفك التي ظهرت فيها عفة صفوان بن المعطل ﷺ وأدبه . انظر : ص٣٦٦ ـ ٣٦٨ .

(٣) انظر : ص٣٣٣ ، وهو الأقرع بن حابس التميمي .

هم أكمل الخلق ، جمعوا كل الصفات الحميدة ، ولم يتصفوا بهذه الصفة ، بل كانوا أرق قلوباً ، ومع ذلك هم أشجع الناس . ويُضرب على ذلك أمثلة من سير الصحابة الذين تخشع قلوبهم ، وتذرف عيونهم وهم صناديد عند اللقاء .

ب ـ الترهيب من عواقب قسوة القلب في الدنيا والآخرة والاستدلال على ذلك بمثل قول الله تعالى : ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَـئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [1] .

جـ ـ بيان فوائد لين القلب ، حيث الخشوع والخشية ، وقبول الحق ، والألفة والعطف على الناس ، والطمأنينة ، والعاقبة الحميدة في جنات النعيم .

٥ ـ الحميّةُ : وهي القوة الغضبية إذا ثارت وكثرت [2] . وهي من صفات الأعراب لكنها على نوعين : محمودٌ ومذموم .

أما المحمود فما كان أنفةً وغيرةً أن تنتهك محارم الله .

وأما المذموم : ما أضيف إلى الجهل ، كحمية الجاهلية التي لا يُراعى فيها حقوق الله [3] .

وعند دعوة الأعراب لا بُدَّ أن يكون في حسبان الداعية استحكام هذه الصفة في نفوسِهم . والمواجهة بذم الحميّة مطلقاً مجانب للحكمة . فلتُمدح الحميَّة على أنها

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٢ .

(٢) القلب ووظائفه في الكتاب والسنة سليمان اليماني ص ٣٩٩ مرجع سابق .

(٣) انظر : نفس المرجع ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

دليل الأنفة والغيرة ، وقد اتصف بها أكمل الخلق ﷺ فقد كانت تأخذه الحميّة .

ويُستدلُّ على ذلك بمثل ما رواه أبو داود ـ رحمه الله ـ بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : « **طلَّق عبد يزيد** [1] **أبو ركانة واخوته** [2] **أم ركانة ، ونكح امرأةً من مُزينة ، فجاءت النبي ﷺ فقالت : ما يُغني عنّي إلا كما تُغني هذه الشعرة** [3] **، لشعرة أخذتها من رأسها ، فَفرِّق بيني وبينه . فأخذت النبي ﷺ حميةٌ** [4] **فدعا بركانة واخوته ، ثمَّ قال لجلسائه : أترون فلاناً يُشبه منه كذا وكذا ، من عبد يزيد ، وفلاناً يشبه منه كذا وكذا . قالوا : نعم . قال النبي ﷺ لعبد يزيد : طلقها . ففعل . ثمَّ قال : راجع امرأتَك أمَّ ركانة ...** » [5] .

لكن هل كانت هذه الحميّة في حقٍ أو باطل ؟

لا شك أنها في حق ، وحاشاه أن يغار ويغضب في باطل . إن دعوى هذه المرأة ضد عبد يزيد اتهامٌ لأمِ ركانة في شرفها ، وهي زوجته وأم ولده ، فوجب الذبُّ عن عرضها .

إنّ على الداعية بعد بيان مثل هذه الحميّة المحمودة ، ينتقل إلى بيان الحميّة المذمومة الجاهلية التي لا يُراعى فيها حقوق الله وحقوق الآخرين .

---

(١) عبد يزيد بن هاشم بن عبدمناف والد ركانة ، أسلم يوم الفتح . وركانة هذا هو الذي طلب من النبي ﷺ أن يصارعه فإن صرعه فذاك دليل صدق نبوته فتصارعا فصرعه النبي ﷺ ، أسلم يوم الفتح ، ونزل المدينة ، ومات في أول خلافة معاوية (انظر : الإصابة ابن حجر ٤٢٤/٢ ، ٤٠٦/١ ، تقريب التهذيب ابن حجر ص ٢١٠ مرجعين سابقين) .

(٢) واخوته : أي اخوة ركانة وأمهم أم ركانة .

(٣) ما يُغني عني إلا كما تُغني هذه الشعرة : تريد أنه عنين .

(٤) فأخذت النبي ﷺ حمية : أي غيرة وغضب . (انظر في معاني غريب الحديث عون المعبود شرح سنن أبي داود لشمس الحق العظيم آبادي ١٩١/٦ مرجع سابق) .

(٥) سنن أبي داود كتاب الطلاق باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث ٢٥٩/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤١٣/٢ مرجعين سابقين .

المبحثُ الثاني :-

الاستفادةُ من وسائلِ دعوة النبي ﷺ وأساليبِها في العصر الحاضر .

المطلبُ الأول :-

الاستفادةُ من وسائلِ دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر .

المطلبُ الثاني :-

الاستفادةُ من أساليب دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر .

المطلبُ الأولُ :.

الاستفادةُ من وسائل دعوة النبي ﷺ للأعراب في العصر الحاضر

١ ـ العرضُ على القبائلِ :ـ

أ ـ في الأسواقِ :ـ

يُقيم الأعراب في البوادي البعيدة أسواقاً لمدة يومٍ في الأسبوع يتوافد إليها المئات ، ويتوافد إليها كثيرٌ من تجار الحاضرة لتسويق تجاراتهم .

وفي المقابل يتوافد إليها الأعراب لبيع الإبل والغنم ومنتجاتها ، ويشترون حاجياتهم من هذه الأسواق .

إن الوصول إلى هذه الأسواق سهل ومُيسر في هذا الزمان . ولم يبق إلا الدعاة الذين ينتهزون مثل هذا التجمع الأسبوعي يُقدِّمون من خلاله دعوة الرسول ﷺ ويتخذون فيها أمكنة للدعوة والتعليم والفتيا .

ب ـ في الحج :

إن استغلال فرصة دعوة الأعراب في الحج مهمة لأمرين :ـ

الأول : فرصة التجمع والقدوم إلى المشاعر .

الثاني : أنهم في وقت أداء عبادة فيكونون أقرب لقبول الخير والاستجابة والتأثُّر .

إن هذا الزمان والمكان وسيلة مُيسرة لتعليمهم كيفية أداء النسك وما يتيسر من الواجبات الأخرى .

٢ ـ البعوث :ـ

كان الرسول ﷺ يبعث البعوث أفراداً وجماعاتٍ [١] لدعوة الأعراب وتعليمهم القرآن ، ويلاقي فيها أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ مشقة البُعد ، وقلة الزاد ، والخوف على النفس ، والتعرض للقتل . أما الآن فيجوب الإنسان آلاف الأميالِ في ساعات ، والزاد وافر ، والطريق آمنة . فيُمكن الاستفادة من هذه الوسيلة بتسيير البعوث التي يُختار لها الأكفاء من الدعاة والمعلمين تتوغّل في البوادي وتُقيم المخيمات التي تستضيف فيها الأعراب ، يعلمونهم أصول العقيدة والعبادات ، ويتبادلون معهم الزيارات في منازلهم .

وقد كانت رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تقوم بإرسال مثل هذه البعوث ولم تستمر طويلاً . وكذلك تقوم وزارة المعارف السعودية بإقامة مدارس محو الأمية في الإجازات الصيفية في الهجر والقرى البعيدة ولا تُنكر فائدتها ، إلا أنها يجب أن تكون أكثر عمقاً في تعليم أصول العقيدة والعبادات والقرآن . ويتحقق هذا إذا تعاونت جهات الدعوة والإرشاد الرسمية والمحتسبة مع وزارة المعارف .

بعوثُ جباةِ الزكاةِ :ـ

تقوم الدولة ممثلةً في مصلحة الزكاة والدخل بإرسال حملات جباة الزكاة للأعراب يجوبون البوادي في جميع مناطق المملكة . وهذه الحملات تُمثل السلطة ، ولهم حق الطاعة واستخدام القوة في جباية الزكاة . وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ومن الممكن الاستفادة من هذه الحملات وبعثُ الدعاة معهم .

---

(١) انظر نماذج من بعوث الرسول ﷺ للأعراب من ص١٦٨ ـ ١٧٢ .

٣ ـ الوفود :

كان الأعراب يفدونَ [١] على الرسول ﷺ لإعلان الإسلام وتعلُّم الدين وكسب عطايا الرسول ﷺ . أما الآن فغالبهم يفِدون على الملوك والأمراء لنيل العطايا ، وقد يكون من الصعوبة استغلال هذه الوفادة للدعوة .

لكن بطريق آخر يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة عن طريق قضاة المحاكم الشرعية التي تُقيمها الدولة في القرى والهجر .

إن وظيفة القاضي الشرعي تُضفي عليه مهابة ومكانة اجتماعية يستمدها من قوة الصلاحيات التشريعية والأحكام التي يصدرها . واستغلال هذه المكانة في الدعوة تؤتي ثمارها بإذن الله تعالى .

فلو كان له يومٌ في الشهر يستضيف فيه رؤساء القبائل وأعيانهم ، يُحسن ضيافتهم ، ويُشعرهم بمنزلتهم ، ويُهدي لهم . وبالتدرج يستطيع القضاء على الأخطاء والعادات الجاهلية والمفاهيم الخاطئة التي من أبرزها تحاكمهم إلى العادات والأعراف القبليةِ .

---

(١) انظر نماذج من وفادة الأعراب على الرسول ﷺ من ص١٩٥ ـ ٢٠٤ .
والمنهج النبوي في استقبال الوفود ص٢٠٥ ـ ٢١١ .

المطلبُ الثاني :-

الاستفادةُ من أساليب دعوةِ النبيِ ﷺ للأعراب في العصر الحاضر

١ - اللينُ : -

أقوى أساليب الدعوة تأثيراً ، وأول أسلوب نهجه الأنبياء . لأن القلوب بطبيعتها تميل إلى من يرفق في معاملتها بالتودد والبشاشة والكلمة الطيبة ، وخاصة مع ذوي المكانة وأهل الجفاء والكبرياء . وقد قيل قديماً : (ليكن وجهك بسطاً ، وكلمتُك لينة تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم عطاء) [١] .

ملاينة الأعراب تُحطِّم كبريائهم وغلاظتهم وجفائهم ، ولو قوبلت بالمثل لنفرت وازدادت غلاظة . وقد عرضت لمواقف كثيرة من ملاينة الرسول ﷺ للأعراب يستأنس بها الداعية في العصر الحاضر ويستفيد منها [٢] ، فيختار الكلمة الطيبة ، والقول الحسن ، وبشاشة المُحيا ، ويجد القبول والاستجابة بإذن الله تعالى .

٢ - المدح والثناء : -

النفوس يطرِّبها الثناء ، وخاصة التي عُرِفت بحب المفاخرة ، وهذه صفة الأعراب ، وجديرٌ بالداعية أن يستخدم هذا الأسلوب في دعوته .

---

(١) من صفات الداعية اللين والرفق د/ فضل إلهي ص ٣ مرجع سابق نقلاً من كتاب الزهد لهناد الكوفي باب حسن الخلق ١٤٠/٣ .

(٢) انظر نماذج من لين الرسول ﷺ مع أصناف المدعوين من الأعراب من ص٢٢٩ - ٢٣٨ .

فإن كان يريد الحديث عن المخدرات قال : أنتم أهل العفة والكرامة تترفعون عن الدنايا فاحذروا أن تتسرب إليكم مثل هذه العادة الذميمة .

وإن أراد الحديث عن هوى النفس ومداخل الشيطان ، قال : أنتم أهل الجلد والصبر والشجاعة فكيف لا تنتصرون على الهوى والشيطان .

وإن كان يدعو قبيلة من أهل اليمن قال : أنتم ممدوحون من رسول الله ﷺ « **الإيمان يمان** » [1] .

وإن كان يدعو بني تميم ذكر فضلهم والثناء الوارد فيهم من الرسول ﷺ وبهذا الأسلوب يسترعي سمعهم ، ويستجلب قلوبهم فيجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، يُلقي عليها تعاليم الإسلام وأخلاقه وآدابه .

٣ ـ التـأليفُ بالمـالِ : ـ

المال محببٌ للنفس كما قال ﷺ : « **لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » [2] .

ويمكن بذل المال يُتألَّفُ به الأعراب على النحو التالي : ـ

أ ـ إعطاء رؤساء العشائر ، وليكن أمام الناس ، إظهاراً لمكانتهم ، وحتى يكونوا عوناً للداعية . مع الأخذ في الاعتبار المساواة في العطية بين الأقران ، حتى لا يُحدِث بينهم عداوة تعود بالمفسدة على الداعية والدعوة [3] .

---

(١) انظر نماذج من مدح النبي ﷺ للأعراب ص٢٤٥ ـ ٢٤٨ .

(٢) سبق تخريجه ص٢٦٠ .

(٣) انظر ص٢٦٣ عندما تذمر عباس بن مرداس ﷺ من عطاء أقرانه الأقرع وعيينة أكثر منه ، فزاده الرسول ﷺ .

ب ـ يتلمس الداعية الفقراء والمحتاجين ويُقدِّم لهم المساعدة ، ليُظهر تميُّز الإسلام في باب التكافل الاجتماعي ، فإن الإحسان إلى الإنسان بتقديم الغذاء والكساء عند اشتداد الحاجة له بالغ الأثر في نفس المحسَنِ إليه . ولهذا فإن من مقاصد الشريعة الإسلامية تقدير الأحوال والظروف في الدعوة ، وتعليم الأحكام ، وتطبيق الحدود .

فإنه من إضاعة الجهد والوقت مطالبة فرد أو مجتمع بتطبيق الأحكام والتكاليف الدينية ، وهو قاب قوسين أو أدنى من الهلاك بسبب الجوع ، أو يتوارى عن الناس ليستر سوءته . في مثل هذه الحالات فإن الواجب الأول مد يد العون . وتقديم متطلبات الجسم ثمَّ تُملى بعد ذلك المبادئ وتُقَدّم الدعوة .

روى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : « **دفَّ [1] أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضاحي زمن رسول الله ﷺ فقال : ادخروا ثلاثاً ، ثمَّ تصدقوا بما بقي ، فلما كان بعد ذلك ، قالوا : يا رسول الله ، إن الناس يتخذون الأسقية [2] من ضحاياهم ويَجْمِلُون [3] منها الودك [4] ، فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قالوا نهيت أن تؤكل لحوم الضحايا بعد ثلاث ، فقال : إنما نهيتكم من أجل الدَّافَّة التي دَفَّت فكلوا وادخروا وتصدقوا** » [5] .

---

(١) الدفَّ : الشيء الخفيف ، قدموا يسيرون سيراً خفيفاً من الجوع والحاجة .

(٢) السِقاء : وعاء مصنوع من جلود الغنم .

(٣) يُجْمِلُون : يذيبون ، أي يذيبون الشحم حتى يصير سمناً . (انظر معاني ألفاظ الحديث في شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٣٠ ـ ١٣١ مرجع سابق) .

(٤) الوَدَك : دسم اللحم ، وهو ما يُسمى بالشحم . (انظر : القاموس المحيط للفيروزآبادي ص ١٢٣٥ مرجع سابق) .

(٥) صحيح مسلم كتاب الأضاحي باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي ، وبيان نسخه ٦/٨٠ مرجع سابق .

وروى الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ بسنده عن جرير بن عبدالله ﷺ قال : « **جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحثَّ الناس على الصدقة ، فأبطَؤا عنه ، حتى رُؤِي ذلك في وجهه ، قال : ثمَّ إن رجلاً من الأنصار جاء بصرةٍ من وَرِق [١] ، ثمَّ جاء آخر ، ثمَّ تتابعوا حتى عُرف السرور في وجهه ، فقال رسول الله ﷺ : من سنَّ في الإسلام سُنّة حسنة فَعُمِل بها بعده كتب له مثل أجر من عَمِل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سَنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً فَعُمِلَ بها بعده ، كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ** » [٢] .

وفي رواية النسائي ـ رحمه الله ـ « **فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة** » [٣] .

إن سدَّ حاجة هؤلاء القوم من طعام وشراب وكساء مُقدَّمٌ على تعليمهم ودعوتهم ، فقد حث الرسول ﷺ الناس على الصدقة ، بمجرد رؤية حالتهم وفاقتهم . وهذا سيدفعهم إلى قبول مبادئ الإسلام فيما بعد .

وإني لأعرف بعض الدعاة المحتسبين في هذه البلاد يجمعون الصدقات والتبرعات من المحسنين ثمَّ يذهبون بها إلى القرى والهجر البعيدة ، ويحملون معهم الغذاء والكساء يقدمونها للناس ثمَّ يعلمونهم العقيدة وأصول العبادات . ويُحدِّثون عن جهل عظيم وخرافات وبدع يُستغرب أن تكون في مثل هذه البلاد .

---

(١) الوَرِق : الفضة .

(٢) صحيح مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة ٨/٦١ مرجع سابق .

(٣) سنن النسائي كتاب الزكاة باب التحريض على الصدقة ٥/٧٩ مرجع سابق .

جـ ـ يقدم المال على هيئة جوائز وهدايا تُقدم للذين يتفوقون في تعلُّم القرآن وأصول العقيدة والعبادات في دورات تعليمية تقيمها البعثات الدعوية التي يمكن بعثها إلى البوادي والقرى البعيدة .

٤ ـ الإعراضُ عن الخطأ :

قد يتعرضُ الداعية لخطأ على شخصه من جاهل أو معاند أو مستهزئ فليعلم أنَّ أكرم الخلق قد تعرض لما هو أعظم فأعرض حرصاً على هداية الناس [١] . وهذه طريقة من أحب الخير للناس . لكن إذا كان الخطأ يؤدي إلى الاستهانة بالدعوة أو صد الدعاة عن إيصال الدين إلى الناس فحينئذٍ يُعدل إلى القوة التي هي من مهام الدولة ورجال الحسبةِ .

أما الأخطاءُ التي يقع فيها الأعراب في مجال العبادات والعادات والآداب فالإعراض عنها يكون على النحو التالي :ـ

أ ـ أخطاء في عزائم العبادات كالعقيدة والفرائض فهذه لا يُعرض عنها بل يجب المسارعة في تصحيحها وبيان أهميتها وأنها كالرأس من الجسد [٢] .

ب ـ أخطاء في مجال الآداب والمعاملات والنوافل فإنَّ من نهج النبيِّ ﷺ الإعراض عنها ، وعدم الالتفات إليها ، تقديراً للمصالح والمفاسد ، وعدم التنفير . ويُنبَّه عليها بطريقة غير مباشرة ، أو سراً مع المخطئ . وذلك تيسيراً على الناس ، ومراعاةً

---

(١) انظر نماذج من عفو الرسول ﷺ وإعراضه عن أخطاء الأعراب على نفسه الكريمة ص٢٧٦ ـ ٢٨٢ .

(٢) انظر ص٢٧٤ ، ٢٧٥ .

للضعف البشري ، وكون الخطأ ليس معصوماً منه إلا الأنبياء عليهم السلام (1) .

٥ ـ كسر الحِدَّةِ ليُتَراجعَ عن الموقف :ـ

الشدة وسرعة الغضب من أكثر ما يتصف بها الأعراب . فقد يمر بالأعرابي حالة طارئة تستدعي ثورته وغضبه حتى يهِّم باقتراف منكر في حق نفسه أو حقوق الآخرين . ومثل هذه الحالة تحتاج الداعية الحكيم الذي يستحضر الطريقة التي يُفتِّر بها هذا الغضب والشدة .

فإن تفرَس فيه صفاتِ المؤمن المُتعلق بربه ذكَّره با لله وحذره عداوة الشيطان . وإن كان من أهل الوجاهة ذكَّره بمكانته الاجتماعية التي تتطلب الحكمة والحلم والأناة .

وهكذا لكل نوعية منهم ما يناسبها فقد تكفي كلمة طيبة ، أو مثال محسوس مشاهد من بيئة الأعرابِ (2) ، أو قصة من قصص الأنبياء والصالحين والأبطال حتى تهدأ النفس ، وتتهيأ لاستماع قول الداعية ، ثمَّ تعود عن المنكر .

٦ ـ استعمالُ القوةِ :ـ

تنحصر قوة الداعية المحتسب في القول القوي المنضبط الذي لا يجرح مشاعر الأعراب ويكون ذلك في الوعظ والخطب كما كان يفعل الرسول ﷺ في خطبه ومواعظه كأنّه منذر قوم ، يعلو صوته وتتغير ملامحه . ولا يتجاوز الداعية في هذا

---

(1) انظر ص٢٧٦ ـ ٢٨١ وفيها نماذج من إعراضه ﷺ عن خطأ الذي رفع صوته ، وعن خطأ صاحب الحق ، وعن خطأ الأعرابي الذي جبذه ، وكيفية معاملته مع الأعرابي الذي بال في المسجد .

(2) انظر ص٢٨٦ ـ ٢٨٨ كيف كسر الرسول ﷺ حِدَّة الأعرابي الذي جاء متذمراً من لون ولده .

العصر هذه القوة [1] .

أما قوةُ الزجرِ بالقولِ واليد فهي من واجبات ولي الأمر ورجال الحسبة . ولا يُلجأُ إليها إلا في الحالات الآتية : -

١- عدم جدوى أسلوب اللين .

٢ - أن الأخطاء تحتاج إلى سرعة تصحيحها والقضاء عليها لكونها من أمور العقيدة ، أو أصول العبادات .

٣ - أنه يترتب على الخطأ مفسدة في حق الآخرين كالاعتداء على الناس ، وقطعُ الطريقِ ، والإفسادِ في الأرضِ .

(١) انظر ص٢٩٦ - ٢٩٨ وفيها نماذج من القوة القولية التي استخدمها الرسول ﷺ مع الأعراب .

الخاتمـــة :

الحمدُ للهِ الذي بنعمتهِ تتمُ الصالحات ، وأصلي وأسلمُ على خيرِ خلقهِ . أما بعدُ .

فها أنا ذا أصل إلى نهايةِ هذا البحثِ ، بعدَ رحلةٍ مضنيةٍ وسعيدةٍ ، مضنيةٍ لما فيها من عناءِ البحثِ والسهرِ ، وسعيدةٍ لما وجدت فيها من لذةٍ وسعادةٍ غامرةٍ ، وأنا أقفُ على أحداثِ سيرةِ المصطفى ﷺ وصحبهِ الكرامِ ، وما فيها من سراءَ وضراءَ تشحذُ الهممَ وتزيدُ الإيمانَ .

إن ما قدموه من خيرٍ للأمة يعجزُ عن وصفهِ اللسانُ والبنانُ ، لكن حسبي أني أحبُّهم ، وأتذكرُ دائماً قولَ ذاك الأعرابيِّ الصحابيِّ جهوريِّ الصوتِ الذي نادى الرسولَ ﷺ قائلاً : « **الرجلُ يحبُّ القومَ ولما يلحقْ بهم . قال ﷺ : المرءُ مع من أحبَّ** »[1] . فاللهم إني أشهدُك على حبِّهم فاحشرْني في زمرتِهم .

أما أهمُّ نتائجِ البحثِ فهي :-

١ - أن زادَ الداعيةِ هو العلمُ وفقهُ السيرةِ النبويةِ ، فمن وجد الزادَ فليدعُ إلى الله .

٢ - يجبُ على الدعاةِ دائماً وأبداً الإقتداءُ برسولِ الله ﷺ في أقوالهِ وأفعالِه ومنهجِ دعوتِه ، ووسائِلها وأساليبِها .

٣ - أن رسالةَ محمدٍ ﷺ وما حوته من عقيدةٍ وشريعةٍ وأخلاقٍ ، صالحةٌ لكلِ زمانٍ ومكان .

٤ - أن أوجبَ الواجباتِ الدعوةُ إلى التوحيدِ ، وترسيخُ العقيدةِ ، كما أنه لا يجوزُ

---

(١) انظر الحديث : ص٢٧٦

التنازلُ عن شيءٍ منها ، ولا التجاوزُ والإعراضُ عن الأخطاءِ المتعلقةِ بها ، وكذلك بقيةُ فرائضِ الإسلامِ على ترتيبِ أهميتها .

٥ ـ أن لكل نوعيةٍ من نوعيات الناسِ طريقةً دعويةً تناسبُها ، والأعرابُ نوعيةٌ تحتاجُ إلى تعاملٍ خاصٍ كما كان يتعاملُ معهم الرسول ﷺ .

٦ ـ أن البحثَ أبرزَ أهمَّ الوسائلِ والأساليبِ المجديةِ ـ بإذن الله ـ في دعوةِ الأعرابِ في هذا العصر ، بعد دراسةٍ واستقراءٍ للوسائلِ والأساليبِ التي استخدمها الرسول ﷺ في دعوته للأعرابِ في العصرِ النبويِ .

٧ ـ أنه لا ينبغي رفضُ الوسائلِ الحديثة كلياً ، بل يجبُ استغلالُها في الدعوةِ بعد ضبطِها بضوابطِ الشريعةِ ، وتقديرُ المصالحِ والمفاسدِ المترتبةِ على استخدامِها .

٨ ـ أن غايةَ الإسلامِ شريفةٌ ، فلا بُدَّ لها من وسيلةٍ شريفةٍ ، ومبدأ (الغاية تبررُ الوسيلة) ليس من الإسلامِ في شيء .

٩ ـ أن بعض الطباعِ الفطريةِ والخُلُقيةِ والاجتماعِية تدفعُ الأعرابَ إلى الاستجابةِ للدعوةِ إذا أُحسنَ استغلالُها وتوجيهها .

١٠ ـ أن من الواجباتِ التدرجَ في الدعوةِ . والدعوةُ بَعْدَ معرفةِ أحوال الناسِ ومستوى تدينَهم .

١١ ـ أن التطبيقَ العمليَّ في تعليمِ العباداتِ أمرٌ مشروعٌ لأنه أبلغُ للفهمِ وسرعةِ التطبيقِ .

١٢ ـ أن اللينَ أهمُّ وأنجعُ أساليبِ الدعوةِ على الإطلاق .

١٣ ـ أن الجهادَ في سبيل اللهِ وسيلةٌ من وسائلِ الدعوةِ ، يمهّدُ لها الطريق ، ويدفعُ

الأخطارَ عن أصحابِها ، ويُكَثِّرُ أتباعَها ، ويُعِزُّ أَهلَها ، فهو من الإسلامِ في الذروة ، وتركهُ يورثُ الذلَّ .

١٤ ـ أن صفاتِ الغلظةِ والجلافةِ والجفاءِ باقيةٌ في الأعرابِ ما بقي أعرابيٌّ في الدنيا .

أما خلاصةُ التوصيات فهي : ـ

١ ـ أوصي وزارةَ الشئونِ الإسلاميةِ والأوقافِ والدعوةِ والإرشاد المعنيةِ بالدعوةِ ، بإقامةِ دوراتٍ تأهيليةٍ لتخريجِ دعاةٍ متخصصينَ يوجَّهُون لتعليمِ ودعوةِ البدوِ بما يتناسبُ مع أحوالِهم .

٢ ـ كما أوصي هذه الوزارةَ أيضاً بفتح مراكزَ دعويةٍ في القرى والهجرِ البعيدةِ تُعنى بإقامةِ الدروسِ والتعليمِ والفُتيَا .

٣ ـ أن يكونَ هناك تعاونٌ مستمرٌ بين الجهاتِ المعنيةِ بالدعوةِ ووزارةِ الإعلامِ لتوجيهِ برامجَ إعلاميةٍ للتوعية الشعبية خاصةً ، تجمعُ بين الترفيهِ المباحِ والدعوةِ والتعليمِ .

٤ ـ أوصي المعاهدَ والكلياتِ الأكاديميةَ المعنيةَ بالدعوةِ ، أن يكونَ ضمنَ مناهِجها دراسةُ فئاتِ الناسِ والأساليب والوسَائلِ المناسبة لكلٍ منهم ، ومن ضمن هذه الفئاتِ الأعرابُ ، ودراسةَ دوافعِ الاستجابةِ والإنكارِ لكلِ فئة . وحبذا لو كان ضمنَ المناهجِ التطبيقيةِ بعثاتٌ طلابيةٌ موجهةٌ يتولى الإشرافَ عليها أساتذةُ الكلياتِ ، تجمعُ بين التعليمِ التطبيقي الأكاديمي والدعوةِ في القرى والهجرِ البعيدةِ .

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد .

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الأمم والقبائل
- فهرس الأماكن
- ثبت المراجع
- مواضيع البحث

فهرس الآيـــــات

ســـــورة النساء

ســـــورة المائدة

ســـــورة الأنعام

ســـــورة الأعراف

ســـــورة الأنفال

ســـــورة التوبة

ســـــورة يونس

ســـــورة يوسف

ســـــورة إبراهيم

ســـــورة الحجر

ســـــورة النحل

ســـــورة الكهف

ســـــورة مريم

ســـــورة طه

ســـورة الشعراء

ســـورة النمل

ســـورة العنكبوت

ســـورة الروم

ســـــورة لقمان

ســـــورة الأحزاب

ســـــورة سبأ

ســـــورة يس

ســـــورة الصافات

ســـــورة ص

ســـــورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة الفتح

ســــورة الحشر

ســــورة الجمعة

ســــورة التغابن

ســــورة التحريم

ســــورة القلم

ســــورة المعارج

سورة نوح

سورة الجن

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة المرسلات

ســــورة التكوير

ســــورة التين

ســــورة العلق

ســــورة العاديات

ســــورة المسد

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الأمم والقبائل

فهرس الأماكن

ثبت المراجع

القرآن الكريم

١ - آفات على الطريق د/ السيد محمد نوح دار الوفاء المنصورة ، ودار الفرقان الرياض ط٨ ١٤١٤ هـ .

٢ - إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن أحمد البراء الأميري دار المنارة جدة ط١ ١٤٠٦ .

٣ - إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي دار الندوة الجديدة بيروت بدون تاريخ .

٤ - الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد د/ صالح الفوزان طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ط١ ١٤١٠ هـ .

٥ - أسباب النزول الإمام أبي حسن علي بن أحمد الواحدي تحقيق كمال بسيوني دار الكتب العلمية بيروت ط١٤١١ هـ .

٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير تحقيق / محمد إبراهيم البنا وآخرون دار الشعب بدون تاريخ .

٧ - الأسلوب . دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية أحمد الشائب مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط٧ ١٣٩٦ هـ .

٨ - الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر المطبوع معه الإستيعاب لابن عبدالبر دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

٩ - أصول الدعوة إلى الله د/ عبدالكريم زيدان دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر الإسكندرية ط٣ بدون تاريخ .

١٠ - أصول علم النفس د/ أحمد راجح المكتب المصري الحديث الإسكندرية بدون تاريخ .

١١ - أعلام الموقعين ابن القيم المكتبة العصرية بيروت بدون تاريخ .

١٢ - اقتضاء الصراط المستقيم شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د / ناصر العقل شركة العبيكان للطباعة والنشر الرياض ط١ ١٤٠٤ هـ .

١٣ - الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء الكلاعي تحقيق مصطفى عبدالواحد مكتبة الخانجي القاهرة ١٣٨٧ هـ .

١٤ - الإكليل في استنباط التنزيل جلال الدين السيوطي تحقيق سيف الدين عبدالقادر الكاتب دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٠ هـ .

١٥ - الأنساب لأبي سعد عبدالكريم بن محمد التميمي السمعاني تعليق عبدالله عمر البارودي دار الجنان بيروت ط١ ١٤٠٨ هـ .

١٦ - أهمية الجهاد في نشر الدعوة د/ علي العلياني دار طيبة الرياض ط١ ١٤٠٥ هـ.

١٧ - أيام العرب في الجاهلية محمد جاد المولى بك وآخرون دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

١٨ - أيسر التفاسير أبو بكر الجزائري راسم للدعاية والإعلان جدة ط١ ١٤٠٧ هـ .

١٩ - البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات د/ محمد الذيب عبدالكريم مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ط٣ ١٩٨٧ م .

٢٠ - البحث العلمي صياغة جديدة د/ عبدالوهاب أبو سليمان دار الشروق جدة ط٤ ١٤١٢ هـ .

٢١ - البحث العلمي مفهومه ، أدواته ، أساليبه د/ ذوقان عبيدات وآخرون دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٨ م .

٢٢ - البداية والنهاية ابن كثير تحقيق / أحمد أبو ملحم وآخرون دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ .

٢٣ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب محمود شكري الآلوسي دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

٢٤ - تاج العروس السيد محمد مرتضى الزبيدي تحقيق / إبراهيم الترزي دار إحياء التراث العربي بيروت بدون تاريخ .
٢٥ - تاريخ الإسلام الذهبي تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي بيروت ط٢ ١٤٠٩ هـ .
٢٦ - تاريخ الطبري دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٧ هـ .
٢٧ - تاريخ العرب في عصر الجاهلية د/ السيد عبدالعزيز سالم دار النهضة العربية بيروت بدون تاريخ .
٢٨ - تاريخ العلامة ابن خلدون دار الكتاب اللبناني توزيع وزارة المعارف السعودية ١٩٨١ م .
٢٩ - تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي دار صادر بيروت بدون تاريخ .
٣٠ - التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور مكتبة ابن تيمية القاهرة بدون تاريخ .
٣١ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري مكتبة ابن تيمية القاهرة ط١٣ ١٤٠٧ هـ .
٣٢ - التدرج بين التشريع والدعوة د/ يوسف أبو هلالة دار العاصمة الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .
٣٣ - التدرج في الدعوة إلى الله إبراهيم بن عبدالله المطلق، رسالة ماجستير غير مطبوعة بكلية الدعوة والإعلام .
٣٤ - تفسير القرآن العظيم ابن كثير دار القلم بيروت ط١ بدون تاريخ .
٣٥ - التفسير الكبير فخر الدين الرازي دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ .
٣٦ - تقريب التهذيب ابن حجر دار الرشيد حلب ط٤ ١٤١٢ هـ .
٣٧ - التلازم بين العقيدة والشريعة د/ ناصر العقل دار الوطن للنشر الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .

٣٨ - التمثيل حقيقته وتاريخه وحكمه د/ بكر أبو زيد دار الراية الرياض ط١ ١٤١١ هـ .

٣٩ - تهذيب اللغة محمد بن أحمد الأزهري الدرا المصرية للتأليف بدون تاريخ .

٤٠ - التوحيد طباعة وزاة المعارف السعودية ، قسم العلوم الشرعية .

٤١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ / عبدالرحمن السعدي تحقيق محمد زهري النجار طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٤ هـ.

٤٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن محمد بن جرير الطبري دار الفكر بيروت ١٤٠٨ هـ .

٤٣ - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الكتب العلمية بيروت ط١٤١٣ هـ توزيع درا الباز مكة المكرمة .

٤٤ - حاشية الروض المربع عبدالرحمن بن قاسم بدون ذكر للناشر ط٢ ١٤٠٥ هـ .

٤٥ - الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ عبدالعزيز العمري بدون ذكر الناشر ط١ ١٤٠٥ هـ .

٤٦ - حكم الإسلام في وسائل الإعلام الشيخ / عبدالله ناصح علوان دار السلام القاهرة ط٥ ١٤٠٥ هـ .

٤٧ - الحكمة في الدعوة إلى الله رسالة ماجستير مطبوعة سعيد بن وهف القحطاني مطبعة سفير الرياض ط١ ١٤١٢ هـ .

٤٨ - الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي مكتبة وهبة مصر ط٢ ١٤٠١ هـ .

٤٩ - خصائص القرآن د/ فهد الرومي بدون ذكر للناشر ط٤ ١٤٠٩ هـ .

٥٠ - الدر المنثور في التفسير بالمأثرر حلال الدين عبدالرحمن السيوطي دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ .

٥١ - دراسات في النفس الإنسانية محمد قطب دار الشروق بيروت ط٦ ١٤٠٣ هـ .

٥٢ - الدعوة الإسلامية الوسائل والأساليب محمد خير يوسف دار طويق للنشر الرياض ط٢ ١٤٠٧ هـ .

٥٣ - الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة ، الهدف د/ توفيق الواعي .

٥٤ - الدعوة إلى الله خصائصهما ، مقوماتها ، مناهجها أبو المجد نوفل بدون ذكر للناشر ولا تاريخ .

٥٥ - الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل عليه السلام محمد بن سيدي بن الحبيب دار الوفاء جدة ط١ ١٤٠٦ .

٥٦ - دلائل النبوة البيهقي تحقيق د/ عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ .

٥٧ - دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي رسالة ماجستير مطبوعة عبدالرحمن الملاحي دار عالم الكتب الرياض ط١ ١٤١٤ هـ .

٥٨ - ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه طبع دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ .

٥٩ - الرحيق المختوم المباركفوري صفي الرحمن المباركفوري دار الوفاء للطباعة المنصورة بدون تاريخ .

٦٠ - الروض الأنف عبدالرحمن السهيلي تحقيق / عبدالرحمن الوكيل مكتبة ابن تيمية القاهرة توزيع مكتبة العلم جدة ١٤١٤ هـ .د

٦١ - الروضة الندية شرح الدرر البهية محمد صديق حسن خان تحقيق / محمد صبحي حلاّق دار الأرقم برمنجهام بريطانيا ومكتبة الكوثر الرياض ط٢ ١٤١٣ هـ .

٦٢ - رياض الصالحين الإمام النووي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني بدون ذكر للناشر ولا تاريخ .

٦٣ - زاد المسير ابن الجوزي المكتب الإسلامي بيروت ط٤ ١٤٠٧ هـ .

٦٤ - زاد المعاد ابن القيم تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ط٨ ١٤٠٥ هـ .

٦٥ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد محمد بن يوسف الصالحي الشامي تحقيق د/ مصطفى عبدالواحد وآخرون مطبعة نهضة مصر نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي جمهورية مصر العربية ط٢ ١٤٠٧ هـ .

٦٦ - سرايا الرسول ﷺ أبو تراب الظاهري مطبوعات تهامة جدة ط١ ١٤٠٥ هـ .

٦٧ - سلسلة الأحاديث الصحيحة الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت ط٤ ١٤٠٥ هـ .

٦٨ - سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .

٦٩ - سنن أبي داود تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية بيروت بدون تاريخ .

٧٠ - سنن الترمذي تحقيق كمال يوسف الحوت دار الكتب العلمية بيروت ط١٤٠٨ هـ .

٧١ - سنن الدارمي تحقيق / فؤاد زمرلي وأحمد السبع دار الكتاب العربي بيروت ط١ ١٤٠٧ هـ .

٧٢ - سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .

٧٣ - السياسة الشرعية ابن تيمية دار المعرفة بدون ذكر مكان الناشر ولا تاريخ .

٧٤ - سير أعلام النبلاء الإمام الذهبي مؤسسة الرسالة بيروت ط٧ ١٤١٠ هـ .

٧٥ - السيرة النبوية ابن هشام تحقيق / مصطفى السقا وآخرون دار الكنوز الأدبية بدون تاريخ ولا ذكر مكان النشر .

٧٦ - السيرة النبوية أبو الحسن علي الحسني الندوي دار الشروق جدة ط٧ بدون تاريخ .

٧٧ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة د/ محمد أبو شهبة دار القلم دمشق ط٢ ١٤١٢ هـ .

٧٨ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د/ مهدي رزق الله طبع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط١ ١٤١٢ هـ .

٧٩ - شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم دار الفكر بيروت ط٣ ١٣٩٨ هـ.

٨٠ - شرح العقيدة الطحاوية علي بن أبي العز الدمشقي تحقيق شعيب الأرنؤوط طبع مكتبة المؤيد الطائف ط١ ١٤٠١ هـ .

٨١ - شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣ هـ .

٨٢ - شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ابن النحاس دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ .

٨٣ - شرح قصيدة كعب بن زهير في مدح رسول الله ﷺ ابن هشام الأنصاري تحقيق د/ محمود أبو ناجي بدون ذكر للناشر ولا تاريخ .

٨٤ - شرح القواعد الفقهية أحمد الزرقا دار القلم دمشق ط٢ ١٤٠٩ هـ .

٨٥ - الصحاح الجوهري دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٣٩٩ هـ .

٨٦ - صحيح الأدب المفرد الألباني دار الصديق الجبيل ط١ ١٤١٤ هـ .

٨٧ - صحيح الإمام البخاري المكتبة الإسلامية استانبول بدون تاريخ .

٨٨ - صحيح الإمام مسلم دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

٨٩ - صحيح الجامع الصغير وزيادته الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت ط٢ ١٤٠٦ هـ .

٩٠ - صحيح سنن ابن ماجة للشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ ١٤٠٧ هـ .

٩١ - صحيح سنن أبي داود الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ ١٤٠٩ هـ .

٩٢ - صحيح سنن الترمذي الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ ١٤٠٨ هـ .

٩٣ - صحيح سنن النسائي الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط١ .

٩٤ - الطبقات ابن سعد تحقيق محمد عطا دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠ هـ.

٩٥ - عالمية الدعوة الإسلامية د/ علي عبدالحليم محمود دار الوفاء المنصورة ط٤ ١٤١٢ هـ .

٩٦ - علم النفس التربوي د/ أحمد زكي صالح مكتبة النهضة المصرية القاهرة بدون تاريخ .

٩٧ - علم النفس الدعوي د/ عبدالعزيز النغيمش دار المسلم الرياض ط١ ١٤١٥ هـ .

٩٨ - علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام د/ محمد محمود محمد دار الشروق جدة ط١ ١٤٠٥ هـ .

٩٩ - عمدة القاري شرح صحيح البخاري العيني مكتبة الحلبي وشركاه مصر ط١ ١٣٩٢ .

١٠٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب العظيم آبادي مكتبة ابن تيمية القاهرة ط٣ ١٤٠٧ .

١٠١ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ابن سيد الناس تحقيق د/ محمد الخطراوي ، محيي الدين مستو دار التراث المدينة المنورة ، ودار ابن كثير دمشق ط١ ١٤١٣ هـ .

١٠٢ - الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة رسالة ماجستير مطبوعة عبدالرحمن اللويحق مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٣ هـ .

١٠٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

١٠٤ - الفتح الرباني أحمد البنا دار إحياء التراث بيروت بدون تاريخ .

١٠٥ - فتح القدير محمد الشوكاني دار الفكر بيروت ط١٤٠٣ هـ .
١٠٦ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ طبع الرئاسة العامة للإفتاء بالسعودية ١٤٠٣ هـ .
١٠٧ - الفروسية ابن القيم تحقيق مشهور بن سلمان دار الأندلس حائل ط١ ١٤١٤ هـ .
١٠٨ - فقه الدعوة إلى الله د/ علي عبدالحليم محمود دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط٢ ١٤١١ هـ .
١٠٩ - فهارس صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق / شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٤ هـ .
١١٠ - في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق بيروت ط١٠ ١٤٠٢ هـ .
١١١ - القاموس المحيط للفيروزآبادي مؤسسة الرسالة بيروت ط ١٤٠٦ .
١١٢ - القرآن وعلم النفس د/ محمد عثمان نجاتي دار الشروق بيروت ط٢ ١٤٠٥ هـ.
١١٣ - قطوف من الشمائل المحمدية الشيخ / محمد جميل زينو مكتبة ابن تيمية القاهرة بدون تاريخ .
١١٤ - القلب ووظائفه في الكتاب والسنة رسالة ماجستير مطبوعة سلمان زيد سلمان اليماني دار ابن القيم الدمام ط١ ١٤١٤ هـ .
١١٥ - قواعد الأحكام عز الدين السلمي دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .
١١٦ - القواعد والأصول الجامعة ابن سعدي مركز صالح بن صالح للثقافة عنيزة ١٤١١ هـ .
١١٧ - القول المفيد على كتاب التوحيد الشيخ / محمد بن صالح العثيمين دار العاصمة الرياض ط١ ١٤١٥ هـ .
١١٨ - الكليات لأبي البقاء دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط٢ ١٤١٣ هـ .

١١٩ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال العلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٩ هـ .

١٢٠ - لب اللباب في تحرير الأنساب السيوطي تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١١ هـ .

١٢١ - لسان العرب ابن منظور دار الفكر بيروت ط١ ١٤١٠ هـ .

١٢٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تحقيق عبدالله محمد الدرويش دار الفكر بيروت ١٤١٣ هـ .

١٢٣ - مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز جمع د/ محمد بن سعد الشويعر طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء ط١ ١٤١٠ هـ .

١٢٤ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن بن قاسم توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين

١٢٥ - مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين جمع فهد السليمان دار الوطن الرياض ط الأخيرة ١٤١٣ هـ .

١٢٦ - مختار الصحاح الإمام الرازي دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ .

١٢٧ - المدخل إلى علم الدعوة د/ محمد البيانوني مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٤١٤ هـ .

١٢٨ - مرشد الدعاة محمد نمر الخطيب دار المعرفة بيروت ط١ ١٤٠١ هـ .

١٢٩ - المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي دار المعرفة بيروت بدون تاريخ .

١٣٠ - مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ .

١٣١ - المصنف للإمام عبدالرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي بيروت ط٢ ١٤٠٣ هـ .

١٣٢ - معارك العرب الكبرى محمود الدرة منشورات الفاخرية الرياض ، ودار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ .
١٣٣ - معالم التنزيل الإمام البغوي تحقيق محمد النمر وآخرون دار طيبة الرياض ط١ ١٤٠٩هـ .
١٣٤ - معجم البلدان ياقوت الحموي تحقيق / فريد الجندي دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٠هـ .
١٣٥ - معجم شواهد النحو الشعرية د/ حنّا جميل حداد دار العلوم الرياض ط١ ١٤٠٤هـ .
١٣٦ - معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة بيروت ط٦ ١٤١٢هـ .
١٣٧ - المعجم الكبير الطبراني تحقيق حمدي السلفي طبع وزارة الأوقاف العراقية ط٢ ١٤٠٥هـ .
١٣٨ - معجم ما استعجم عبدالله البكري الأندلسي تحقيق مصطفى السقا عالم الكتب بيروت ط٢ ١٤٠٣هـ .
١٣٩ - معجم المصطلحات العلمية ابن منظور ص٧٢٤ .
١٤٠ - معجم مقاييس اللغة أحمد بن فارس تحقيق د/ عبدالسلام هارون دار الجيل بيروت ط١ ١٤١١هـ .
١٤١ - معجم المناهي اللفظية د/ بكر بن عبدالله أبو زيد دار ابن الجوزي الدمام ط٢ ١٤١٠هـ .
١٤٢ - المعجم الوسيط إخراج / إبراهيم أنيس وآخرون ١٠٤٠/٢ دار الفكر بيروت بدون تاريخ .
١٤٣ - معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق د/ محمد راضي عثمان مكتبة الدار المدينة ، ومكتبة الحرمين الرياض ط١ ١٤٠٨هـ .

١٤٤ - المغني مع الشرح الكبير للإمامين ابن قدامة بعناية جمع من العلماء دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣ هـ .

١٤٥ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام د/ جواد علي طبع دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد ط٢ ١٩٧٦ م .

١٤٦ - مقارنة الأديان اليهودية د/ أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط١١ ١٩٩٣ هـ .

١٤٧ - مقدمة في الإدارة علي محمد عبدالوهاب نشر معهد الإدارة العامة الرياض ١٤٠٣ هـ .

١٤٨ - مقدمة في فقه أصول الدعوة أحمد سلام دار ابن حزم بيروت ودار الهجرة صنعاء ط١ ١٤١٠ هـ .

١٤٩ - مكة في عصر ما قبل الإسلام السيد أحمد أبو الفضل طبع دارة الملك عبدالعزيز الرياض ط٢ ١٤٠١ هـ .

١٥٠ - من صفات الداعية اللين والرفق د/ فضل إلهي دار ترجمان الإسلام باكستان ط١ ١٤١١ هـ .

١٥١ - مناهج الدعوة وأساليبها د/ علي جريشة دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط١ ١٤٠٧ هـ .

١٥٢ - المنتظم ابن الجوزي تحقيق محمود مصطفى عطا دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤١٢ هـ .

١٥٣ - المنجد في اللغة والأعلام كرم البستاني وآخرون دار المشرق بيروت ط٢٦ .

١٥٤ - منهج الدعوة إلى الله أمين أحسن إصلاحي دار نشر الكتاب الإسلامي الكويت بدون تاريخ .

١٥٥ - منهج الأنبياء في الدعوة محمد سرور زين العابدين دار الأرقم برمنجهام ط٣ ١٤٠٨ هـ .

١٥٦ - منهج التربية الإسلامية محمد قطب دار الشروق بدون تاريخ .

١٥٧ - الموسوعة العربية الميسرة دار نهضة لبنان للطبع ١٤٠٧ هـ .

١٥٨ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي مطبعة سفير الرياض ط١ ١٤٠٩ هـ .

١٥٩ - نصب الراية لأحاديث الهداية للإمام الحافظ جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي دار الحديث القاهرة بدون تاريخ .

١٦٠ - النهاية في غريب الحديث مجد الدين أبي السعادات الجزري ابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمد الطناحي المكتبة العلمية بيروت بدون تاريخ .

١٦١ - نوادر الأعراب يوسف عيسى دار الفكر بيروت ط١ ١٩٩٠ م .

١٦٢ - وفود الإسلام أبو تراب الظاهري دار القبلة جدة ط١ ١٤٠٤ هـ .

١٦٣ - الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي علي رضوان الأسطل مكتبة المنار الأردن ط١ ١٤٠٤ هـ .

١٦٤ - اليهودية والماسونية الشيخ / عبدالرحمن الدوسري دار السنة للنشر والتوزيع الخبر ط١ ١٤١٤ هـ .

الدوريـــات

١٦٥ - مجلة البيان مجلة إسلامية جامعة تصدر عن المنتدى الإسلامي لندن .

كتب المعاجم والفهارس المستفاد منها في البحث ولم ترد في حواشيه

١٦٦ - تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للإمام الحافظ يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي ومعه النكت الظراف على الأطراف للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق عبدالصمد شرف الدين الدار القيمة بمباي الهند والمكتب الإسلامي بيروت ط٢ ١٤٠٣ هـ .

١٦٧ - سلسلة الأحاديث الضعيفة الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي بيروت ط٥ ١٤٠٥ هـ .

١٦٨ - فهرس أحاديث مسند الإمام أحمد بن حنبل إعداد محمد السعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥ هـ .
١٦٩ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي وضع أ . ي . ونسنك وآخرون دار الدعوة استانبول ١٩٨٦ م .
١٧٠ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبدالباقي المكتبة الإسلامية استانبول ١٩٨٢ م .
١٧١ - مفتاح كنوز السنة وضع أ . ي . فنسنك ترجمة محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤١٣ هـ .

موضوعات البحث

من إصداراتنا

* **المذمة في استعمال أهل الذمة**
  د. عبدالله الطريقي
* **نواقض الإيمان الاعتقادية**
  د. محمد بن عبدالله الوهيبي
* **التوجيه غير المباشر**
  د. صالح بن عبدالله بن حميد
* **التقليد والتبعية**
  د. ناصر بن عبدالكريم العقل
* **حجية الآحاد ورد شبهات المخالفين**
  د. محمد الوهيبي
* **فقه الخلاف بين المسلمين**
  د. ياسر برهامي
* **تزكية النفس لابن تيمية**
  تحقيق د. محمد سعيد القحطاني
* **الغضب**
  د. عبدالعزيز النغيمشي
* **العجلة**
  د. عبدالعزيز النغيمشي
* **العصرانية في حياتنا الاجتماعية**
  د. عبدالرحمن الزنيدي
* **فقه الاحتساب على غير المسلمين**
  د. عبدالله الطريقي
* **التوجيه التربوي**
  د. عبدالحليم بن إبراهيم العبدا للطيف
* **حقيقة الفكر الإسلامي**
  د. عبدالرحمن الزنيدي
* **أخطاء الطلاب الشائعة في الكتابة والقراءة**
  د. محمود عمار
* **الصلة بين العقيدة والحاكمية في فكر سيد قطب .**
  عبدالعزيز الوهيبي
* **نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي**
  د. عبدالكريم بكار
* **فوائد من شرح منار السبيل**
  عبدالعزيز السدحان
* **من قضايا الصحوة**
  د. ناصر العقل
* **دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية**
  د. سيد ساداتي الشنقيطي
* **فتاوى في الطهارة والصلاة**
  فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
* **قضايا ومباحث في السيرة**
  د. سليمان بن حمد العودة
* **مفهوم الطاعة والعصيان**
  د. عبدالله الطريقي
* **المثاقفة والأسلمة**
  د. حسن بن فهد الهويمل
* **حاجة الصحوة إلى الفقه في الدين**
  د. ناصر بن عبدالكريم العقل